الاوضاع العامة في منطقة نجد
(في العهد العثماني)

تأليف حسين حسني

ترجمة سهيل صابان
(ابن الشيخ ابراهيم حقي)
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية الشريعة - قسم الثقافة الإسلامية



فهرس الموضوعات

كلمة المترجم

يُعد هذا الكتاب من أهم المصادر التاريخية المؤلفة باللغة العثمانية (التركية) عن تاريخ منطقة «نجد». فقد نشر في العام المالي ١٣٢٨ (١٣٣٠هـ) في مطبعة أبي الضياء باستانبول، ويقع في ٢٩١ صفحة من القطع الصغير (١٤X١٩سم). وألحقت به خريطة عن وضع الطرفين المُتقاتلِيْن في معركة (البكيرية)، وذيل (صفحة واحدة) عما حصل في إمارة (الجبل) أثناء طبع الكتاب..

يمكن تقسيم هذا الكتاب إلى قسمين:

الأول: ما يتعلق بالوضع الثقافي والاجتماعي لمنطقة (نجد). وقد كتب المؤلف ذلك من خلال ما سمعه من الأخبار من أهالي المنطقة وشاهده من الأحداث فيها.

الثاني: ما كان يدوّنه المؤلف لنفسه يومياً من مذكرات، أثناء وجوده في مختلف مناطق (نجد) ومكوثه فيها ما يقرب من سنتين لعمل عسكري، حيث كان رائداً في الجيش العثماني المساق إلى (القصيم) في بداية العقد الثاني من القرن الرابع عشر الهجري، وأصبح فيما بعد انهزام الجيش، قائداً للكتائب الموجودة فيها..

أهمية الكتاب:

تظهر أهمية هذا الكتاب وفوائده من خلال النقاط التالية:

١- إيراد الاحصاءات المتعلقة بعدد السكان في منطقة (نجد) من بدو وحضر.

٢- معرفة المناطق السكنية من قُرىً ومدن في المنطقة وعدد سكانها

ونوعية طراز المباني وأشهر الأماكن فيها.

٣- معرفة المبالغ المدفوعة للدولة العثمانية من زكاة وضرائب في المنطقة.

٤- معرفة الفنون والصناعات المحلية والمهن المنتشرة في المنطقة، وأصول الطبابة والبيطرة لدى النجديين.

٥- ذكر العادات والتقاليد الكثيرة للنجديين في تعاملهم مع الناس، وفي أكلهم وشربهم وطراز معيشتهم وفراستهم، وفي أصولهم المتبعة في الحرب والسلم، وفي المشاكل التي تعترضهم في عيشهم..

٦- معرفة طرق المواصلات ووسائل النقل والتجارة في المنطقة.

٧- معرفة عدد الحجاج المارين بالمنطقة، وواردات‍هم لها.

٨- ذكر مزايا هذا القوم (العرب) النجيب - كما يسمّيهم المؤلف -، من الكرم والشهامة وإكرام الضيف، وما يتحلّى به النجديون من قناعة وتوكل.. بل إن المؤلف لم يترك شاردة ولا واردة إلا ذكرها، فقد ذكر حتى أعلام القبائل وألوانها..

٩- كون المؤلف يسرد الحركات العسكرية في (نجد) بشيء من التفصيل..

منهج المؤلف في الكتاب:

كان المؤلف ضابطاً من أفراد الجيش العثماني، وقد نظر إلى أوضاع المنطقة من منظور الجامعة العثمانية، التي تهدف إلى جمع شمل الشعوب العثمانية من خلال العلم العثماني الإسلامي، الذي لا يفرّق بين الترك والعرب في شيء.. وكان يعارض معارضة شديدة سياسة الحكومة

العثمانية آنذاك، المتأثرة ببعض المصالح الفردية الذاتية - كما يسميها المؤلف - في نشوب قتال في منطقة (نجد) بشكل خاص، وانحيازها لطرف ضد آخر، مع أنه كان ضابطاً في الجيش، وكان من الواجب عليه تنفيذ سياسة الدولة في هذه المنطقة. يظهر ذلك جلياً في الكتاب، من ذلك:

- أن الدولة لو اتبعت سياسة رشيدة في المنطقة وتعاملت من خلال موظفيها الموجودين فيها مع الأهالي تعاملاً حسناً، وأبعدت الانتهازيين منها؛ فإن الأهالي لا يقصّرون في القيام بواجباتهم تجاهها، وهم طيبون غاية الطيب..

- اتصاله بـ«صالح المهنا» - أمير (بريدة) آنذاك - مع كونه (أي صالح) مخالفاً لسياسة الدولة في تعيين «عبد العزيز الرشيد» أميراً على المنطقة..

- إشارة المؤلف إلى ما يمتاز به أهل العقيدة السلفية في منطقة (نجد) من الالتزام بصلاة الجماعة، وعدم إبراز القبور، وعدم وجود كتابات عليها..، التزاماً بالأحاديث النبوية الشريفة، مع أن موقف الدولة منهم لم يكن على هذا النحو.

وفيما يلي بعض النقاط المنهجية في الكتاب:

١- يُطلق المؤلف على بعض المناطق السكنية في المنطقة اسم مدينة وعلى بعض أخرى اسم بلدة وعلى بعض ثالثة اسم قرية. وهو لا يسير على هذا المنهج دائماً؛ فقد عدَّ المؤلف (الرياض) قرية، واعتبر (ثادق) و(المجمعة) مدينة، ثم ذكر في مكان آخر أن (الرياض) مدينة، وأن (المجمعة) قرية.. فتم تدينها في الترجمة العربية كما هو في الكتاب.

٢- يقوم المؤلف بتحليل كثير من الأحداث تحليلاً دقيقاً من خلال وجهة نظره العسكرية. من ذلك ما ذكره من الأسباب التي أدّت إلى انهزام الجيش في معركة (البكيرية)..

٣- أنه كان يدوّن مذكراته يومياً، ويصف المواقع الجغرافية في المنطقة بدقة، من حيث بعدُها عن أقرب مكان سكني، وعيون المياه أو الآبار الموجودة فيها..

٤- دقّته في ذكر التواريخ، بل كان يذكر التواريخ المهمة حتى بالساعة.

٥- أن المؤلف مثقف ثقافة إسلامية جيّدة، إضافة إلى ثقافته الأدبية والتاريخية والاجتماعية، وفي الوقت نفسه يُعدّ كاتباً متأدّباً. يظهر ذلك من خلال الآيات والأحاديث التي ذكر طرفاً منها؛ والأبيات الشعرية الفارسية والعثمانية والأمثال العربية التي يذكرها في مناسبات عديدة. الخ

عملي في الكتاب:

١- قمتُ بترجمة الكتاب من اللغة العثمانية التركية إلى اللغة العربية، متقيّداً بالمبنى والمعنى ممّا أورده الكاتب، سواء أكان الكلام الذي يأتي به صحيحاً أم خطأ. غير أني أدوّن أسماء المدن والأعلام بشكل صحيح، واضعاً فيما يخص الأماكن بين قوسين هكذا ( )، وأسماء الأعلام بين شولتين هكذا « ».

٢- خرّجتُ الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة من مصادرها.

٣- علّقتُ على بعض الأماكن، من خلال المصادر المتاحة.

٤- قمتُ بوضع عناوين فرعية جانبية لبعض الفقرات التي كانت

بحاجة إلى عنوان. وقد وضعتُها بين قوسين هكذا [ ].. والجدير بالذكر أن القوسين [ ] يدل على أن الكلام للمترجم، سواء ورد في متن الكتاب أو في الهامش..

٥- وردت بعض أبيات شعر أثناء المتن، فدوَّنتُها كما هي، نظراً لأن غالبية الكلمات الواردة فيها كانت باللغة الفارسية التي لا أُلِمُّ بها..

٦- وضعتُ فهرساً للموضوعات وآخر للأعلام وثالثاً للأماكن والبلدان في نهاية الكتاب..

هذا.. وقد بذلتُ الجهد في إخراج هذا الكتاب من رفوف المكتبات والنسيان إلى حيز الوجود، وبشكل خاص لتقديمها لاستفادة المتخصصين.. والآراء الواردة فيه راجعة بالضرورة للمؤلف.. فإن كان ما قمتُ به صحيحاً فمِن الله، وإن لم يكن كذلك فمن نفسي، وأستغفر الله العظيم من كل الذنوب.. وأرجو من القرّاء الكرام الصفحَ والسماح عن الخطأ والزلل، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين..

الرياض ١٣ ذو القعدة ١٤١٤هـ　　　　سهيل صابان (حقي)

ترجمة المؤلف

لم أجد للمؤلف ترجمة من خلال ما بحثتُ من كتب التراجم العثمانية والتركية. إلا أنني وجدتُ مقتطفات من حياته في كتابه الذي بين أيدينا، إضافة إلى مصدر آخر عَزا إلى اسمه بعضَ الكتب، أذكرها في نهاية هذه الترجمة..

فمما ذكره المؤلف في كتابه الذي بين أيدينا أنه تخرج من المدرسة (الكلية) الحربية في (استانبول) في العام المالي ١٣٠٠ [١٣٠٢هـ]. وأنه عُيِّن برغبة منه في الفيلق السابع للجيش العثماني. وعمل فيه إحدى عشرة سنة، قدّم خلالها خدمات حسنة، وأظهر تفوّقه على أقرانه في المهمات التي عهدت إليه.. ثم أرسل إلى (بور سعيد) للعمل في مينائها، ونُقلَ بعد فترة لفيلق الجيش السادس الموجود في (البصرة). وعمل فترة في (اليمن)، ثم أرسِل ضمن قوة (القصيم) المتنقلة إلى منطقة (نجد)، وأصبح قائداً [illegible] لمّا رأى أنه لا يستطيع القيام بمهمته كقائد، وبخاصة في تحقيق ما كان يصبو إليه من إيجاد ذات البين بين القوات المتناحرة في منطقة (نجد)؛ فرّ من الجيش بمساعدة «صالح المهنا» في الرابع من التشرين الأول من العام المالي ١٣٢١ [١٣٢٣هـ]، متجهاً إلى (الكويت)، حيث قابل فيها «مبارك الصباح»، ومن هناك اتجه إلى (محمرة)، حيث التقى خلالها بنائب «خذعل خان» - حاكم محمرة -، ومنها إلى (بومباي)، حيث وصلها في الخامس من التشرين الثاني من العام المالي ١٣٢١ [١٣٢٣هـ]. وبذلك ترك الحياة العسكرية التي قضى فيها إحدى وعشرين

سنة، دار خلالها مختلف مناطق الجزيرة العربية..

ومما يظهر من مقدمة الكتاب أن المؤلف سافر إلى (مصر)، حيث أشار في نهاية المقدمة أنه كتبها في مصر في عام ١٣٢٤هـ (١٩٠٦م).

مؤلفاته:

١- الكتاب الذي بين أيدينا، وعنوانه الأصل «نجد قطعه سنك أحوال عموميه سي». نُشر في استانبول عام ١٣٢٨ من قبل مطبعة أبي الضياء.

٢- الكويت. ولا توجد لدينا أي معلومات عنه، سوى ما أشار إليه في الكتاب الذي بين أيدينا.

٣- يظهر أن له كتابَ «دُود المدينة». وهو يقع في ست عشرة صفحة مصورة، نشرته مطبعة قدر في استانبول عام ١٣٣٠ (١٩١٤م).

٤- ومما يظهر أيضاً أن «سالنامة اليمن» (الكتاب السنوي لولاية اليمن) قد صدر منه بجهوده: العدد الثالث (لعام ١٣٠٤هـ/ ١٨٨٧م) بمشاركته مع «حسن حلمي كريدي»؛ والعدد الثامن (لعام ١٣١١هـ/ ١٨٩٣م) بمشاركته مع «مصطفى حلمي»..

المقدمة

نتيجة للتلقينات والتدخلات الخارجية في شؤون الجزيرة العربية في هذه الفترة، أخذ العوارض والقصيميّون أسلحتهم، فقاموا بطرد الدولة العثمانية من بلادهم ممثلة في موظفي أمير الشمر «عبد العزيز الرشيد»، بغية الخلاص من سيطرته، وتخليص أرواحهم وأموالهم من أياديه، وذلك في أوائل تشرين ثاني من العام المالي ١٣١٩. وبذلك تخلصوا من سطوة عبد العزيز آل رشيد. أما الأمير فقد كان يكسب رضى وتوجهات الذات الشاهانية (السلطان) ويحصل على الإحسانات منه، مقابل تقديم عدة أفراس إلى المَابَيْن[1] [الحكومة] في كل سنة، من تلك التي نهبها من البدو ومن الأهالي باسم «الغزوة». وفي الوقت ذاته لم يكن «[عبد العزيز] الرشيد» يرمي من القيام بتقديم تلك الهدايا المنهوبة من الأهالي إلى أمير المؤمنين وعرض الطاعة والخضوع له، إلا لستر نواياه الرامية لتأمين استقلال منطقة نجد [فيما بعد].

ولمّا ورد إلى أسماع السلطان القيام العام للأهالي في وجه إدارة «عبد العزيز الرشيد» بمنطقة (نجد)؛ أصدر فرماناً بإرسال قوة عسكرية إلى المنطقة، للحفاظ على حقوق «آل رشيد».

ومع أن هيئة الوكلاء [الوزراء] عرضت عدم جدوى إرسال قوة

---

١) المابين: إدارات الدولة الواقعة خارج الحرم (السلطاني) العاملة للشؤون الخاصة والأمور المتعلقة بالدولة، في (استانبول). انظر:

-Hayat büyük Türk sözlüğü,sy:799

وزارن: حسين مجيب مصري:- معجم الدولة العثمانية. ص ١٨١ مادة (مابين). (المترجم)

عسكرية إلى المنطقة المذكورة، إلا أنه لم يلق قبولاً. فارسلت قوة عسكرية قِوامها أربعة كتائب وسَرِية مدفعية وخمسة وعشرون خيالاً، ورُمي بنا بِإبِل الأمير - مثال رمي الحجارة بالمحراث - إلى الجزيرة العربية.

ومع كون هذه القوة تفتقرُ إلى مركز عسكري ترتبط به، كانت محرومة أيضاً من وسائل النقل بل وحتى من وسائل الاتصال. يضاف إلى ذلك أن تأمين خط الرجعة الذي يعدُّ أهمَّ من سوق الجيش، وتأسيس خطوط المنازل [في الطريق] لم يُحسب لها حساب.

وقد أصبحت هذه القوة آلة طيِّعة لتخريبات «ابن الرشيد» لمدة سنة ونصف، مع أن توديع قوة عسكرية منتظمة لإمْرة بدوي لم يكن مسموعاً به من قبل. وكانت المصائب التي تحمَّلتها هذه القوة في تلك المدة لم تكن هناك قوة عسكرية أخرى تعرَّضت لمثلها من قبل.

[فمن تلك المصائب] أن كل فرد من أفراد الجيش كان يُعطى [في اليوم الواحد] سبعين غراماً من الدقيق، ولمدة أربعة أشهر. وفي حالة فقدانه - وكان يحصل في كثير من الأيام - كان مَرَق لحم الجذور يَدفع رمَق الجوع. وإن لم يتوافر لحم الجذور أيضاً كان الاعتماد على جمع الجراد من الصحراء فتتم الإعاشة به. ونتيجةً لتلك المصائب أن دُفن أكثر من ستمائة نفر من أولاد الوطن في قرية (جهفة).

وكان أفراد الجيش الذين اندهشوا من تلك المصائب ووجدوا في أنفسهم قوة للتحمل؛ انتشروا في صحارى الجزيرة العربية الواسعة الخالية من المياه والسكنى، كحل أخير للنجاة بأرواحهم، إلا أن نهايتهم كانت أليمة؛ حيث أصبحت نعاشهم لقمة للطيور والوحوش، وهلكوا في

سبيل لا شيء.

وبعد أربعة أو خمسة أشهر من قدومنا (إلى الجزيرة العربية) لم تبق على أجسام الجيش لباس تستر عورتَه. وقضوا فترة ستة أشهر وهم يَئِنّون في الجوالق وفي حالة شبه عاريين. وكان النظر إليهم يوحي بأنهم كتلة من الدم السائل، وليسوا فرداً أو أفراداً من جيش الدولة العلية. بل إن الشحاذ لا يقبل الظهور بهذا اللبس بتاتاً.

وقد نزلت قوتنا إلى أربعمائة وخمسين نفراً بعد مرور ثمانية أشهر، من مجموع ١٩٢٣ نفراً يوم قدومنا من (سماوة)، وذلك نتيجة الجوع والتعب والنصب. ولو أن «عبد العزيز الرشيد» قام بصرف ألف ليرة على الجيش، من مجموع خمسة وعشرين ألف ليرة نقداً من أموال الشعب حصل عليها من الدولة، وذلك بتوفير المواد الغذائية من (المدينة المنورة) و(نجف)، كان بالإمكان تحسن وضع الجيش واستعادة نشاط ألف وخمسمائة نفر من أفراده.

وطلب العون من الذي يتلذذ بتعذيب بَني جنسه، يُشبه طلب منح الحياة من الجلاد الذي يفتخر بمهنته. وكان «عبد العزيز الرشيد» يحصر همته في إهلاك أولئك المساكين من أفراد الجيش في أقرب وقت ممكن، ويقودهم حيث يرى مأربه، بَدَل أن يقوم باستضافتهم. وقد تأكد المشير «أحمد فيضي باشا» لما وصل إلى (القصيم)؛ من أن «عبد العزيز الرشيد» كان السببَ الرئيسَ في إتلاف ذلك الجيش، حيث قام بنهب أرزاقنا الموجودة في (نجف) و(المدينة المنورة) عن طريق وكلائه وأمام عيون الجيش وصرخاته.

وكما ورد في المَثَل «الواقع في البحر يتمسك بالحيَّة»؛ فإن أفراد

الجيش الذين لم يكن لهم ملجأ؛ لمّا راجعوا مُرُوّة الأمير بغية دفع جوعهم [وتأمين رمق العيش لهم]، كان يطردهم بذل وصغار، [بعبارة] «انهج يا صليّب»[(١)].

ظالم اشـك تـظـلم ظلمـني تزيـد أدر

صو وريلدكجه حديده أول قدر حدتلنير[(٢)]

وسبب تحقير الشعب العثماني وعيشه الضنك تحت إدارة ظلم واستبداد رؤسائه بهذه الدرجة هو الطاعة العمياء لهم. إلا أن الأمل بالله قوي في أن القيام بتوعية هذا الشعب، سوف يُبعدهم عن تنفيذ مآرب أولئك الرؤساء، ويحترزون بذلك من إراقة دماء إخوانهم في الدين، وبذلك يتخلى المسلمون عن الاقتتال.

ومع تقديم الشكوى وعرض ما قام به «عبد العزيز الرشيد» وأعوانه من ظلم على أفراد الجيش وبيان سيئاتهم، على المسؤولين وعلى المابين؛ فقد قُدِّمت إليه ثلاثة آلاف ليرة مكافأة له، وحصل على راتب مقداره خمسة وعشرون ألف قرش. وفي هذه الأثناء التي أسرفت فيها تلك العطية الشاهانية؛ كانت القوة العسكرية - التي أطلق عليها أولاد السلطان المعنويين - حصلت على راتب واحد مع مرور تسعة عشر

---

١) انهج يا صليب: يعني انقلع يا صليبي. والصليب قوم من الغجر يتجولون في بادية الشام، ولا يتعرض لهم العربان. أما الأمير فقد استولى منهم على مثني إبل، ولما لم يروا إمكانية استعادتها، اضطروا على الفرار فولّوا هاربين إلى قرية «شنانة» تخليصاً لأرواحهم.

٢) يعني أن الظالم على حمار الظالم (أو التدخل في شؤونه) يزيد من ظلمه، كما أن إسقاء الحديد بالماء يحدّه مثل الأول.

شهراً [على مَقْدَمهم].

[هذا..] وقد قمنا في هذا الكتاب ببيان أوضاع (نجد) الجغرافية وأحداثها التاريخية، وتقديم معلومات مُستوفية عن هذه المنطقة، وتوسّعنا في شرح وضعها العسكري. وألحقنا به رسالة صغيرة لـ«محمّد بن عبد الوهاب»[(١)] وخريطة مفصلة [عن منطقة نجد][(٢)].

وقد ظهر هذا الكتاب بهذه الصورة بعد تسجيل المعلومات التي حصلتُ عليها على حساب حياتي، والمساوىء التي تعرَّضتُ لها والتي سبق ذكر [بعضها]. وبناءً على الوظيفة الرسمية، فقد كنتُ داخل خضمّ هذه القضية منذ بدايتها وإلى أن انتهت. لذلك فإن لهذا الكتاب قيمة كبيرة في نظري، كما أني اعتبرتُ الكشف عما يجري في هذه المنطقة وعرضها على الناس واجباً إنسانياً، ينبغي عليَّ القيام به. ولهذا السبب فقد تجرأت القيام [بتأليف] هذا الكتاب ونشره لأداء ذلك الواجب والإسهام قدر الطاقة في إيقاظ المواطنين..

مصر:

٩ نيسان سنة ١٩٠١م

توقيع

حسني

---

١) لم تظهر رسالة للشيخ محمّد بن عبد الوهاب في ثنايا الكتاب. وقد اعتذر المؤلف للقراء بأنه لسبب من الأسباب صرف النظر عن نشرها، كما ذكر في خاتمة الكتاب، «المترجم]

٢) لم تظهر من ملاحق الكتاب سوى خريطة واحدة، هي خريطة مواقع الطرفين في معركة (البكيرية) (المترجم)

وضع نجد الجغرافي

جغرافية المنطقة * العوارض * الوديان * الطرق * وسائل النقل * المحصولات الزراعية * الحيوانات * الغابات * المعادن * المناخ * التجارة * الصناعات * عدد السكان * المساكن * المذاهب * أجناس [الناس] * أصول الإدارة * الواردات * الصادرات *

□□□

جغرافية المنطقة

تطلق (جزيرة العرب) على الأراضي الواقعة بين خطَّي الطول ٣٣ر٢ و ٥٧ر٤ وخطَّي العرض ١٢ر٤٠ و ١٣ر٤٥. ويحُدُّها من الشمال القسم الجنوبي من ولايتَيْ (بيروت) و(سوريا) وسنجقية (شهرزور)، ومن الشمال الشرقي نهر «الفرات»، ومن الشرق «شط العرب» وخليج (البصرة)، ومن الجنوب المحيط الهندي وخليج (عدن)، ومن [الجنوب] الشرقي خليج (مسقط) والمحيط الهادي، ومن الغرب البحر الأحمر وخليج وقناة السويس.

أما منطقة (نجد) فهي وسط جزيرة العرب، ويحدها من الشمال بادية الشام، ومن الشرق منطقة (الإحساء)، ومن الجنوب الصحراء المسمَّى بالرُّبع الخالي، ومن الغرب منطقتَي (عسير) و(الحجاز).

وهذه المنطقة تنقسم إلى أحد عشر إقليماً هي: الفرع، الخرج، العارض، المحمل، السدير، الوشم، القصيم، الجبل، الجوف، الأفلاج، الوادي الأقصى.

فمركز إقليم الجوف الواقع في منتهى الشمال الغربي هو قرية (دومة). وترتبط بها (سكاكا) و(القاره).

ومدينة (حائل) هي مركز (الجبل). وتتكون قُراها من: السليمي، سميرة، الروضة، المستجدة الخلفية، القصر، القفار، الغزالة، سبعان، طابه، فيد، الكهفة، بقعة، وجيد، لقيطة، اجثامية، جبة، موفق، وجفيفة.

ومع أن قُرى (حايط) و(حويط) و(تيماء) تابعة لإمارة الجبل إلا أنها واقعة في منطقة الحجاز.

ومركز منطقة (القصيم) مدينة (بريدة). ويطلق اسم «الخبوب» على بساتين النخيل المنشأة في المنحدرات الواقعة بين التلال الرملية المتعددة المتكونة في أطراف هذه المدينة. وتبتعد الواحدة عن الأخرى مسافة خمسة عشر دقيقة أو نصف ساعة. وهذه الخبوب ثلاثون خباً هي: الروض، خب البريدي، ميريجسية، خب العوشز، خب عزازين، لسيب، قصيعة، هراس، نقرة، نقرة العودة، بقرة السلمان، نحلات، حضيرة، خب القير، وهطان، روضان، خب الحلوة، الحمر، عريمض، خب المنمي، الخضرة، رواق، سباخ، بصر، عاقولة، الشويعر، غماس، حويلان، سادة، جفيرة. وتوجد في بساتين النخيل تلك قرى صغيرة، تتكون من عشرين داراً، كما توجد بها قرى كبيرة تتكون من عدة مئة من المنازل. إلا أنها تطلق عليها التسمية نفسها «خب». وما عدا تلك الخبوب تتكون منطقة (القصيم) من القرى التالية:

صبيح، نبهانية، مسجة، نفي، أثلة، مذنب، عوشزية، شماسية، بيعية، نبجية، عين ابن فهد، نفجة، بطاح، رسيسي، رويضة، بدايع،

رياض الخبرة، الخبرة، هلالية، جندلي، البكيرية، الشيحية، قرعة، النهدية [أو الهدية]، العيون، الروض، الناف، وثال زلفي، طريف، تنومة، الحنيظل، ابالدود، طرفية، هدية، قصيبة، كوار.[1] أما بلدة (عنيزة) فمع كونها واقعة في وسط (القصيم) إلا أنها لا ترتبط بإمارة (القصيم)، بل هي إمارة مستقلة تتكون من خب: وادي العمران، الوهلان، وادي أبو علي يروغاني وقرية (الشبيبة).

ومركز الوشم (الشقراء) وقُراها هي:

رغبة، الحريق، الداهنة، الجريفة، القصب، نخيل، الفرعة، أشيقر، أثيثة، مرات، ثرمدا، قراين، عين الصوينع، وثيلان، السر، الفيضة، البرود، شرقة، الدوادمي، الشعرة، القويعية، الرويضة.

ومركز السدير مدينة (المجمعة)، وتتكون من القرى التالية:

الغاط، الخيس، روضة الخيس، ظلم، حرسة، جلاجل، تويم، عشيرة، داخلة، الروضة، حوطة، الجنوبية، الحصون، خطامة، عطار، العودة، تمير.

ومركز المحمل مدينة (ثادق)، وتضم قُرى: برة، ضرمة، الملهم، جرينة، حريملاء، القراين، دقلة، الحسي، البير، الصفرات.

ومركز العارض قرية (الرياض). ونظراً لكونها مركزاً لأئمة الوهابية فلها أهمية معنوية. وقراها: عيينة، جبيلة، الدرعية، عرجة، منفوحة،

---

1) يُطلق أهل نجد على أهالي منطقة القصيم «عكيل». وسبب هذه التسمية هو كون أهل القصيم كانوا يعملون في شرطة الهجانة. وكان يطلق على العاملين في شرطة الهجانة من الأهالي في داخل ولاية الحجاز عكيل.

سدوس وحائر.

ومركز الخرج مدينة (الدلم). وترتبط بها قُرى: سليمية، الامامة، نعجان.

ومركز الفرع مدينة (الخريج). وقراها: نعام، حوطة، حلوة.

ومركز الأفلاج (ويطلق عليها أيضاً الدواسر الأدنى) «السيح الحامد».

وقراها: ليلى، وسيلة، الحرف، العمار، الروضة، مروان، الحمر البديع، الهدار، الخيل، خيبر.

ومركز «مسارة» مدينة (السليل). وقراها: الدواسر الأقصى، تمرة، خفيجان، حمدة، الشرافة، رجبان، خماسين، الولامين، فرعة.

□□□

العوارض:

تُعد منطقة (الجبل) أكثف مناطق نجد جبالاً. ومن أهمها جبال: سلمى، عجا، رماز، قفار، حرة، قنا. وأكبرها هو جبل «عجا»، ويمتد بين قرية (موقعة) و(لقيط) وطوله ثلاثون ساعة.

وطول جبل «سلمى» الممتد بين قرية (الروضة) و (بقعة) عشر ساعات. أما مواقع الجبال الأخرى فقد أشير إليها في الخريطة الملحقة بالكتاب.

وأهم سلسلة جبلية في منطقة نجد هي جبال «الطويق» و«العرمة». فالطويق يبدأ من رملية «الدهناء» القريبة من بوابة «جراب» الواقع في ثلاث ساعات من شرق رملية «ثوران» ويمتد إلى (الأفلاج) باتجاه الشمال إلى الجنوب، ويتحوَّل بين قريتي (الحمر) و (البدار) باتجاه الجنوب الغربي ثم يمتد إلى شمال منطقة (عسير).

أما جبل «العرمة» فيبدأ من شرق قرية (المجمعة) بخمس ساعات ويمتد من الشمال إلى الجنوب بمحاذاة سلسلة جبل «طويق»، وينتهي في شمال قرية (الحائر) التابعة لمنطقة (العارض).

وما عدا السلاسل الجبلية تلك يجدر ذكر جبل «العرض» الواقع في الجنوب الغربي من قرية (القويعية) التابعة لـ(الوشم)، حيث يمتد عرضه مسافة عشر ساعات وطوله خمس عشرة ساعة، مما جعله عارضة طبيعية. وكذلك جبل «جبيلة» الواقع في أطراف قرية (نفي). أما العوارض الطبيعية الأخرى فهي عبارة عن تحويلات أرضية، ترتفع خمسة أو ستة أمتار. وتخلو جبال (نجد) من الأشجار والأعشاب. وتوجد العشب المسمى بـ«النصي»(1) بين الأدغال الموجودة في مواقع تراكم المياه بكثرة.

غير أن العوارض الطبيعية في هذه المنطقة هي سلاسل التلال الرملية أكثر من الجبال. وأهمها هي تلة رملية «الدهناء» التي تبدأ من الجنوب الغربي من قرية (طويه)، وباتجاه الغرب متحولة من غرب قرية (حفيفة) إلى الشرق مارة من شرق شمال مدينة (المجمعة) بمسافة ثماني ساعات، تاركة جبل «العرمة» في جهة الغرب بمسافة خمس ساعات وبمحاذاته باتجاه الجنوب، ثم تستمر إلى مرعى «السهبة» حيث تتجه من شرقها إلى الجنوب الغربي، وتمر بين قرية (يبرين) و بقعة «الغرع»،

---

1) النصيّ: نبت سَبْط من أفضل المراعي. واحدته: نَصِيَّة. المعجم الوسيط / لفيف من الباحثين. -- ط2. -- القاهرة: دار إحياء التراث العربي، 1973م: 2/127 مادة (نصا) (المترجم).

متجولة مسافة ثلاث عشرة ساعة من جنوب شرق قرية (ليلى)، وتمتد بمحاذاة جبل الطويق إلى أن تنتهي في «الدواسر الأقصى».

ومع أن «الدهناء» صغير في مبده إلا أنه يتسع إلى أن يصل عرضه إلى اثنتي عشرة ساعة وذلك في جوار آبار «لينة». ويتجاوز ارتفاعه أربعين أو خمسين متراً، غير أنه ينزل في جوار منطقة (السدير) إلى أقل مستوى له من الانخفاض، ثم يرتفع بعد ذلك ويتوسع، بحيث يصل عرضه في جوار (العارض) إلى ثلاث وأربعين ساعة، ويصل ارتفاعه إلى ثلاثين متراً، ثم ينخفض للمرة الثانية في (الدواسر)..

والرمليات الجديرة بالذكر بعد رملية الدهناء، هي «صعافيج» و«ثويرات». فسلسلة رملية «صعافيج» تتشعَّب من «الدهناء» في جوار (مستوي) إلى عدة شعب ممتدَّة باتجاه الجنوب، مارة بقرية (الشماسية)، وتنتهي في أطراف (عنيزة).

أما رملية «ثويرات»، فتنفصل من «الدهناء» في الشمال الغربي من قرية (الزلفي)، وتمتدّ إلى شمال قرية (رغبة). ونظراً لأن هذه الرملية ترتفع ما بين أربعين وسبعين متراً؛ فإنها تشكل عارضة [طبيعية] كبيرة. فسلسلة التلال الرملية في منطقة (نجد) هي تلك. أما الرمليات الأخرى التي [تعتبر كبيرة نوعاً ما] وتشكل مانعاً [طبيعياً] فهي: التلال الرملية التي تشغل حيزاً يقدَّر بأربعين أو خمسين ساعة من الأراضي المحيطة بـ(بريدة)؛ والرمليات المحيطة بمدينة (عنيزة) و(البكيرية)؛ والرمليات الواقعة في شمال مدينة (الرياض) بمسافة أربع ساعات بالقرب من آبار «بنبان»؛ والتل الرملي الواقع شمال آبار «شعيبة» والذي يمتد

ثماني أو عشر ساعات ويرتفع اثنين وأربعين متراً..

والجبال الرملية في منطقة (نجد) ليست متحركة وإنما ثابتة، غير أنها في أثناء العواصف الشديدة تنتشر الرمال الموجودة في قممها إلى الأطراف. أما الرمال الواقعة في جوار قرية (جهفة) فمتحركة، ويتبع موقعها وشكلها الرياح في شدتها واتجاهها.

ولون الرمال الموجودة في هذه المنطقة إما ترابي أو باللون الأبيض. فالأبيض لا يظهر عليه أثر للحياة. وتلك الجبال الرملية التي لونها لون التراب مَراع للإبل. وعلى وجه خاص نظراً لعدم جفاف مياه الأمطار في الحفر الموجودة بين الجبال الرملية، تكثر فيها الأعشاب.

□□□

الوديان

لا توجد في هذه المنطقة أنهار جارية. وإن كانت هناك بعض منابع المياه، غير أنها لا تشكل مجرى على سطح الأرض؛ نظراً لقلة المياه وكون الأراضي رملية، فتجري تحت الرمال. وهي على هذا النحو: توجد في القرب من قرية (صبيح) عين يسمى «الفوارة». ونظراً لكون هذه البقعة ممراً للبدو، وعدم إمكانية الاستفادة منه في زراعة أو تأسيس قرية، فقد تُركت على حالتها الطبيعية، فتكوّن مستنقع أثّر في جو البقعة. إلا أن البدو يستفيدون منها في إسقاء إبلهم ورعي مواشيهم.

وكانت المياه الجارية الموجودة في قرية (قصيبة) وحواليها العاملَ الأساسَ في تكوين مزارع النخيل، وتأسيس القرى.

وبالرغم من أن المنبع المذكور داخل مدينة (الخرج)، أهم العيون [في المنطقة] إلا أنه لا يستفاد منها؛ نظراً لكونها واقعة تحت سيطرة

بدو «السبيع» و«السهول»، فتركت النباتات الموجودة في أطراف المستنقع مرعى، مع أن أرضها منبتة وصالحة للزراعة.

إلا أن أهالي قرية (العيون) و(عين بن فهد) يستفيدون بحق من العيون الموجودة في قراهم. كما أن الماء الجاري في مدينة (السيح الحامد) أدى إلى تشييد البساتين وأشجار النخيل. وهكذا يستفيد سكنى قرية (عين الصوينع) و (السر) من العينين القريبتين من قريتَيهم.

ومياه هذه المنطقة الجارية هي تلك، أما ما عداها فهناك وديان جافة، تمر فيها المياه الواردة من ولايتَي (الحجاز) و(سوريا) المتجمعة فيها، ومياه الأمطار التي تمر بالمنطقة ثم تصب في خليج البصرة، فيتم حفر الآبار فيها أو بالقرب منها، فتُسقي الحقول والمزروعات منها. وتقل مياه تلك الآبار في جفاف موسم الصيف فتنزل إلى ثلاثة أمتار، غير أنها لا تجف. وفي الآبار التي تحفر يتم تصادف مجرى الماء في عمق عشرة إلى عشرين متراً.

والأهالي في هذه المنطقة يشربون مياه الآبار على الغالب. ونظراً لكونها يحتوي على الكلس فهي مضرة للصحة. [غير] أن مياه بعض الآبار عذبة. ومياه الأمطار التي تتجمع في خط تراكم اجتماع مياه الجبال المتسلسلة في الحجاز والتي تصب في خليج البصرة، تتراكم شيئاً فشيئاً في نطاق تلك الجبال إلى أن تصبح سيلاً يمر من مدينتي (الرس) و(عنيزة)، وتصب في خليج (الكويت) بع أن تقطع «دهنة». ويسمى القسم الذي يقع بين (الحجاز) ودهنة «وادي عنيزة»، والذي يقع بين دهنة و(الكويت) «وادي بطن».

والسيول التي تصبّ من سلاسل جبال «طويق» في جوار قرية

(حيسية) تمتد إلى «السهبة»، ويسمى هذا الوادي «وادي حنيفة» أو «وادي مسيلمة». ويكوّن امتداد مياه الأنهار والأمطار القادمة من شرق (سوريا) والتي تصبّ في خليج (البصرة) وادياً طويلاً جافاً، وتتوجه من الغرب إلى الجنوب الشرقي فتصبّ في آبار «الحفر»، والفرع الذي يتوجه منها إلى الجنوب، يمُرّ بقرية (الهفوف) وغرب شبه جزيرة (قطر)، فتصبّ في خليج «عديد». أمّا الفرع الآخر المتوجه إلى الشرق فيصبّ في خليج (الكويت). ويسمى القسم الواقع بين آبار «حفر» و«عديد»: «وادي المياه». ويوجد كثير من الآبار على مجرى السّيل هذا، ويظهر ذلك واضحاً في الخريطة الملحقة بالكتاب.

□□□

الطرق [المواصلات]

يُعد كل شيء في منطقة (نجد) على حالتها البِدائية. ونظراً لكون موانعها الطبيعية عبارة عن الجبال الرملية؛ فإن معرفة ممرات السلاسل الجبلية ومواقع مجرى المياه كافية لمعرفة الطريق والسير. وبناء على الحاجة الماسة للمياه في استمرار الحياة، فقد تم حفر الآبار من قبل المسؤولين الذين كانوا يجولون في هذا الصحراء، وبذلك تكونت منازل الطرق. إلا أن التخطيط لحفر تلك الآبار أُعِدَّ لحاجات الإبل وليس لحاجات الإنسان وحياته، مما جعل المسافةَ بين تلك الآبار تقدّر بثلاثة أو أربعة منازل.

والمدن التي يتوجه إليها الأهالي في هذه المنطقة هي: (نجف)، (سماوة)، (حديسية)، (الزبير)، (الكويت)، (الهفوف)، (مكة المكرمة)، (المدينة المنورة)، (الشام). ومع انعدام الطرق الرسمية (الصناعية) في

(نجد)؛ إلا أن الأهالي يُلمّون باتجاه المدينة التي يودّون الذهاب إليها، بالنظر إلى اتجاه المدينة والتحولات الأرضية في هذا الاتجاه، فيروحون بقوافلهم نهاراً دون ضياع. ونظراً لكون تلك التحولات الأرضية يشبه بعضها بعضاً، وعدم وجود علامات في الطريق؛ فإن اليقظة ضرورة لابد نها. وأكثر من يعرف طرق هذه المنطقة هم الصُّليب. أما البدو فيعرفون المراعي والمدن التي يتوجهون إليها والأراضي التي يغزون فيها فحسب.

والقوافل التي تتحرك ليلاً تتبع النجم القطبي المسمى «الجَدي». ونظراً لخبرة الأهالي من اتجاه الجدي بالنظر إلى استقامة الموقع الذي يودون السفر إليه؛ فإنهم يسيرون بجمالهم على الطريق نفسه للوصول إلى الموقع المذكور. فعلى سبيل المثال: إذا كانت هناك قافلة تتوجه من (حائل) إلى (نجف)، فإن اتجاه الجَدي في هذه الحالة يكون أمام خُرْجة الإبل، بحيث تصبح على شكل ملعقة مدورة بارتفاع ذراع إلى الأعلى.

وتنعدم الأمن في طرق (نجد)، إلا أن يُذهب بدلالة دليل من كل قبيلة [تقع علىالطريق]. فالقافلة التي تعتزم السفر من (المدينة المنورة) إلى (بريدة)، عليها استئجار دليل من كل قبيلة تقيم على الطريق، فتستأجر دليلاً من قبيلة حرب وآخر من مطير وثالثاً من عتيبة. مع أن الخطر كامن في حال حصول غزوة من قبيلة على تلك القبائل، وما عدا ذلك قد تكون هناك بعض القبائل لا تعترف بدليلها المرافق للقافلة، فتقوم بنهب أموالها. فعلى سبيل المثال فإن قبيلة مطير لا تعترف بالدليل..

والخلاصة أن التجول في (نجد) يعني الوقوع في خطر وانتظاره كل حين. ومن المناسب جداً في الوضع الراهن للإدارة العثمانية تعيين مدينتي (عديد) و (الحناكية) مراكز للجيش المُساق إلى منطقة (نجد).

والطريق المعتاد الذي يتم منه حشد الجيش مِن مُدُن (الهفوف) و(سماوة) و(الزبير) و(المدينة المنورة)؛ يُعدُّ طريقاً طويلاً، وآبار المياه عليه قليلة والرمال كثيرة. ولهذا السبب فإن اختيار قرية (الحناكية) مركزاً لحشد الجيش وسوقه يعد قراراً حاسماً، بالإضافة إلى الاستفادة من السكة الحديدية الحجازية. فالقوة العسكرية الكبيرة إذا تم سوقها من هذا الطريق، وقوة أخرى جزئية إذا أرسلت إلى (الرياض) عن طريق (عديد) و (يبرين)، نظراً لكون قبيلة الدواسر تنفر من عشائر (نجد) فإنها سوف تقدم المساعدات اللازمة، يضاف إلى ذلك أن نقل العساكر عن طريق (البصرة) سوف يُسهِّل المهمة. وهكذا فإن التفريق بين عشائر الشرق والغرب يعد نجاحاً جيداً في الحروب الناشبة بين العشائر؛ فعشائر الشرق لن تستطيع القيام بمساعدة عشائر الغرب نظراً لانشغالها بالحفاظ على أراضيها. وبالحركة العسكرية هذه يتم تشييد بناء مدينتي (عديد) و(يبرين) الخَرِبَتين، فتعودان إلى سابق عَهْدِيهِما. والجدير بالذكر أن سواحل (عديد) أكثر الأماكن التي يوجد فيها معدن اللؤلؤ في خليج (البصرة).

□□□

وسائل النقل

الإبل في منطقة (نجد) هي واسطة النقل. ولا يحمل حيوان غيرها في هذه الصحاري الواسعة الخالية من المياه والسكنى. وحتى حياة البغال التي يحاول الأهالي في هذه المنطقة الحفاظ عليها أكثر من أرواحهم، متوقفة على الإبل، التي تقوم بحمل قِراب المياه لها. ونظراً لكون الأراضي في (نجد) رملية فلا يمكن الاستفادة من وسيلة نقل أخرى.

□□□

المحصولات الزراعية

نظراً لكون قوة إنبات الأراضي في (نجد) على سطح الأرض، فإن حفر الأرض بعمق ما، يؤدي إلى إخراج الكلس والجبس على سطح الأرض، ليقوما بدورهما في القضاء على قوة إنبات الأرض، التي أسهمت فيها الشمس والمطر. ولهذا السبب فإن طول المحراث - وعادة يكون من الخشب - لا يتجاوز ذراعاً. وتتم حراثة الأرض بحيوان واحد. وتتم الاستفادة في هذا من جميع الحيوانات.

ومع أن الأهالي غير مُلمِّين تماماً بأصول الزراعة من خلط التراب بغيره لتقوية الأرض، إلا أنهم يخلطون الكلس بالتراب في نطاق الجبال، فتقوى الأرض. كما أنهم يُلِمُّون برش السماد في الحقول. إلا أنهم غير واقفين على خلط الرمل بتربة الأرض الصلبة، لتخفيف قوة التصلب فيها.

ونظراً لكون النجديين على درجة كبيرة من النشاط، فإنهم يقومون بتأمين حاجتهم إلى المزروعات من خلال الكمية القليلة من الماء الذي يخرجونه بحيواناتهم من الآبار، التي بذلوا غاية جهدهم في إيجادها. وبذلك لا يحتاجون إلى الخارج (في غذائهم)، وهي ميزة رائعة لهم.

ومع أن معيشة الأهالي تعتمد على الفلاحة، إلا أن أسعار الحيوانات التي حصلوا عليها بصعوبة ليست غالية. وكان الكيلو الواحد من القمح في الأعوام الماضية التي مرت بأمن وسلام عشرين باره [هللة] والشعير خمسة باره. ونظراً لصعوبة استيراد الذخيرة من الخارج، فإن الأهالي مضطرون لادخار تمويناتهم لعدة سنوات، حيث يستخدمونها لغذائهم في حالة القحط، أو وقوع نزاع أو خصام [مع القبائل].

ويقوم النجديون بحفظ الحبوبات الاحتياطية في المستودعات التي عملوها في الدور العُلوي من منازلهم، صيانة لها من أضرار الحشرات.

وبعد حراثة الحقول مرة يقومون بتقسيمها إلى مربعات بمساحة متري مربع، لتزييد جريان المياه وعدم تضييعها. ثم يتم تلييس ممر الماء بالطين الكلسي، للقضاء على مص الرمل. يضاف إلى ذلك أنهم يقومون بوضع جذوع النخيل بارتفاع نصف متر بشكل مكثف في أطراف القناة، لدفع الرمال التي تنثرها الرياح من دخولها.

ونظراً لكون البذور تُنثر في الأرض بمقدار سنتيم واحد؛ فإن العصافير بإمكانها إخراجها من الأرض بمناقيرها، مما يوجب الحراسة عليها لمدة ثلاثة أو أربعة أيام بعد إلقاء الزرع.. ومع بذل تلك الجهود والاهتمام الكبير الذي يُوليه الأهالي للزراعة، فقد تعصف الرياحُ بالرمال فتغطّي على الزرع ويفنى.

ولجريان المياه إلى الحقول والمزارع بشكل مستمر؛ فقد عَملوا أحواضاً كبيرة، مستطيلَ الشكل في القرب من الآبار، ولا يسقون الزرع إلا بعد امتلاء الحوض.

وتتم الزراعة في (نجد) بحساب النجوم. فبعد غروب نجم سُهيل بأربعين يوماً ينتهي موسم صيد اللؤلؤ، ويبدأ موسم الزراعة الشتوية بعد غروبه بثمانين يوماً، ويصادف ذلك الكانون الأول. ويتم حصادها في شهر مايو، وهو موسم [زرع] القمح والشعير. فتبدأ الزراعة الصيفية بطلوع نجم الثريا، ويصادف شهر حزيران، ويتم حصادها في شهر

ايلول. والزراعة الصيفية تشمل الذرة والدخن، ولوبية، بوكرولجه(١) والقمح المصري والشعير. فنجم الجوزاء الذي يطلع بين النجمين المذكورين إيذان بزراعة الذرة، وبطلوع نجم شعرا [هكذا] تتم زراعة الدخن (ويحسبون الفترة الواقعة بين طلوع تلك النجوم وغروبها مدة ثلاثة أسابيع).

ومزارع النخيل في (نجد) في غاية الانتظام والإتقان، كما أن تمورها في غاية اللذة، وإن كانت لا تصل إلى مستوى التصدير للخارج، غير أنها كافية للاستهلاك المحلي. وفي مزارع النخيل تلك تتم زراعة [الخضروات من:] البامية والبازنجان والكوسه والقرع والبصل والثوم والكراث والطماطم والخيار والشمام والحبحب.

ومن الفواكه التي توجد في (نجد) بكثرة: الليمون الحلو والرمان والتين والاطرنج. كما يوجد بها العنب غير، أنه ليس حلواً. وقد تمت تربية أشجار تلك الفواكه في مزارع النخيل، وليست هناك مزارع خاصة بها.

ونظراً لعدم إلمام الأهالي بأصول تقليم الأشجار وتلقيحها؛ فإن الفواكه ليست لذيذة، كما أن الأشجار لا تثمر كميات كبيرة من الفواكه.

ويوجد في (نجد) البرسيم بكثرة، للاعتماد عليه في غذاء كافة الحيوانات. ويستمر حصاده لمدة أربع سنوات بعد زرعه مرة واحدة.

ويتم استخدام حيوانين أو أربعة لإخراج الماء من الآبار حسب كُبر البئر وتوفر الماء. وهناك آبار يستخدم عليها ثمانية حيوانات.

---

١) لم أعرف معناها، مع الرجوع إلى قواميس اللغة التركية. (المترجم)

وينبت في الصحراء في نهاية موسم الربيع ما يطلق عليها اسم «جمه»[1] وهي [رزق] من الله، و[حجمها] أكبر من البطاطس وألذ منه. وهي تنبت في (ألمانيا) أيضاً. وتنبت الجمه في ألوان مختلفة؛ فمنها الأبيض والأحمر والأسود، ويطلق عليها حسب ألوانها «دومبولان» و«أفقع» و«زبيدة». إلا أن الأسود منها ألذ من غيره. وإذا نزل المطر على الأرض الخصبة فإنها تنبت وتنمو، وإذا استوت على سوقها خففت الرمال من فوقها وأظهرت مكانها للباحثين عنها. ويتم أكلها بالملح بعد تنظيفها وطبخها في الماء. كما يمكن طبخها باللحم المفروم والسمن. إلا أن ألذها هي حشو الديك الرومي أو الدجاج أو الغنم بها.. ومع أن الجمة ثقيل على المعدة إلا أنها مُغذّية ومقوّية، كما أن طعمها لذيذ.

وهناك نوع من الأعشاب تنبت في هذه الصحاري أثناء نزول المطر، يطلق عليها «نصي». وهي مفيدة للمواشي مثل الشعير والتبن..

□□□

الحيوانات

الإبل هي أكثر الحيوانات المتوافرة في هذه المنطقة. وتوجد في مجتمع البدو، يضم عشرين أو خمساً وعشرين خيمة ستمائة إبل. وإذا اعتبر عشرة إبل لكل واحد من البدو، وخمسة لكل واحد من الحضريين فإن مجموعها في منطقة (نجد) يصبح مليونين ونصف مليون من الإبل.. وهي غريبة في نمط عيشها؛ فهي لا تحتاج إلى الماء في الشتاء لمدة

---

١) اسمه بالعربية الفصحى (كم). إلا أن الأهالي في هذه المنطقة يبدلون حرف الكاف العربي إلى الجيم الفارسي. وإذا قيل (كم) لا أحد يفهم.

أسبوع، وإذا استمرّت على أكل الأعشاب في هذا الموسم فهي لا تحتاج لشرب الماء. وفي الصيف ينبغي إسقاءها مرة كل أربعة أيام.. وفي الأيام التي لا تشرب فيها الماء تَستخدم الماء الموجود في معدتها الثانية التي وهبها الله لها وحدها. وإذا وَجدت مرعىً جيداً فإنها تقوم بتخزين الطعام في سَنَامها. وإن لم تجد مرعى أو جاعت فإنها تستطيع التحمل لمدة شهر كامل بالطعام المخزون في جسمها. ونظراً لقوة حاسة [الشم] لديها فإنها تقوم بتخزين الماء للفترة التي تقضيها في السفر، وذلك بالنظر إلى المدة التي تُسقى فيها.

أما الإبل التي تستخدم في المزارع فهي تُسقى يومياً. وإذا أريد استخدامها في رحلة فيتم رعيها لمدة أربعة أيام ثم تسقى الماء، حتى تستطيع تخزين احتياطيها لمدة ثلاثة أو أربعة أيام، ثم تتحرك.

وتقطع الإبل في الدقيقة مسافة ٦٧ خطوة، في الحالات العادية. وطول خطوتها متر واحد. أما الهواجن من الإبل فتقطع مسافة اثنا عشر أو خمسة عشر كيلو متراً في الساعة. ونظراً لعدم صدور الصوت من أرجلها أثناء المشي، وصلاحها لركوب شخصين عليها مع تموينهما لمدة شهر، وسرعة سيرها، وبشكل خاص عدم حاجتها إلى حمل طعامها، كل ذلك من الميزات التي تمتاز بها الإبل، مما يجعلها صالحاً للاستخدام العسكري. إلا أنه ينبغي ربط فمها في الحالات الاضطرارية، حتى لا تصرخ. ومما يجدر ذكره أن إمكانية إناختها بمجموعات كبيرة في أمكنة ضيقة، وإخفاءها فيها، ثم ربط أرجلها وإمكانية قيام شخصين أو ثلاثة بالحراسة على ألفين أو ثلاثة آلاف إبل في تلك الحالة، يعد من المحاسن التي تتميز بها الإبل عن الخيول. وإذا اتُّخذ قرار باستخدام

الابل في الجيش الخامس والسادس والسابع وفرقة (الحجاز)، وإذا تم تشكيل عدة أفواج هجانة بدلاً من البغال والخيول، سيكون ذلك قراراً حاسماً. لأن الابل تخدم الجيش أكثر من الخيول والبغال.

وتكون ألوان الابل بيضاء، حمراء، سوداء وزرقاء. ونظراً لكون الابل الزرقاء حادة المزاج فهي غير مرغوب فيها. والابل الحمراء تستخدم للركوب والحمل. ونظراً لكون الهجين من الابل من جنس آخر فيطلق عليها اسم «الأخر». أما ما يطلق عليه اسم «الذلول» من هذه الابل الحرة، فهي لينة الطبع، سهل المساق، ويتم تعليمها لاستخدامها في السباق، وهي المستخدمة للركوب. وأشهر أنواع الذلول من الابل يتربى في منطقة (عُمان)، ويطلق عليها اسم «نعماني»، وتَسْوَى الواحدة منها أربعمائة (١) [ريال]، أما غيرها من الذلول فتُباع من خمسين إلى مئة ريال. وأنثى الابل في الصيف والذَّكَر في الشتاء يتحمل الطريق والحِمل أكثر من غيرها.

وابل (نجد) في الغالب بسنام واحد، ويقال: ذات سنامين من الابل (ويصادَف وجودها في منطقة الشام) أقوى من ذات سنام واحد. والابل السوداء تستخدم للحِمل. أما البيضاء منها فلا تصلح للركوب ولا للحمل. ويُربّى هذا النوع من الابل لتكون في مقدمة الابل أثناء الغزو، فتساعدها في الجري وراءها. وإن لم تتعلم الابل على المشي بمفردها، يستحيل فصلها عن القطيع.

وراعي كل قبيلة يُعلّم إبلَها على مقام معين من النغم أثناء الرعي

---

١) توجد هنا كلمة (باليه) ولم أعرف معناها. (المترجم)

وهو راكب على أحدها. فإذا سمعت الابلُ صوتَ الراعي تَبِعَته في السير، وتحركت مثل مركوب الراعي.

(وهناك قصة طريفة وهي:) أن خيالة فيلق الجيش الخامس قاموا بعد تعب شديد بأخذ إبل عشيرة «عنزة»، وجمعوها في (مَعان). وأثناء أخذ الضريبة بعد التعداد ظهرت عجوز، تطلب السماح بالعفو عن ناقتها التي تمتلكها من الضرائب. فاستجيب لرغبتها. ولما ركبت العجوز ناقتَها وجَرَت بها ورفعت صوتها بالغناء المعتاد لدى الابل المحجوزة؛ قامت الابل جميعها تستجيب النداء وتجري وراء العجوز. فقام الخيالة بغية منعها إلا أنهم لم يستطيعوا إيقافها. وبذلك ذهبت الجهود المبذولة في هذا الصدد سُدى. وقد ذُكرت القصة للعبرة، حتى لا يقع فيها الأصدقاء [من أفراد الجيش مثل ما وقع فيه زملاؤهم].

والأغنام في هذه المنطقة متوفرة بكثرة، وهي خالية من الصوف، حيث توجد على جلدها أشعار مثل شعر الماعز. أما الماعز فمع وجوده إلا أنه أقل من الأغنام.

وتوجد في هذه المنطقة أيضاً الأفراس العربية الأصيلة، غير أن أجسامها صغيرة. ويعود السبب في ذلك إلى عدم حصولها على الشعير فترة طويلة، والركوب عليها وهي صغيرة، وعدم حصولها على قسط من الراحة. ومع أن البغال تأكل الشعير خلال شهرين في السنة، وفي الشهور الأخرى تأكل [عشب] النصي، إلا أن لها قدرة فائقة على الجري. وأحياناً يصادَف أن تسير لمدة يومين أو ثلاثة أيام، وعلى ظهرها راكبها ودون أن يُقدَّم لها طعام أو شراب. ونظراً لكون تربية الحيوانات في هذه المنطقة مُكْلِفة؛ فإن لم تكن هناك حاجة الفحول للتكبير

الذكر، يتم إتلافه. ولا سيما أن المهر الذكر يَضرّ بأمّه، ولذلك يُمنع من حليبها بعد الأربعين. وفي أثناء ذلك وبعده يتم إرضاعه من حليب الابل.

ويوجد في (نجد) الثيران والأبقار والخروس والدجاج. أما الاوز والبط والديك الرومي فلا يوجد.

ولا يوجد فيها من أنواع الطيور سوى الحباري والحَمام والغُراب والعصفور. كما يوجد من الطيور آكلة اللحوم بكثرة، مثل الصقر والنسر. ونظراً لجريان القتال في هذه المنطقة بكثرة فلا تنقص في صحاريها الجثث. فتقوم هذه الطيور بأكل لحم الإنسان، وقد تأكد للعَيان أنها تقتصر على لحم الوجه ثم العيون ثم الذَّكَر ثم باطن القدم، وتترك الباقي.

ويوجد على جبال (نجد) نوع من الحيوان يطلق عليه اسم «البُدن» ويشبه الماعز البري، ولحمه لذيذ للغاية. إلاّ أنه غير مستعد للعيش بين الناس، فقد تم تربية بعض صغاره، ولما كَبُر وتُرك مثل الحيوانات الداجنة دون ربط، ولّى هارباً ليلتحق بأمثاله.. ويوجد أيضاً الأرانب والغزلان بكثرة. ولا يصادف في منطقة (نجد) القطط، نظراً لأن لحمها حلال.

ويطلق النجديون على الحيوان المسمى في الحجاز بـ«الضب» اسم «الجربوع». ويقوم هذا الحيوان ببناء عشه تحت الأرض، تاركاً مَنفذين إلى الفضاء، ليستطيع الهروب بسهولة، ويغلق المنفذين على نفسه من الداخل. إلاّ أن العرب ماهرون في إيجاد عشه؛ فأثناء السير على الجمال بإمكانهم التقاط عشه. فينزل الراكب من على بعيره، ويُدخل عصى في أحد الثقبين ويمسك به بيديه أثناء خروجه من الثقب الآخر، فيطبخه

ويأكله..

وإن لم يوجد في منطقة (نجد) من الحيوانات المفترسة الأسود والنمور، إلا أن العقارب توجد بكثرة. ولهذا السبب فإن العرب يُربُّون الكلاب، لقيامها بحراسة خيامهم.

وهناك حيوان يسمى «صقنقور»، وهو قصير الذيل، وأصابع قدَمَيْه متلاصقة، ولونه أصفر مائل إلى الأحمر. يعيش هذا الحيوان تحت الرمل، ويتم الإمساك به أثناء بحثه عن غذائه في المزارع أو المنازل. ويجففونه في الشمس، ثم يحفظونه. ونظراً للاعتقاد السائد بأنه يقوي الجسم فالرغبة فيه أكيدة في (إيران) و(العراق) و(مصر). ويُعمل منه معجون القوة. وفي بعض الأحيان يتم تقديم عدة صقنقور إلى الدجاج ثم يذبحونه بعد أربع وعشرين ساعة، فيطبخونه ويأكلونه.

□□□

الغابات

نظراً لعدم وجود الغابات في هذه المنطقة، فيتم زرع شجر يسمى «عثل»، ويحيط هذا النوع من الأشجار بكافة المزارع، ويوجد منه بكثرة في هذه المنطقة، نظراً لاستخدامه في البناء؛ فهو صالح للبناء في طوله ومتانته. كما أن لوحات هذا الشجر يستخدم في النجارة، نظراً لصلاحه في النحت والتلميع ومتانته، وإن كان غير ليّن بسبب قساوة أليافه. وينمو شجر العثل هذا ويكبر بشكل مستقيم في الأماكن التي لا تصادف جذورها الأحجار. ويظهر على أغصانه في بعض الأماكن (ثمر) من نوع الأرز يستخدم في الدباغة.

ونظراً لكثرة وجود شجر ذات أشواك في الصحراء يسمى «الرمث» و

«العرفج» و «الحمض»؛ فتتم الاستفادة من جذوره في المحروقات. وتقوم الابل بأكل أغصانه الطرية. ويفهم من سهولة احتراق هذا الشجر في حالته الخضراء أكثر من الأشجار اليابسة؛ أنه يحتوي في تركيبه على مادة مشتعلة.. ولا يتجاوز طول الأدغال في (نجد) متراً ونصف المتر. أما جذورها فأطول من أغصانها وأسمك.

□□□

المعادن

يوجد في قريتي (قرعة) و (شقيق) في (القصيم) معدن الملح الاندراني بكثرة. وإن كان يوجد منه في قرية (الجهفة) إلا أنه نظراً لاختلاطه بالرمال فغير مقبول.

ومن الأشياء المتواترة وجود الفحم الحجري في جبل «أجا». كما يوجد في سلسلة جبال «الطويق» وجبال «العرمة» آثار معادن الحديد والنحاس، إلا أنها لم يتم الاكتشاف عنها وإخراجها للتجارة حتى الآن.

□□□

المناخ

مع أن المناخ في (نجد) حار ويابس، إلا أنه أصح وأنفع من أجواء سواحل الجزيرة العربية الراطبة والحارة. ونظراً لتبدل اتجاه هبوب الرياح بشكل دائم، فليست فيها مواسم معينة. فالرياح الشرقية تهبّ مع الرطوبة، وأثناء مرورها من الصحراء تنشر براداً في أجوائها، نظراً لتبخر الرطوبة منها. وأثناء الأجواء العاصفة تؤدي إلى الإعصار. ودرجة الحرارة في هذه المنطقة في أبرد المواسم لا تقل عن عشر درجات منوية (فوق الصفر)، كما أنها في الحرارة الشديدة في موسم

الصيف ترتفع إلى أكثر من خمس وأربعين إلى خمسين درجة منوية في الظل. غير أن جو المساء والصباح فيها لطيف. إلا أن حياة الإنسان تكون في خطر إن لم يلتجيء إلى الظل بعد ثلاث ساعات من طلوع الشمس إلى غروبها، وذلك في شهور تموز - ايلول، نظراً لهبوب رياح سامّ فيها.. وفي هذه المواسم يمكن السفر نهاراً إلى الساعة الثالثة[١] صباحاً ومن بعد العصر إلى الغروب، ومجموعها ست أو سبع ساعات.

كما أن أثناء هبوب الرياح الشديدة والعواصف الرملية ينبغي على الراحل أن ينزل من راحلته فوراً ويدق بشكل قوي أوتادَ خيمته في الأرض في الحال، ويدخل فيها فيغلقها على نفسه بشكل مُحكَم وينتظر ختام العاصفة، أو يرقد على الأرض ويغطي رأسه بالكامل بغطاء سميك، ولا يقوم من مقامه إلا بعد أن يَصْفَى الجو تماماً. وإن بقي في العراء فمن المحتمل أن يؤدي الغبار الداخل إلى حَلقِهِ إلى الاختناق، كما وقع ذلك لأناس.

□□□

التجارة

تتكون صادرات منطقة (نجد) من الابل والأغنام والماعز والسمن والخيام المعمولة من الشعر.

ففي كل سنة يتم سوق قافلة من الابل إلى (الشام) وأخرى إلى (مصر). وأهل (الجبل) يتجهون إلى (نجف) و(سماوة)؛ وأهل (القصيم) ومنطقة (السدير) و(الوشم) إلى (الكويت)؛ وأهل المناطق الأخرى إلى

١) يظهر أنها بساعة الغروب. (المترجم)

(الهفوف). فيذهبون إلى تلك الأماكن بقوافلهم ويبيعون فيها إبلهم، ويأخذون في مقابلها الرز وما يلزمهم من أغراض، ويرجعون إلى بلادهم.

ويتم تصدير الخيول والبغال من (المدينة المنورة) إلى (الشام) و(مصر)، إلا أن كميتها قليلة.. وبما أن البغال تُعدّ من ألزم اللوازم عند النجديين؛ فإن بيعها [غير وارد بتاتاً] وتقابل إتلاف أرواحهم، غير أنهم يقدمونها هدية لبعض الشخصيات. ويمكن أن يصدَّر من الخيول أعداد كبيرة إن لم تتلف في الصغر. إلا أن أعدادها في الوقت الحاضر في (نجد) قليلة.

ونظراً لكون العتاد العسكري والأسلحة الحديثة من أهم ما يحتاج إليها النجديون؛ فإن تجارتها رائجة ومُربِحة. ويُعَدُّ مُدُنُ (محمرة)، (الكويت)، (وكرة)، (أبوظبي)، (مسقط) [من أهم] مستودعات العتاد العسكري والأسلحة [في المنطقة].

□□□

الصناعات

يوجد من بين أهالي (نجد) أصحاب جميع المهن التي يَحتاج إليها ساكنوها. إلا أنه ليست هناك مهنة شهيرة تختص بهم..

فيقوم الأهالي في هذه المنطقة بعمل الحصير والمُصَلّى والمراوح وصحون الفواكه والطعام والسفرة من أوراق شجرة النخيل. كما يعملون من النحاس دلة القهوة، ويزيّنون قبضة الأسلحة الجارحة بالفضة، وينسجون من الشعر الخُرْج وبيوت الشعر والسجادات.

□□□

عدد السكان

ينقسم عدد السكان في هذه المنطقة إلى بَدو وحَضَر. فالبدو هم الذين لم يقضوا أيامهم في بيوت مسقوفة، بل أقاموا في ظل بيوت شعر، نسجوها بأيديهم، ويسافرون على راحلاتهم. وهم يرحلون إلى الحواضر لتأمين حاجاتهم الضرورية كالمأكل والملبس. وبعد قضاء حوائجهم ينتشرون في الصحارى الواسعة، التي تُعَدُّ مأواهم الدائم.

أما الحضر فهم ممن يقومون بحفر الآبار في المواقع الملائمة للزرع، وينشئون المزارع والحقول، ويبنون مساكنهم ويقيمون فيها. وحتى هؤلاء الحضريين معتادون على ترك منازلهم وقُراهم إذا اخضرّت الصحاري بنزول المطر، فيُقيمون في الخيام لعدة أشهر، ليتسنى لهم استنشاق الهواء الصافي الطلق.

وللبدو أيضاً في هذه الصحاري الواسعة آبارهم ومراعيهم. فهذه الصحاري الخالية من السكنى ليست بدون أصحاب. وهي مقسومة بين البدو. والمواقع التي يمتلكونها الصالحة للزراعة لا هم يستثمرونها، ولا يأذنون لأحد بزراعتها. وأكبر جماعات البدو التي تتجول في الجزيرة العربية وفي منطقة الجزيرة[1] هم عشيرة «عنزة». ويمتد مواقع جَوَلان هذه العشيرة من شمال مدينة (ينبع) إلى شرق بادية ولاية (الحجاز) و(الشام) و(حلب) وجنوب سنجقية (الزور) وغرب بادية ولاية (بغداد). وسكنى مدينة (القصيم) و(الكويت) هم متمدنو عشيرة «عنزة». ونظراً لعدم وجود فخوذ هذه العشيرة في منطقة (نجد) فلم يكن بالإمكان

---

١) وهي المنطقة الواقعة بين نهر دجلة والفرات. (المترجم)

التفصيل فيها.

أما بدو «الشمر» الذين يتجولون في بادية (الشام) فهم قبائل العَبْدَه، الأسلم، سنجارة، تومان والدغيرات. والفخوذ التي تتفرع منها هي:

* فخوذ قبيلة العبدة: الجعفر، المفضل، الويبار، الصليط، الهامل، الجندة، الجبريل، ابن علي، ابن عجيل، ابن شريم وابن شرحان.

* فخوذ قبيلة الأسلم: الطوالة، المسعود، الجامل (الكامل)، الفايد، مناصير، النفقان، الفردة، الجنفا، المدعور، الوجعان، العزيز، الوهب والجميش.

* فخوذ قبيلة سنجارة: الرمال، الرخيص، الزميل، غفيلة، السويد، الثابت، الزويمل، المايج وشلقان.

* فخوذ قبيلة تومان: الوضاع، الهدية، الرباعة، الجنان، الهاب، [illegible] ابن عابر والصدعان.

* فخوذ قبيلة الدغيرات: الفيئة، العليان، العلوي، الشايع، الحسين، التريبان والشريحة.

ويتجول بدو عشيرة «الشمر» ابتداءً من آبار «جزل» إلى جوار آبار «اللينة» «بدايع» «حيانية» «حضرة» «شعيبة» «وبالية» و «تربة»، وفي منطقة «الجبل».. وعدد أفرادهم حوالي خمسين ألف نسمة. وفيهم ألفين من الخيالة، وألفين من المسلحين.

ونظراً لكون أمير الشمر «الرشيد» يقيم في (حائل)، فإن عشيرة «الشمر» مرتبطة بـ(الجبل). وحضر (الجبل) هم مُتمدِّنو عشيرة «الشمر».. وعدد سكان مدينة (حائل) سبعة آلاف نسمة. ومجموع عدد

سكان ملاحقها من الحضر ثمانية عشر ألف نسمة.[1] أما المتجولون من عشيرة «حرب» في منطقة (نجد): فهي قبائل بني سالم، المسروح، الفردة، بني علي.

* فخوذ قبيلة بني سالم: جارية، عريمات، هوامل، زغيبات، قيعة، حسنان و نمايته.

* فخوذ قبيلة المسروح: الذويبي، القوم، ابن مهمل، عوق، مخلة، بيضان و بدارين.

* فخوذ قبيلة الفردة : ابن حماد، ابن حديد، شعافين، الدهاليسي وعظي.

* فخوذ قبيلة بني علي: الرقون، جحوش، حتمة ودهيم..

ويتجول أفراد عشيرة «حرب» في الأراضي الواقعة بين قرية (الحناكية) و(الرس). وعدد أفرادهم وعدد مسلحيهم مثل عشيرة «العتيبة».[2] وعشيرة «عتيبة» تنقسم إلى قبيلتين. هما: «برقا» و«روقة».

* فخوذ قبيلة برقا: أم قط، أنفع، الدغالية، الروسان، شيابين، الدعاجيل والبصمة.

* فخوذ قبيلة روقة: ابن ربيعان، ابن ظريبة، الظيط، الحماميد، ابن شليج، ابن مُحَيّا و حافي.. وهذه القبيلة تتجول في بادية الجنوب

---

١) وعشيرة الشمر المقيمة في منطقة الجزيرة هي قبيلتان: شمر الجربا وشمر الطوقة.
وينقسم شمر الجربا إلى: خرصة، فداغة. ابن هتمي، وعبده.
وشمر الطوقة ينقسم إلى فرقتين: الصايح، الزوبع..
ويتوقع عدد سكان شمر الجزيرة مثل شمر بادية الشام.

٢) وأفراد عشيرة حرب المتجولون في منطقة الحجاز أربعة أو خمسة أضعاف المتجولين من العشيرة في منطقة (نجد).

من منطقة (الوشم) و(القصيم). ولها ألف وخمسمائة من المسلحين، وعدد أفرادها يقرب من عشرين ألف نسمة.

وعشيرة «مطير» تتكون من قبيلتي الدويش والبرية.

* فخوذ قبيلة الدويش: عماش، وطبان، هزاع، ابن شقير، الجبلان، الرضمان، القغم، الملاعبة، ابن شبلان وعميل.

[illegible] ابن عشيان، ابن بصيص، أبو شويربات، قريفة، الهوامل، محاسة، العفسة و حميداني.

وقبيلة البرية من هذه العشيرة تتجول في منطقة (القصيم)، وقبيلة الدويش تتجول في داخل أراضي (الصمّان). وعدد أفرادها خمسة وعشرين ألف نسمة، ولها ستمائة من المسلحين.(1)

يتكون عدد سكان مدينة (بريدة) - وهي مركز إمارة (القصيم) - من اثني عشر ألف نسمة. وعدد سكان ملاحقها وخبوبها التابعة لها خمسة وأربعين ألف نسمة.

و«عنيزة» هي أكثر بلاد منطقة (نجد) عمارة وتجارة. وتحوي عشرين ألف نسمة، وعدد سكان ملاحقها وخبوبها التابعة لها ثلاثة آلاف نسمة.

وعشيرة «هيتم» تتجول في منطقة حايط، حويط و تيمة. وتنقسم إلى: ابن براق، قصبة وحلوى. وعدد أفرادها عشرون ألف نسمة، ولها من المسلحين خمسمائة فرد. وعدد السكان في قرى حايط وحويط وتيمة

---

1) يطلق اسم «العليوين» على الموجودين من أفراد عشيرة مطير في الحجاز. ولها من الفخوذ: ابن سفيان، ابن ضمنه، ابن درويش، مطرقة، الشويب، ابن شراب، ابن جبرين و شيباني. ويتوقع عدد أفرادهم ثلاثين ألف نسمة.

خمسة آلاف نسمة.

وقبيلة «شرارات» تتجول في منطقة (الجوف). وعدد أفراد هذه القبيلة مثل عدد أفراد عشيرة هيتم [أي عشرون ألف نسمة]. وعدد السكان الحضر في منطقة (الجوف) يقدر بثمانية آلاف نسمة.

وعدد السكان الحضر في منطقة (الوشم) خمس وعشرون، وفي (السدير) عشرون، وفي المحمل اثنا عشر ألف نسمة.

وعدد سكان مدينة (الرياض) - وهي مركز منطقة العارض - ثمانية آلاف، والقرى التابعة لها سبعة آلاف نسمة. وبدو سبيع و سهول والمغابس يتجولون في هذه المنطقة، وعدد أفرادهم خمسة وثلاثون ألف نسمة، وفيهم ألفي خيالة.

وعدد سكان (الخرج) سبعة آلاف، و(الفرع) تسعة آلاف نسمة.

وعشيرة «الدواسر» تنقسم إلى الحسن والمسارة. فالحسن تتجول في منطقة (الأفلاج)، والمسارة في منطقة (وادي الأقصى). وعدد أفراد عشيرة «الدواسير» هذه خمسة وعشرون ألف نسمة. وفيهم ألفي خيالة..

وعدد السكان الحضر في (الأفلاج) و(وادي الأقصى) يقدّر باثني عشر ألف نسمة.

وفيما يلي جدول مبين لعدد السكان في منطقة (نجد) من بدو وحضر:

اسم الموقع	عدد السكان الحضر	البدو	المجموع
الجوف «شرارات»	٨٠٠٠ر	٢٠ر٠٠٠	٢٨ر٠٠٠
جبل الشمر	٢٥ر٠٠٠	٥٠ر٠٠٠	٧٥ر٠٠٠
حايط، حويط، تيمة	٥ر٠٠٠	٢٠ر٠٠٠	٢٥ر٠٠٠
قصيم «عتيبة حرب مطين»	٥٧ر٠٠٠	٦٥ر٠٠٠	١٢٢ر٠٠٠

عنيزة	٢٣ر٠٠٠	---	٢٣ر٠٠٠
الوشم	٢٥ر٠٠٠	---	٢٥ر٠٠٠
السدير	٢٠ر٠٠٠	---	٢٠ر٠٠٠
المحمل	١٢ر٠٠٠	---	١٢ر٠٠٠
ض سبيع سهول منابس	١٥ر٠٠٠	٣٥ر٠٠٠	٥٠ر٠٠٠
الخرج	٧ر٠٠٠	---	٧ر٠٠٠
الفروع	٩ر٠٠٠	---	٩ر٠٠٠
ج. وادي الأقصى (الدواسر)	١٢ر٠٠٠	٢٠ر٠٠٠	٣٢ر٠٠٠
المجموع العام	٤١٨ر٠٠٠	٢١٠ر٠٠٠	٦٢٨ر٠٠٠

ويتضح من هذا الجدول أن عدد السكان في منطقة (نجد) يقدر بحساب الفراخ بأربعمائة وخمسين ألف نسمة، ومساحتها ٧٢٢ر٠٠٠ كيلو متر مربع. وعلى هذا فكل كيلو مترين مربعين من مساحتها يصيب فردين ونصف الفرد. ويعدّ «الروم ايلي»(١) أكثف المناطق نفوساً وعمارة في الدولة العثمانية؛ ويقع على كل كيلو مترين مربّعين سبعون فرداً. وفي الوقت نفسه يصيب كل كيلو مترين مربدين في المملكة البلجيكية أكثر من ستمائة شخص. وهكذا يُظهر الجدول السابق العبرة والاتعاظ لأهل البصيرة نتائج آثار التمدّن والعدالة العمرانية ونتيجة تخريبات المظالم والبداوة.

وما عدا ما ذكر سابقاً، فيما يلي بيان بالقبائل البدوية المتجوّلة في الجزيرة العربية:

١) الاسم العام لأراضي الدولة العثمانية الواقعة في أوربا. (المترجم)

عشائر «جبشة» و«العياش» و«خزاعل» الموجودة في البادية الغربية من قضاء (شامية).

عشيرة «الزياد» في البادية الغربية من قضاء (سماوة).

بدو «الظفير» و«منتفك» و«شريفات» و«الغزي» في البادية الغربية من ولاية (البصرة).

بدو «العوازم» و«عريبدار» و«الدويش» في منطقة (الكويت).

بدو «العجمان» و«المرة» و«الدواسين» و«بني هاجر» و«مناصير» و «النعيم» في داخل لواء(١) (الإحساء).

بدو «مناصير» في منطقة (عمان).

بدو «بني منصور» و«بني خالد» و«بني خليد» في منطقة (مسقط) و(حضرموت).

بدو «بني مرة» و«جوف» و«بني شداد» و«بني كلب» في البادية الشرقية من لواء (تعز) و(صنعاء).

بدو «حرب» و«قحطان» و«مطير» و«بني تميم» و«بني فهم» في الصحراء الشرقية من منطقة (الحجاز).

ويوجد في البادية الشرقية من لواء (عسير) بدو «قحطان».

ولا يوجد في داخل اليمن البدو المتنقلون أصحاب الخيام، بل الأهالي فيها متوطنون. أما الحدود الشرقية من هذه المنطقة وهي ما يطلق عليها «الرُبع الخالي» فلا يعرف إن كان يتجول فيها البدو أم لا.

١) اللواء: يقصد به في عهد الدولة العثمانية المركز الإداري الذي يضم عدة مدن. ويقابلها في الوقت الحاضر الولاية. (المترجم)

وفي مدينة «صعدة» - وهي من البلاد المشهورة في منطقة «اليمن» - توجد قبائل «يام» و«بني سفيان»، وهما من القبائل المعروفة بكثرة عدد أفرادها وشدة بسالتها وشجاعتها.

ويطلق على قبائل «شرارات» و«العونة» و«صلاللا» و«هيتم» بين العربان اسم «شاوي» ويعني الراعي، ولا يعتدُّ بها. فبدو العونة وصلاللا تتجول مع عشيرة عنزة.. إلا أن هؤلاء الشواة اليوم أقوياء مثل سائر العشائر.

ويقدَّر مجموع عدد سكان الجزيرة العربية باثني عشر مليون نسمة. ويُعتقد عدد البدو منهم ما بين أربعة وخمسة ملايين، والباقي حضر. وعدد أفراد عشيرة «عنزة» أكثر من مليون نسمة.

□□□

المساكن

مع أن إقامة البدو في مكان معيَّن مرتبط بانتهاء المراعي فيه، إلا أنهم في مواسم الصيف الحارة لا ينفصلون عن الآبار.

ويتم عمل المباني في (نجد) من الطين بشكل متين. وليس لها نوافذ إلى الخارج. وهناك مباني بدورين وثلاثة أدوار. ففي مدينة (عنزة) و(بريدة) يقع النظر على بعض المباني العظيمة. ومع كثرة الكلس في هذه المنطقة إلا أن المباني الكلسية نادرة، بسبب كلفة إحراقه.

وأبواب منابر الجوامع في منطقة (نجد) و(الأحساء) في داخل المحراب. حيث يتم تفصيل المحاريب بشيء من الوُسع، ويفتح من الجانب الأيمن منه باب، يبدأ منه سلَّم المحراب، وعند انتهاء درجه بالارتفاع المطلوب، يكون مكان الخطيب، الذي يقرأ منه الخطبة.

و[المحاريب] التي استُخدم في بنائها نوع من الفن تُعدُّ ظريفة.[١] وإن وجدت في منازلهم المخدات إلا أن مخداتهم في الصحراء الشداد. وفي مجالسهم التي يَقبلون فيها الضيوف يتم نشر الشداد فيها، بحيث يبقى ما بين الواحدة والأخرى مسافة الجلوس لرجل واحد. فيجلس الضيف في هذا الفراغ ويرتاح بالاستناد إلى الشداد من الجهتين.

ومما يروى أن مبعوثاً خاصاً من السلطان كان قد قدِمَ إلى الأمير «عبد العزيز»، فجلس على الشداد ظناً منه أنها وضعت في المجلس للجلوس عليها.

□□□

المذاهب

مع أني لست متخصصاً في الدخول لمباحث الدين، إلا أنني سوف أعرض ما رأيتُ وسمعتُ من أمور الدين [في هذه المنطقة]. وبحث هذه الأمور ومناقشتها في الأصل راجع إلى علمائنا الكرام.

أهل الحضر والبدو بشكل عام في منطقة (نجد) على المذهب الوهابي.[٢] ومُجيد هذا المذهب هو محمَّد بن عبد الوهاب من قرية

---

١) هنا جملة لم أستطع ربطها بسابقتها. وهي: «[illegible]» ويعني: ليس هناك بشكل خاص خوف من [illegible]. (المترجم)

٢) [illegible]

«عُيَيْنَة». وقد بدأ نشر مذهبه «الوهابي» عام ١١٤٣هـ باسم والده - رحمه الله -، بعد عودته إلى بلده. ويستند أساس هذا المذهب على توحيد الله [سبحانه وتعالى]. ولا يختلف هذا المذهب في أصوله العقدية [مع المذاهب الإسلامية الأخرى]. فأتباع هذا المذهب لا يُقصِّرون في العمل بأركان الإسلام [الخمسة] من صوم وصلاة وحج وزكاة وكلمة الشهادة، وأداء الفروض الثلاثين للصلوات[1] الخمس على وجهها الصحيح. فهم ليسوا مثل الشيعة من تنزيل عدد الصلوات الخمس إلى ثلاث، وأدائها في ثلاثة أوقات.

ولا يوجد في جوامعهم الحصير، لأن السجدة على الأرض عندهم [illegible] في المذهب الشيعي فيتم السجود على القِطَع الطينية المأخوذة من تراب كربلاء والتي أطلق عليها اسم «التربة»، ويتم وضعها

عن دينهم.. انظر هذا الموضوع بنوع من التفصيل في الكتب المتخصصة في بابها.
يقول عبد الله الصالح عثيمين تعليقاً على الكتاب الذي ترجمه: «أطلق خصوم أنصار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب عليهم اسم (الوهابيين) تشويهاً لسمعتهم وتنفيراً عنهم. لكن هذا الاسم أصبح شائعاً لدى كثير من الكتاب».. مواد لتاريخ الوهابيين، للرحالة جوهان لودفيج بوركهارت؛ ترجمة عبد الله الصالح العثيمين. - الرياض: (د. ن)، ١٤٠٥هـ (١٩٨٥م) ص ٨.
وانظر حول تسمية الأتراك والكتّاب الترك دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بالوهابية أو الوهابي أو الخارجي.. الخ ومرد ذلك: عبد الفتاح حسن أبو علية:- المخطوط التركي: حجاز سياحتنامه سي. - الرياض: دار المريخ، ١٤٠٣هـ (١٩٨٣م) ص ٢٣-٢٤ (المترجم)

١) الفروض الثلاثين للصلوات الخمس على المذهب الحنفي. (المترجم).

على الأرض في محل السجود، بحيث تقع عليها الجبهة أثناء السجود. كما أن مجتهدي المذهب الشيعي يضعون من تلك القطع في محل وضع اليدين أثناء السجود، فيضعون أيديهم [أيضاً] على تلك التربة.

[تبدأ من هنا محاورة بين المؤلف وأحد علماء الشيعة، تتعلق بموضوع السجدة على التراب، وقدسية مدينة كربلاء عند الشيعة.. ولم يُترجم ذلك لعدم توافقه مع الموضوع العام للكتاب.. المترجم].

وبناء على الأحاديث النبوية الشريفة «لعن الله اليهود اتخذوا قبور [أنبيائهم مسجداً]»[1] و«لعن الله زائرات القبور والمتخذين..»[2] فإن تكفير علماء الوهابية لسالكي سائر المذاهب الإسلامية، بسبب ما وقعوا فيه من تقديم نوع من التقدير الخاص للقبور، والقيام بإيقاد القناديل لها، يُعد حقاً ينبغي التصديق له، كما أن على سائر العلماء السعي لرفع هذه البدعة، ولا سيما علماء الشيعة لرفع العادات السيئة التي تصل إلى درجة الشرك كتقبيل أبواب القبور ومسح الوجوه بها والتضرع والدعوة لها. فالتحذير من مثل هذه الأعمال والضلالات - التي اخترعها

---

١) هذا حديث مشهور رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور (٦١): ١/٣٩٥، ح: ١٣٣٠. - تحقيق محمد علي القطب. - بيروت: المكتبة العصرية، ١٤١١هـ.

٢) الحديث ورد عن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت عن أبيه بلفظ: «لعن رسول الله ﷺ زُوّارات القبور». وورد مثله عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه. أخرجه ابن ماجة في سننه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في النهي عن زيارة النساء القبور (٤٩): ١/٥٠٢، ح:١٥٧٤-١٥٧٥. - تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. - (د. م): دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٥هـ (١٩٧٥م). (المترجم)

الأدلاء المعممون عند القبور، بغية الحصول على الأموال من الزائرين -، يُعد واجباً على الحكومة وبشكل خاص على العلماء القيام بها.

ويقوم الشيعة أيضاً عند قبر سيّدنا «الحسين» رضي الله عنه بأداء الصلاة بخشوع وتضرع متوجهين إلى قبره، خلافاً للحديث النبوي الشريف «نهي عن الصلاة..»[1]. إلا أن العمل بمقتضى الحديث النبوي الشريف «نهي أن يقعد على القبور»[2] جارٍ في منطقة (نجد) بحق. ومقابرهم مغطاة بقليل من التراب، ويستوي في ذلك الحكام والمحكومون، مما يظهر للعيان أن المقبرة حقاً عالَمٌ للمساواة. أما في مقابرنا نحن فلا تظهر مساواة من هذا القبيل. وبموجب الحديث النبوي الشريف «نهي أن يكتب..»[3] فلا توجد أي نوع من الكتابات على القبور في (نجد). أما فالكتابة على القبر في المذهب الشافعي والمالكي والحنبلي مكروهة. أما أئمة الحنفية فقد أفتوا بعدم وجود بأس في كتابة اسم الميت وتاريخ

---

١) روى ابن عمر: «أن النبي ﷺ نهى أن يُصلّى في سبع مواطن: في المزبلة والمجزرة والمقبرة وقارعة الطريق والحمام ومعاطن الإبل وفوق الكعبة». أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب المساجد والجماعات، باب المواضع التي تُكره فيها الصلاة (٤): ١/٢٤٦. (المترجم)

٢) روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لأن يجلس أحدكم على جمرة تحرقه خيرٌ له من أن يجلس على قبر». أخرجه ابن ماجة في سننه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في النهي عن المشي على القبور والجلوس عليها (٤٥): ١/٤٤٩، ح: ١٥٦٦ و ١٥٦٧. (المترجم)

٣) روى جابر فقال: نهى رسول الله ﷺ أن يُكتب على القبر شيء.. أخرجه ابن ماجة في سننه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في النهي عن البناء على القبور وتجصيصها والكتابة عليها (٤٣): ١/٤٩٨، ح: ١٥٦٣. (المترجم)

وفاته.

ليس هناك خلاف في الأذان، غير أنهم لا ينادون في أذانهم بـ(الصلاة خير من النوم).[1] أما مؤذنوا الشيعة فيضيفون بعد (أشهد أن محمداً رسول الله) [جملة] (أشهد أن علياً ولي الله، أشهد أن حسين وأولاده حجة الله).[2] ليس هناك خلاف في الوضوء نهائياً. أما الشيعة فلا يغسلون أرجلهم، بل يكتفون بمسحها. وهم يستندون في ذلك على أن عمر [رضي الله عنه] كان يغسل رجله، وأن علي [رضي الله عنه] كان يمسح عليها. ولو افترضنا أن ذلك صحيح؛ فلماذا لا يقلد بعضنا بعضاً في أداء الصلاة؟ ألم يصلِّ سيدنا عمر وسيدنا علي [رضي الله عنهما] معاً اتباعاً لسنة النبي [صلى الله عليه وسلم] ؟ ألم يصلِّ عليّ خلف عمر [رضي الله عنهما] كل تلك السنوات؟.

ولا يقرأ الوهابيون دعاء القنوت في صلاة الوتر.[3]

وإن لم يكن هناك خلاف مع المذهب الوهابي في أركان الصلاة وآدابها إلا أنهم يتوقفون كثيراً بعد الاعتدال من الركوع.[4] يكرر الشيعة

---

١) هذا الذي يدعيه المؤلف غير موجود في نجد حالياً، ولا أظن ذلك فيما سبق أيضاً. (المترجم)

٢) ويضيف مؤذنوا الزيدية بعد «حي على الفلاح» (حي على خير العمل) فقط.

٣) القنوت تقرأ عند الحنابلة في صلاة الوتر عند النوازل. (المترجم)

٤) من السنة أن يقول المصلي بعد الاعتدال من الركوع:«ربنا لك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، ملء السماوات وملء الأرض وملء ما شئت من شيء، ولك الثناء الحسن، وكلنا لك عبد.. ولذلك يحصل التوقف الكثير. (المترجم)

ثلاث أو أربع مرات بعد التشهد الأخير وقبل السلام جملة «خان الأمين وصدَّها عن حيدر»، وذلك بضرب اليد اليمنى على الركبة. والقصد من ذلك الطعن في جبريل عليه السلام، لأنه [حسب هذا الاعتقاد] أتى بالنبوة إلى النبي ﷺ بدلاً من علي [رضي الله عنه].

يقوم الوهابيون بأداء صلاة الجمعة. أما فرق الشيعة: الكشفي، الأصولي، الشيخي، فلا يصلّون الجمعة، ماعدا فرقة اخباري، مستندين في ذلك على عدم جواز أداء صلاة الجمعة في فترة حكم الخليفة الظالم. والحقيقة أن المسلمين بموجب حكم الحديث النبوي «أحب الجهاد إلى الله تعالى [كلمة حق في وجه سلطان ظالم]»(1) مأمورون بقول الحق للسلطان الظالم، وتوجيهه إلى الطريق السوي. فإن لم يسمع لذلك فلا طاعة له، وذلك بموجب الآية الكريمة ﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ [وَلَا يُصْلِحُونَ]﴾(2) وقول الرسول [صلى الله عليه وسلم] «لا طاعة لأحد [المخلوق في معصية الخالق]»(3)، وإلا فليس لنا إلا الدعاء لأولئك الذين يقومون بتشجيع الناس على المعصية، بأن يهديهم الله سبحانه وتعالى إلى الطريق الصحيح.

ويرى مجتهدو المذهب الوهابي عدم جواز أكثر من صف واحد في الجماعة، مستندين على فكرة أن الصحابة على عهد النبي [صلى الله عليه وسلم] كانوا يصلون صفاً واحداً. والحقيقة أن المساجد التي بُنيت

---

1)
2) الآية ١٥١ و١٥٢ من سورة الشعراء. (المترجم)
3) أخرج البخاري في صحيحه بمعناه في كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية (٨): ٩/١١٣، بيروت: عالم الكتب، (د. ت). (المترجم)

على عهد النبي [صلى الله عليه وسلم] والموجودة حتى الآن تؤكد أنهم كانوا يصلون صلاة الجماعة بعدَّة صفوف.

ويؤدي اجتهاد مجتهدي هذا المذهب من قوله سبحانه وتعالى ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ [اسْتَوَىٰ]﴾(1) علوَّ الله سبحانه وتعالى على العرش. ألا يقعون في ذلك في خطأ تخصيص مكانٍ معيّن لله [سبحانه وتعالى] ؟(2). وفي هذا المذهب أيضاً لا يجوز الاستعانة ولا الاستغاثة نهائياً بغيره سبحانه وتعالى. وهذه هي الحقيقة، لِما ورد في الآية الكريمة ﴿إياك نعبد﴾(3) وفي قوله ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ [إِلَّا بِإِذْنِهِ]﴾(4). إلا أن الشيء المؤكد منه هو جواز التوسل بالنبي ﷺ، وذلك بناء على قوله تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ [فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ]﴾(5). غير أن الوهابيين يفرطون في ادّعائهم حين يقولون إن حكم الآية الكريمة جارٍ في حياته ﷺ، أما بعد مماته ﷺ، فلا نفع منه لأمته. بل إنهم حين ينطقون بالشهادة، يتوقفون بعد «أشهد أن لا إله

---

1) سورة طه، الآية ٥
2) ليس الأمر كما وصف المؤلف، ولكن من باب إثبات ما أثبت الله تعالى لنفسه من علوه على خلقه. فقد ثبت «أن الله تعالى استوى على العرش» في سبعة مواطن في القرآن الكريم. وثبت عن كثير من السلف أن الاستواء بمعنى العلو. وهذا هو مذهب السلف، وتؤيده الأدلة من الكتاب والسنة.. انظر للتفصيل: صحيح البخاري (كتاب التوحيد؛ باب استوى على العرش)، واجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم، والعلو للذهبي، وقطف الثمر لمحمد صديق.. (المترجم)
3) الآية ٥ من سورة الفاتحة
4) الآية ٢٥٥ من سورة البقرة
5) الآية ٦٤ من سورة النساء

إلا الله وحده لا شريك له»، ثم يقولون [وأشهد] أن محمداً رسول الله.

وهذا مستندٌ على فكرة الابتعاد من الشرك في الجمع بين لفظ الجلالة واسم النبي [صلى الله عليه وسلم]. وهم لا يصلون على النبي [ﷺ]. وكانوا يقبّحون عملنا في حالة قراءتنا لـ«دلائل الخيرات»، ذاكرين أننا نقدس كتاباً غير القرآن الكريم. وإذا قلنا لهم إن هذا الادعاء مغاير للآية الكريمة ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي يأيها الذين [آمنوا صلّوا عليه وسلموا تسليماً]﴾[1]، قالوا إن هذا الحكم الجليل كان في حياته [ﷺ]. إلا أن الصلاة على النبي [ﷺ] فرض على كل مسلم، ما دامت الأرض، حيث إن أرواح الموتى لا تموت، وبخاصة روح النبي [ﷺ].

ومجتهدو الوهابية لا يصلون؛[2] حيث يدّعون أنهم من أتباع الإمام «جعفر الصادق»، اقتداءً بأئمة المذاهب الأخرى. (فلما كنتُ في الشيخية [illegible] بالصعود إلى المنبر لقراءة الخطبة، فقامت الجماعة الوهابية الموجودة في المسجد بترك الجامع).

---

١) الآية ٥٦ من سورة الأحزاب

٢) حصل هنا نوع من الخلط لدى المؤلف؛ بين من يسميهم بالوهابية والشيعة. والظاهر أنه يقصد الشيعة، بدليل الجملة التالية. إلا أن الجملة التي بعدها (وهي: لما كنت في الشيخية..) تؤكد أن المؤلف يقصد الأولين. وهذا غير صحيح. (المترجم)

ويدعي «محمَّد بن عبد الوهاب» أنه مجدد الدين، ويكفر المسلمين من بعد مرور خمسمائة سنة على الهجرة النبوية.[1] ويعتقد الوهابيون أن الجنة والنار باقية. والحقيقة أن هذا الاعتقاد واهية بقوله تعالى: ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾[2] والآية الكريمة ﴿كل مَن عَلَيْهَا فَانٍ ويبقى وجه ربك [ذو الجلال والإكرام]﴾[3] تدل على أن فناء الكل يكون بعد يوم الخلود.[4]

والوهابيون لا يؤمنون بكرامات الأولياء. مع أن كرامات الأولياء

---

١) هذا الأمر ليس كما يدّعيه المؤلف، إذ مما ورد في العقيدة الطحاوية «ولا نكفر أحداً من أهل القبلة ما لم يستحله». انظر التفصيل: شرح العقيدة الطحاوية في العقيدة السلفية لأبي العز الحنفي. تحقيق أحمد محمد شاكر. - ط٢. - الرياض: جامعة الإمام، ١٤٠٠هـ، ص ٢٦٧ (المترجم)

٢) الآية ٨٨ من سورة القصص

٣) الآية ٢٦ و ٢٧ من سورة الرحمن

٤) مذهب أهل السنة والجماعة أن الجنة والنار مخلوقتان باقيتان، ولا يفنى أهلهما، لقوله تعالى في حق الفريقين «خالدين فيها أبداً» (الآية ٢٣ من سورة الجن). والجنة دار أوليائه، والنار دار عقابه لأعدائه. وأهل الجنة فيها مخلدون، والمجرمون في عذاب جهنم «لا يُفتّر عنهم ولا هم فيه مُبلسون» (الآية ٤٣ من سورة الزخرف).
وأما قوله واستدلاله بالآية الكريمة «كل شيء هالك إلا وجهه» ونحوها من متشابه القرآن الكريم على فناء الكل، فليس بصحيح، لأن معنى الآيتين الكريمتين: كل شيء مما كُتب عليه الفناء والهلاك هالك، والجنة والنار خلقتا للبقاء لا للفناء والهلاك.. للتفصيل انظر: شرح العقيدة الطحاوية، مرجع سابق، ص ٤٧٦-٤٨٨، وقطف الثمر في عقيدة أهل الأثر، ص ١٣٨. (المترجم)

مذكورة في سورة «النمل» وفي سورة «الكهف»[1]

وعقيدة بيع الجنة [صكوك الغفران] الباطلة غير موجودة في المذهب الوهابي. إلا أن هناك أحد مجتهدي الشيعة ويقيم في مدينة «هندية» ويسمى «قزويني» يقوم ببيع صكوك الغفران.

وقد حزنتُ كثيراً لما صادفتُ في العاشر من محرم عام ١٣١٧هـ منظرَ مجيء القزويني مع جماعته إلى (كربلاء) لأجل الزيارة؛ فقد كان أتباعه الحمقى العريانين ورؤوسهم الملوثة بالطين كانوا يجرون وراءه وهم يضربون صدورهم، حيث دخلوا مشهد «الحسين» بعد الطواف حول الصندوق مرات عديدة خاضعين خاشعين، ثم رجعوا إلى أماكنهم.. فلا يكاد يصدق الإنسان حماقة مثل هذا المنظر في وقت التقدم إلا بعد رؤيته رؤيا العين. وفي أثناء التفكير بأولئك مع أصدقائي مرَّ مِن أمامنا أحد الفلاحين، فناداه أحد الحاضرين - وكان يعرفه - قائلاً له: «الشيخ القزويني وَضَعَكَ في جنّته مع الشخص الفلاني». فقال المسكين بتهوُّر: «قد قلتُ للقزويني ألا يَجْعلَني جاراً له» فأخرج من جيبه صكاً، ثم قال: «انظر إلى هذا، فإن كان صحيحاً ما تقول، أذهبُ الآن فأغيِّره». فنظر إلى الصك، فوجد اسمَ القزويني واسمَ المشتري [حامل الصك] مكتوبَيْن فيه. وفُهِمَ منه أن المذكور سوف يقدم الصك إلى [حارس] الجنة، وأن الحارس سوف يسوقه إلى الموقع الذي اشتراه بمائة وخمسين.. فقد وجدَ القزويني من ذلك تجارة [رابحة] له، ونسي في

١) مما ورد عنهم أنهم يؤمنون بكرامات الأولياء. راجع في ذلك كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب. (المترجم)

سبيل دنياه آخرته. لكن السؤال: لماذا لا تمنع الحكومة هذا التزوير؟

وعقيدة الوهابيين في الصوم مثل أهل السنة. أما الشيعة فيُفطرون بمجرد طلوع النجم. ويصلون صلاة المغرب في هذا الوقت. وبذلك يؤدونها بعد أهل السنة والجماعة بعشر دقائق. وهذا الاجتهاد مخالف للأحاديث النبوية «لا زال الخير [ما] عجل الفطور»[1] و «ثلاث من أخلاق المرسلين تعجيل الإفطار»[2]. وإذا اغتسلوا في رمضان أفطروا. والحقيقة أن تدقيق اجتهاد مجتهدي الشيعة [الذين يرون] أن دخول الماء إلى المعدة من آثار المص بهذا الشكل غريب. وهم يتسحَّرون في رمضان في وقت مبكر.

ولا يجوز في المذهب الوهابي نكاح أكثر من أربع نساء. أما الشيعة فيرون أن الواو الموجود في قوله تعالى ﴿مثنى وثلاث ورُباع﴾[3] واو الجمع، فيجوِّزون نكاح النساء إلى تسع. ويستدلون في ذلك بأن النبي - ﷺ - قد تزوج بتسع. غير أن أهل السنة يرون أن الزواج بأكثر من أربع خاص بالنبي - ﷺ -، وذلك منحة إلهية له. ويقولون إن النبي - ﷺ - في عهده الميمون منع أمته من الزواج بأكثر من أربع.

أما العالم الهندي «حسن صديق خان» فيرى أن في نزول الآية

١) ورد الحديث بلفظ: «لا يزال الناس بخير ما عجّلوا الفِطْرَ» و «الإفطارَ». أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الصيام، باب ما جاء في تعجيل الإفطار (٢٤): ١/٥٤٢، ح:١٦٩٧ و ١٦٩٨. (المترجم)

٢) أخرجه البيهقي في سننه الكبرى بمعناه، كتاب الصيام، باب ما يُستحَبُّ من تعجيل الفطر وتأخير السحور: ٤/٢٣٨. بيروت: دار المعرفة، (د. ت). (المترجم)

٣) الآية ٣، من سورة النساء.

الكريمة بجمع العدول مثنى ورباع حكمة شرعية، وهي تعني [حسب اعتقاده] تزوجوا ثلاث ثلاث وأربع أربع، بالجمع. وعلى هذا فإن الرجل سوف ينكح بعدد لا يحصى من النساء، مما لا يمكن أن يقبله عقل. كما أن شرط جمع العدول هو تعيين عدده. وقياس هذه الآية الكريمة على المثال الآتي الذي يدعي فيه أنه يستدل في ذلك بقاعدة عربية خطأ. حيث يرى أنه إذا اجتمع في محكمة خمسمائة مشتكي، لا يمكن محاكمتهم جميعاً في آن واحد، فيقال لهم ادخلوا: ثلاث ثلاث وخمس خمس.

والمتعة في المذهب الوهابي حرام. أما الشيعة فيعقدون الآن نكاحاً مؤقتاً يسمى المتعة. مع أن الرخصة النبوية لهذا النوع من النكاح قد صدر لمدة ثلاثة أيام في غزوة خيبر، إلا أن عمر بن الخطاب [رضي الله عنه] أعلن التحريم النبوي لهذا النكاح. وقد نزلت بعد ذلك الآية الكريمة ﴿إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾(١) فأيدت حرمة نكاح المتعة. ونظراً لكون المتعة نكاحاً مؤقتاً فليس ملكاً.

ولا يُقرأ المولد النبوي الشريف في (نجد).(٢) أما الشيعة فيقرأونه. غير أن بعض فرق الشيعة تقول أثناء قراءة المولد على سبيل التهليل بالبغض والكراهة التي ولدتها الجهالة «عمر عمر الكذاب»، ثم يصلون على النبي - ﷺ -.

[illegible]

---

١) الآية ٦ من سورة المؤمنون

٢) يعتبر الاحتفال بالمولد النبوي بدعة عند أهل السنة؛ لأنه أمر لم يفعله الرسول ﷺ ولا الصحابة والتابعون لهم، وهم خير القرون بعده ﷺ. (المترجم)

عندهم قطعياً شتم الصحابة. أما عند الشيعة فيتم تلقينه أثناء تسليم روحه تلعين عائشة وأبابكر وعمر وعثمان ومعاوية [رضي الله تعالى عليهم أجمعين] ويزيد، وبذلك يتمون أنفاسه [الأخيرة]. ويغسلونه بأوراق شجر النبك.(١) وإن كان الميّت أحد مجتهدي الشيعة فيتم عند دفنه وضع ورقتين عليهما أسماء الأئمة الاثنا عشر في جانبي الميت.

ويجوز في المذهب الوهابي الأكل مع غير المسلم. أما عند الشيعة فلا يجوز لا الأكل والشرب، بل إنهم يَتَوَقَّوْنَ حتى من مجرد الكلام مع اليهود والنصارى، وذلك لأنهم يعدونهم من المشركين، ويستدلون في ذلك بالآية الكريمة ﴿إنما المشركون نَجَس﴾(٢)

وقد كنت يوماً ما في (كربلاء) معزوماً [في مناسبة]، ونظراً لكون راعي البيت سُنياً فقد قدّم أولاً شربة الشعيرية، فلم يمسها علماء الشيعة الموجودون في العزومة. ولما سألت عن السبب أجابوا بأنها معمولة من قبل النصارى. فقرأ أحد الحاضرين الآية الكريمة ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ﴾(٣) وقال: ليست شربة الشعيرية المعمولة بيد المسلمين بل وحتى الأطعمة المطبوخة في منازل اليهود والنصارى

---

١) والصحيح النبق. وهو شجرة من الفصيلة السدرية قليلة الارتفاع، أغصانها ملمس بيض اللون تحمل أوراقاً متبادلة مُلساً، وأغصانها صغيرة متجمعة إبطية، وثمرتها حَسَلَة حلوة تؤكل، وهي تنمو في مصر وفي غيرها من بلاد أفريقيا الشمالية. المعجم الوسيط/أبراهيم أنيس وزملائه:٢/٨٩٨ (مادة نبق) (المترجم)

٢) الآية ٢٨ من سورة التوبة

٣) الآية ٥ من سورة المائدة

حلال. فلما قال الشيعي: الطعام من اليابسات، أما المطبوخ فليس طعاماً، جرت بيننا الحوار التالي:

ح(١) - إذا كان كذلك فينبغي عليكم عدم تناول الحبوبات والأرزاق القادمة من (الهند)، مع أنكم تتناولونه بشكل عام نظراً لكونها قادمة من عند المجوس، وهم غير أهل الكتاب.

ع(٢) - قرأ جملة عربية فقال: إن المجوس من أهل الكتاب بمقتضى هذا الحديث.

ح - (حتى لا أطوّل الحوار) قلت له: ولو افترضنا أن الجملة التي قرأتها حديثاً، لماذا تأكلون السكر المستورد من أوربا؟

فقال: السكر يابس.

فقلت له: تعرفون كيف يصنع السكر، لأنه يوجد في (طهران) وفي تبريز مصنعين لصناعة السكر للأجانب. حيث يتم غليان القصب وتترسب المادة السكرية ثم يجمّد، ويخرج هذا السكر. وبناءً على هذا فليس هناك أي فرق بين الشعيرية والسكر. فعجينة أحدها دقيق والآخر قصب. ولذلك فتحليل السكر وتحريم الشعيرية والمعكرونة يعد حكماً كيفياً..

وكان الحوار قد انتهى في هذا الأثناء.

والغناء والطرب واللعب في المذهب الوهابي حرام قطعياً. ويطلق على التبن [الدخان] «المخزي». وشرب المخزي يعد من كبائر الذنوب.

ولما افتتحت (إيران) في عهد خلافة عمر [رضي الله عنه]، بتدبير

---

١) الظاهر أنه اختصار من اسم المؤلف «حسني» (المترجم).

٢) الظاهر أن هذا الحرف مختصر من كلمة العالم. وهو هنا العالم الشيعي. (المترجم)

حكيم وهمة عالية من القائد «سعد بن أبي وقاص» [رضي الله عنه]، وكان قد توفي الملك «يزدجرد»، فانقرضت الدولة [الساسانية] وترك الفرس الديانة المجوسية ودخلوا في الدين الإسلامي.

وقد أسرت بنت يزدجرد «شهر بانو» فتزوج منها سيدنا «الحسين» [رضي الله عنه]. وكان الفرس القدماء يأملون من سلالة [الملك يزدجرد] إعادة استقلالهم، فكانوا لذلك يقدّمون حبّهم وتقديرهم لأفراد هذ الأسرة. فلما رأوا استشهاد عثمان [رضي الله عنه]، أرادوا الاستفادة من الفوضى الذي حصل في هذه الفترة، فدعوا «الحسين» [رضي الله عنه] إلى (الكوفة). ومع أن رغبتهم لم تتحقق، إلا أن سيدنا «الحسين» استشهد في الوقعة المشؤومة [كربلاء]، فخسروا بذلك الدنيا والآخرة. وبعد هذه الحادثة الأليمة بدأوا بتقديس ابنه «زين العابدين» من زوجته «شهر بانو». وبذلك انتشرت فكرة الميل إلى الأئمة الاثني عشر ومحبتهم، وبغض المانعين علياً من الخلافة، وهم «أبوبكر» و«عمر» و«عثمان» و«معاوية» - رضي الله عليهم أجمعين - ويزيد، وعمّ الكره لهم.

يتبين من ذلك أن الخلاف بين مذهب الشيعة وبين سائر المذاهب الإسلامية، لم يكن في أحكام الدين الإسلامي، وإنما نشأ بسبب رغبتهم في العودة إلى عاداتهم القديمة وإعادة استقلالهم، وهو مبني على الفكر السياسي، المتبع لأحكام مذهبهم القديم الزرادشتية.

وفي هذا الصدد أيضاً ظهر منذ سنتين أو ثلاث سنوات مذهب جديد باسم «بهوري». وهو فرقة من فرق الشيعة، ولا يعترف بستة من أئمتهم، ويعترف بالستة الباقين. والفرق بينه وبين الفِرق الأخرى يكمن في اليسر والسماحة التي يضمنها لأتباعه في الأهواء والنزوات.

وهناك تفسير مخفي عند الشيعة، يتم تدريسه فيما بينهم. ومن محتوياته أن علياً [رضي الله عنه] سوف ينزل إلى الدنيا وستكون له الخلافة، وسينتقم أثناء خلافته من السنة، ولن يبق هناك مذهب سوى مذهب الشيعة.

ونظراً لكون الوهابيين يعدّون ما عداهم من المسلمين مشركين، ويلقبونهم بـ«عبادين القبور» فإنهم يرون أن قتالهم حلال، وأن التعرض لأموالهم وأعراضهم مباح. وهم يسمون أنفسهم مسلمين، ولذلك يقولون أثناء الدعاء والتضرع إلى الله «يارب المسلمين».(١)

□□□

(١) للاستزادة في هذا الموضوع انظر كتاب الشيخ إبراهيم السمنودي المنصوري بعنوان: سعادة الدارين في الرد على الفرقتين الوهابية والمقلدة الظاهرية.

المدارس

يطلق في (نجد) على العلماء «مطوع». ويوجد المطوع في كل قرية، حيث يقوم بالإمامة والخطابة، كما يقوم بتدريس أولاد القرية التي يقيم فيها. ومَن تَعَلّم القراءة والكتابة من الطلاب ورَغِبَ في إكمال دراسته، سافر إلى (شقراء) أو إلى (الرياض) لتحصيل العلوم الدينية. لأن علماء (نجد) المعروفين يقيمون في هاتين المدينتين. ولا يتم فيهما تدريس العلوم الدنيوية [البحتة]. غير أن رغبتهم شديدة في دراسة التاريخ. ولا تدرس مؤلفات العلماء من العالم الإسلامي، بل يقتصر على مؤلفات العلماء الوهابيين. ومدارسهم هي بيوت المطوعين. وإذا تعلم الولد قراءة حرف الألف بدأ برسم شكله بقلمه الذي يدخله في الكلس، على السبورة السوداء. وهذه الطريقة متبعة في (اليمن) أيضاً. وهي طريقة رائعة، حيث يتعلم القارىء الكتابة أيضاً [أثناء ذلك]. وعدد الملمين بالقراءة والكتابة من الحضريين قليل جداً، أما البدو فبشكل عام أميين.

□□□

الجنسية

سكنى منطقة (نجد) بشكل عام عرب. ولغتهم العربية. ويمكن عد الصليبيين الذين يتجولون في هذه الصحاري؛ من الغجر المهاجرين من (الهند). ويتوقع أن تكون كلمة «جنكانة» [غجر] تحريفاً لكلمة هنديانه.

□□□

أصول الإدارة

يطلق في (نجد) على حكام المناطق «أمير»، كما يطلق على عدة

القرية أمير كذلك، فيقال أمير القصيم، أمير المحل.. ويقوم أمير كل منطقة بتعيين أمراء القرى التابعة له. ويقوم أمير نجد أيضاً بتنصيب أمراء المناطق تلك.

وكان في السابق أيام أن تمكن أولاد «سعود» من الحكم في (نجد) كاملاً سُمّي الحاكم فيها بـ«إمام المسلمين». إلا أن «محمد [بن] الرشيد» استفاد من ضعف هذه الأسرة فقام بالاستيلاء على هذه المنطقة وحكم عليها باسم «أمير نجد». ونظراً لتعرف الناس في (نجد) على هاتين الأسرتين الحاكمتين فقد حاولت كل واحدة منهما محو الثانية.

ونظراً لوقوع البدو والحضر المتوطنين في (نجد) آلة طيعة لرغبات هاتين الأسرتين في الوصول إلى الحكم، فإن الوقت الذي يمر عليهم دون عراك قليل جداً.

وتقوم كل أسرة لجلب قلوب الناس بذكر وتعداد مفاسد سلفه، فيبدأ بالحكم لأصحاب المصالح بشكل عادل وإظهار الشفقة عليهم. ويُعدّ وجود فترة الاستقرار في (نجد) واستتباب الأمن فيها فترة يسيرة. ومع مرور الزمن واكتسابه المَعْني القوةَ اللازمة وشعوره بضعف رقيبه، يقوم بتوسيع ظلمه وتزييد سفاهته. فيصبر الأهالي [في المنطقة] على ذلك إلى أن يصل إلى درجة لا يمكن معه أن تطاق. فيقوم عند ذلك بالرجوع إلى الأسرة التي كانت محرومة من الحكم، فيتفقون على العصيان في وجه الأسرة الحاكمة.. فهذه هي أصول الحكم التي تجري في (نجد).

والبدو هم المستفدون من هذا الوضع المتدهور. حيث يقومون في كل مرة تحصل فيها فوضى، بالميل إلى الطرف الذي تترجح كفته في الغلبة على الطرف الآخر، ثم يقومون بالإغارة عليه ونهب أمواله، فيؤمّنون بذلك

مصالحهم. والمتضررون هم أهل الحضر. حيث يتعرضون للنهب من قبل البدو من جهة، ويتعرضون لمظالم «آل رشيد» و«آل سعود» من الشمال والجنوب. ومما لا شك فيه أن هذه المنطقة إن شَهِدت إدارة عادلة، وتحقق فيها الأمن والرخاء اللذان يفقدهما الأهالي، فلن يقصّروا في تقديم خدمات جليلة بكل إخلاص. لكن هيهات. فقد صدرت الإرادة السنية بجعل (القصيم) متصرفية تلتحق بولاية (البصرة)، ونظراً لعدم التفكير في توفير متطلبات استتباب الأمن [في المنطقة] فإن الإرادة المذكورة مثل غيرها من الإرادات السنية سوف تبقى على الورق. أما (ابن الرشيد) الذي كان يأمل ترك المنطقة تحت إدارته كما كان في السابق، وذلك بعد ضبطها وتخريبها بمعاونة الجيش، فقد أغضبته المعاملة الجديدة، مما جعله يقوم بتهييج الأهالي وإزالة ميلهم للدولة ومحبتهم إياها، فاستمر في إفساداته، حيث بدأ بنهب أطراف منطقة (القصيم). ونظراً لعدم منعه من تعدياته تلك من قبل الجيش، فإن المواطنين هناك قد فقدوا أملَهم في الدولة. وبذلك انتشرت فكرة أن الدولة سوف تقوم بضبط منطقة (نجد) مع «ابن رشيد»، وتسليم المنطقة لـ«آل رشيد»، وبذلك يحقق مقصد المذكور.

أما رغبة الدولة فهي عدم ازعاج «ابن رشيد»، واستتباب أمن (القصيم). وهذا يستحيل تحقيقه، لأنه من قبيل «الضدان لا يجتمعان».

□□□

الواردات

الأموال التي يتم تحصيلها في هذه المنطقة هي: الخُمس من المحصولات [الزراعية]، الثلث من الأراضي المِيرِيّة (الميرية: هي أموال

ريالٌ من خمسة إبل (١)
الأمير السابق إذا انتقلت المنطقة لأمير لاحق)،
(والريال يساوي عشرة قرش. وأهل منطقة نجد لا يعرفون غير هذا
النقد)، إذا تم الاستيلاء على بلد بالقوة تُعد من أموال بيت المال
فيؤخذ منها الثلث، ومن كل أربعين شاةً شاةٌ.

وهناك ضريبة تؤخذ من التجار باسم «زكاة العرض»، وهي مقطوعة حسب تجارة وثروة كل قرية. فزكاة العرض [المفروضة] على مدينة (بريدة) ستمائة ريال، وعلى مدينة (عنيزة) ثمانمائة ريال.

أما زكاة الجهاد: فهي أن الأمير لمَّا يريد الغزوة يقوم أهل كل بقعة [من البلد بتجهيز] هجين مع راكبه وإرساله إلى الموقع المأمور به. أما أولئك الذين لم يرسلوا هجيناً مع راكبه، عليهم إرضاء الأمير بدفع مبالغ مالية معيَّنة. ويطلق على هذا أيضاً اسم زكاة العرض.

وواردات الحجاج لإمارة (الجبل): على كل حاج عن الفرس عشرة، وعلى كل حاج من العرب خمسة [ليرات] ذهب عثماني. ويتم تحصيل هذه المبالغ من أصحاب الحملات باسم «تأمين الطريق». (والحملة يعني المستأجَر). وهو أن الحجاج يراجعونهم لاستئجار وسائط النقل، فيؤجِّرونها لهم. وكل صاحب حملة مُجبَر على توفير خيام الحجاج وأكلهم وشربهم، وحمل أغراضهم، وطبخ طعامهم وقهوتهم في منازل الطرق.
وسعر الإبل الواحدة للحاج الفارسي ذهاب وعودة خمس وعشرون [ليرة]،
وسعر [illegible] [ليرة] ذهبية عثمانية.
وسعر الإبل الواحدة للحاج العربي خمسة عشر [ليرة] ذهبية عثمانية.

---

(١) [illegible] الأصل الأراضي التابعة لخزينة الدولة. (المترجم)

وإذا اتفق الحاج مع صاحب الحملة ودَفَعَ له نصفَ المبلغ وَصَلَ إلى (مكة المكرمة). فإن أراد العودة دَفَعَ له من (مكة المكرمة) النصف الباقي فعاد إلى المحل الذي ركب منه. [غير] أن أصحاب الحملات تلك أو وكلاءهم يقومون بالشحاذة من الحجاج، ويضيِّقون عليهم في الطريق، مما يتضجر منها الحجاج..

ويتم تعيين أميرين للحج كل سنة في إمارة (الجبل). فيقومان بحمل السنجق العائد لـ«آل رشيد»، مع عدد كاف من المحافظين، ويغادرون (حائل) بحيث يصلون إلى (نجف) و(سماوة) أثناء اقتراب موسم الحج. وتجتمع هذه القوة في المدينتين، فتستريح لمدة أسبوع ثم تتحرك مع الحجاج. وهؤلاء أمراء الحج يتعهدون بتوصيل الحجاج إلى (مكة المكرمة) وإعادتهم إلى (نجف) و(سماوة) سالمين.

وكان هذا الطريق طريقاً آمناً لحجاج (العراق) و(الفرس)، وذلك حتى عام ١٣٢٤هـ. فكان يقوم ألفين وثلاثة آلاف حاج في كل سنة بأداء فريضة الحج. لكن لمَّا بدأ الحجاج يتعرضون للظلم والجفاء، بسبب سوء إدارة «عبد العزيز آل رشيد»، قام مجتهدو الشيعة في (نجف) و(كربلاء) بإصدار فتوى «بحرمة طريق الجبل» لمن يريد الحج، وذلك لنجاتهم من الخطر المحدق بهم. كما قاموا بنشر الرسائل في هذا الصدد. ومنذ ذلك التاريخ بدأ الحجاج الفرس باستخدام طريق (الشام).

[أما] الحجاج المجتمعون في (الرياض) من (نجد) و(الحسا) وسواحل خليج (البصرة) فيقوم «ابن سعود» بترحيلهم. ويتم أخذ ستة ريالات من الحجاج العرب المجتمعين فيها، ومن الحجاج الفرس اثنا عشر ريالاً، وذلك تأميناً للطريق. وأثناء حلول موسم الحج يقوم الإمام بتسليم

السنجق لأمير الحج الذي تم تعيينه، فيتحرك مع المحافظين. والوهابيون الهنود الذين يودون الحج، يرجحون هذا طريق، لزيارة خليفة [الشيخ] محمَّد بن عبد الوهاب.

وفيما يلي جدول مبين للمبالغ التقريبية المتحصلة في منطقة (نجد) أثناء حكم «آل رشيد» عليها، وذلك من خلال المتابعة التي أجريتُها أثناء وجودي مع «عبد العزيز آل رشيد»:

ناطق	الحبوبات بالصاع	التمر بالوزن
عارض	٤٥٫٠٠٠	٣٠٠٫٠٠٠
جبل	٢٠٫٠٠٠	٢٥٠٫٠٠٠
محمل	٢٠٫٠٠٠	٣٠٠٫٠٠٠
سدير	٢٤٫٠٠٠	٤٠٠٫٠٠٠
وشم	٣٢٫٠٠٠	٣٥٠٫٠٠٠
جوف	١٠٫٠٠٠	٧٠٫٠٠٠
ايط، حوطة، تيمة	١٠٫٠٠٠	٤٠٫٠٠٠
فلاج	٣٠٫٠٠٠	١٢٠٫٠٠٠
ادي الأفصى	٢٠٫٠٠٠	٤٠٫٠٠٠
فرع	٣٠٫٠٠٠	٢٠٠٫٠٠٠
خرج	٨٠٫٠٠٠	٦٠٫٠٠٠
قصيم	٣٢٠٫٠٠٠	٩٠٠٫٠٠٠
نيزة	١٠٫٠٠٠	٣٠٫٠٠٠
مجموع	٦٥١٫٠٠٠	٣٫٣٠٠٫٠٠٠

وتساوي الوزنة الواحدة، عشرين درهماً تديماً: والصاع يساوي ٧٥٠

درهماً.

وهذه الزكاة يساوي ما يقرب من أربعين ألف ليرة.

ويوجد ضمن الواردات العامة ضريبة الاحتساب: الجمرك الداخلي أيضاً. وهي تؤخذ من كل إبل محمَّلة بمقدار خمسة ريالات، وعلى هذا الأساس يصل مقدار ضريبة الاحتساب لإمارة منطقة نجد بشكل عام عشرة آلاف ليره.

وعلى ذلك تكون الواردات العامة على النحو التالي:

[أنواع الضرائب]	[بالليرة] العثمانية الذهبية
حاصلات الأعشار	٤١٫٠٠٠
رسوم الحجاج	١٥٫٠٠٠
زكاة الإبل والأغنام	٢٠٫٠٠٠
زكاة العرض	٥٫٠٠٠
زكاة الجهاد	١٫٠٠٠
ضريب الاحتساب	١٠٫٠٠٠
[المجموع]	٩٢٫٠٠٠

وقد قام بتحصيل هذه المبالغ «آل رشيد» مدَّة سبعة عشر سنة. غير أنهم اليوم مقيَّدون بتحصيل حاصلات إمارة (الجبل) وحدها.

أما الأموال التي كان ينهبها (آل رشيد) من العشائر باسم الغزوة في الهجومات المكررة عليها، وبخاصة الإبل بكميات كبيرة والبغال، فقد كوَّنت مبلغاً كبيراً من الواردات..

□□□

المصروفات

كانت مصروفات أسرة «آل رشيد» تتكون من: مصاريف الأكل لضيوفهم في القَصْرَيْن الموجودين في (حائل) و(بريدة)، ومصاريف الملبوسات التي كان يقدمها لاتباعه كل سنة مرة، ومعاشات الأمراء الذين كان يعيِّنهم على (القصيم) و(العارض) و(عنيزة)، ومعاشات المحافظين الذين كانوا في معية أولئك الأمراء الذين يمكن أن يطلق عليهم طايشين (متهوِّرين)، ومصاريف عَبيده وملبوساتهم الذين كانوا معه بشكل دائم، وعددهم حوالي مائة، ومصاريف أفراد أسرته، ومصاريف لبسه، والمخصصات السنوية لأسرة «عبد الله الرشيد» وأسرة «عبيد الرشيد» وأسرة «سبهان». ولا يتجاوز مجموع هذه المصاريف سنوياً عشرين ألف ليرة.

أما المصاريف التي تصرف لكل غزوة وأكثرها مبلغاً فهي في الحقيقة في حالة التوفيق واردات كبيرة [وذلك بسبب الحصول على أموال الطرف الآخر].

□□□

الحياة في نجد

الخصائص الأخلاقية لهذا القوم النجيب العرب، وسخاوتهم، وحسن ضيافتهم من الأمور التي يُثْنُوْن عليها ثناء عطراً. ومع تبدل بعض العادات التي يتميزون بها مع مرور الأيام، إلا أن المزايا الحسنة التي توارثوها من أجدادهم العظام ما زالت موجودة لديهم بشكل عام.

ومع حدة أمزجتهم بشكل عام بسبب الموقع والجو، حيث وجود ابن الستين والسبعين بل وحتى الخمسين من الكهول فيهم قليل جداً، إلا أن إسناد ذلك إلى افتقاد الأمن في المنطقة أولى من إسناده إلى وخامة

الجو؛ لأن هناك من العلماء والعُجَّز الذين لم يشتركوا في الغزوة، مَن تجاوز المائة سنة.

وهم أقوياء البُنية وأواسط القامة على الغالب. وألوانهم بتأثير من الجو والإقليم حنطية، وعيونهم وأشعارهم سوداء. ومع عيشهم في هذه الصحاري الحارة، إلا أنه يتصادف وجود النساء البيض الحسناوات فيهم. ونساء قبائل «عتيبة» و«هيتم» و«القصيم» مشهورات بجمالهن. ولا يوجد بين البَدو «قاج» [أي أن النساء يقابلن الرجال].

ولا تكثر في (نجد) بين رجالها ونسائها العادة المكروهة الوشم. وأهل (العراق) و(البصرة) و(مصر) يقومون بنقش بعض الرسوم على أجسامهم، وبذلك يقضون على جمالهم الطبيعي. وبشكل خاص نساء «معدان» يَقُمْنَ بنتف رموشهن ثم يتوشَّمنها مع شفائفهن، فتتخذ لوناً أزرقاً قاتماً، وبذلك يصبح منظر الواحدة منهن قبيحاً، مع أن الوشم فيما بينهم يعد زينة وحُسناً افتخاراً فيما.

وقد تحمم حكم الطواغيت في الجزيرة العربية فيما سبق، إلا أنه نشأ فيها من العقلاء المقتدرين فيما بعد، مَن يقوم بإجراء الأحكام العادلة، فأخذ الشعب من العادات الحسنة - التي كانت جارية أيام الطغيان - المتوافقة مع الحياة البدوية، وأصبحت بذلك مَرعية مع عاداتهم القديمة.

ومن هذه العادات التي وقفتُ عليها في نجد :

يعد القيام بخيانة الضيف والجار والأمانة عاراً كبيراً، يقومون بتشهير الفاعل.. لا يستخدم السلاح بين الأهالي بسبب اغتشاش حصل [illegible] غرقت سفينة في بحر [illegible] في

السواحل المجاورة مجبَرين على القيام بمساعدتها، إلا أن نصف الحمولة المُخرجة لمن قام بالمساعدة.. لا يُقتل السارق إذا كان بيده عَصاً، إلا أن يكون بيده سلاح أو سيف.. يقومون بقتل مَن يقدم على قتل الجرحى والأسرى والمستسلمين، دون هوادة. ويتم الإعلان بين العشائر باسم القاتل، فيقال: فلان قاتل فلان، حتى إذا صادف أحدٌ القاتلَ قتله. ولا تستطيع عشيرة المقتول طلب دمه أو ديته، من طرف المقتول كائناً مَن كان القاتل.. لا يقدّمون القهوة في مضايفهم لمن يهرب أثناء المحاربة.. يقوم الفارس الذي يتابع الهارب بمس رمحه في ظهره بشكل خفيف. ويهرب الذي يحس باقتراب العدو منه، شيء أن ينزل عن فرسه ويسلّم زمام فرسه إلى مُعقّبِه، وعليه أثناء ذلك أن يذكر شجرة الفرس. فيصبح الفارس بذلك مديناً له في توصيله إلى المحل الذي يريد. إلا أن صاحب الفرس إذا اقترب من عشيرته فإن طلب العون منها أو الهروب إليها، يُعد عاراً عليه.. وإذا قامت عشيرة بنهب الأخرى، فإن عليها إعادة زمل كل بيت إن طلبت المنهوبة الدخالة منها. (زمل: هي الإبل التي تحمل حمولة أصحاب خيمة).. يُعد صاحب كل خيمة مسؤولاً عن سرقات وسوء تصرف ضيفه الذي حل به خلال أربع وعشرين ساعة. (فعلى سبيل المثال إذا تحرك ابن سبيل بعد أن أطعم في خيمة، ثم قام بسرقة إبل قبيلة في الطريق، أو تعرض لامرأة، أو قتل أحداً؛ فإن على صاحب الخيمة - الذي قَبِلَ ابنَ السبيل المتهم القيامُ بمساعدة المتضرر. وهذه المساعدة عبارة عن توفير العجين والباروت والأسلحة، التي تستخدم في تعقيب آثار المحكوم).. الغزوات التي يقوم بها البدو - سواء شارك أميرهم في الغزو أم لم يشارك - فإن «القلع» [الفرس] والعبيد والإماء

للأمير. (والقلع: الفرس أو البغل الذي قُتل صاحبه في الغزوة). حتى ولو أن فرس المُهاجم هَلَكَ في الغزوة وحصل على آخر، فإن عليه تسليمه للأمير. لكن مَنْحَه الفَرَسَ الذي حصَّلها في الغزوة عِوضاً عن فرسه، راجع إلى كرم الأمير. وليست للأمير حصة من البيوت والمواشي. أما المنهوبات الأخرى فَثُلُثُها للأمير. وتتم مراعاة القِدَم..

و[من الأشياء التي حصلت في نجد ما يحكى] من حكايات غريبة، وهي مشهورة [فيما بينهم]. وقد تم ذكر قصتين مختلفتين منها، ويمكن الحكم على مثل هذه القصص بالصحة، نظراً لتواتر انتشارها بين الناس:

دخل لص إلى بيت نساج[1]، فانضربت رأسُه بالمزامير المنصوبة في الجدار من الخوف والارتباك، فَفُقِئَت إحدى عينيه، فبدأ بالصراخ والبكاء من الألم، فاجتمع عليه صاحبُ الدار والجيران، فقال اللص: ياجماعة، فقأوا عيني، أريد منكم غداً في المحكمة أن تشهدوا على ما رأيتم. وذهب. ثم راجع المحكمة واشتكى صاحبَ الدار. وبعد سماع الدعوى حكم القاضي بفقأ عين صاحب الدار. فلما تيقَّن أن الاعتراض على الحكم لن يفيده شيئاً، قال: «أنا نساج، وبحاجة إلى العينين طول الوقت، أما جارنا فصيّاد، ولا يستخدم عينَه اليسرى، فأنا مستعد لدفع الدية إن قبل بفقإ عينه بدلاً مني. وبذلك نكسب نحن الاثنان مهنتنا

١) استخدم المؤلف كلمة «جولحه» هنا والصحيح «جولها»، وهي كلمة فارسية من «جولاه» بمعنى النساج. انظر: شمس الدين سامي: - قاموس تركي. - استانبول: إقدام مطبعه سي، ١٣١٧، ص ٥٢٤، مادة (جولها). (المترجم).

بحكمكم العادل.» فأخذ الحاكم برأيه، وأوتي بالصياد ففقئت عينه اليسرى، وسلّم النساج الدية له..

والحكم الثاني: أن أحد الفقراء مرّ على صاحب مطعم كان يشوي اللحم، فاستأذنه في أن يضع خبزه الجاف - الذي أخذه من أحد المحسنين - على البخار الصادر من اللحم، حتى يلين قليلاً. واستمر على هذا الوضع عدة أيام. فلما تيقّن صاحبُ المطعم أن البخار الذي استفاد منه المسكين نافع، منعه من ذلك، بل إنه حَسِبَ الأيام التي استفاد الفقير من بخاره، لكل يوم قرش، وطلب منه مجموع المبلغ. فطال النزاع بين الاثنين، وذهبا للقضاء. فحكى صاحب المطعم دعواه، فطلب الحاكم منه المبلغ الذي طلبه دون أن يسأل الفقير شيئاً، فأخذه ثم قدّمه للفقير واضعاً النقود على الطاولة، الواحد تِلو الآخر، وكلما عدّ واحداً قال لصاحب المطعم: صداه [الصوت الذي تخرجه القطعة المعدنية أثناء وضعه على الطاولة] لك. ولما انتهى من العد التفت إلى صاحب المطعم وقال له: دعواك مثل هذه تماماً. ثم طرده من مجلسه..

ونظراً لعدم إمكانية البحث عن قاعدة أو نظام في الأحكام الكيفية، فلا يستبعد صدور مثل هذين الحكمين المختلفين من حاكم..

□□□

[سرعة البداهة والعُرْف في نجد]

يُعدُّ الأهالي المقيمون في الجزيرة العربية من البدو والحضر مخيّرين في اختيار أحد الشخصيتين لحل النزاع الواقع فيما بينهم، وهما الحاكم الجبري، والحاكم [القاضي] الشرعي. فالحاكم الجبري يُطلق على الأمير. حيث إنه ينفذ الأحكام التي أصدرها حسب رأيه بقوة.. وحاكم الشرع

هو العالم. وتنفيذ الأحكام الشرعية أيضاً يعود إلى الحاكم الجبري.

وغير أولئك الحكام يوجد بين العرب العرفاءُ. وهم أصحاب الذكاء الخارق والخبرة. ويقومون بهاتين الملكتين بإقناع المدّعَى له والمدعى عليه بأسلوب لطيف. ولما كانت المسائل التي يظهرون في حلها نوعاً من النبوغ والعبقرية فإنهم مشتهرون أكثر من غيرهم.

وكما يوجد بين أكثر القبائل من العرفاء مَن اشتهر في نطاق قبيلته، فهناك أيضاً من العرفاء مَن كسب الرأي العام، حيث يتّجه إليهم الناس من مسافة عشرين يوماً أو شهراً، لحل مشاكلهم. وممن يُعرف بعارف زمانه اليوم رئيس منتفك «فالح باشا»، ورئيس عشيرة زوبع «ظاهر الحمود».

ولمعرفة ما يقوم به العرفاء من حل لمشاكل الناس وتقديرهم، ينبغي الاطلاع على بعض صورها. وفيما يلي مثالين على ذلك:

كان علي [رضي الله عنه] يشتهر بين العرب بالعُرف.(1) وقد روجع في يوم من الأيام، لتنفيذ الوصية التالية:

كان لرجل سبعة عشر إبل، وقد أوصى أثناء احتضاره بدفع الثلث منها [لابنه] الكبير، والتُسع للوسط، والنصف للصغير. فحاول الأولاد الحصول على الارث بعد وفاة والدهم، حسب ما أوصى به. ولما لم

---

١) لم أستخدم هنا كلمة العرافة، لكونها تدخل ضمن باب التنجيم الذي حرم الله. ولا يمكن قيام علي (رضي الله عنه) بشيء من ذلك. ولذلك فلقد آثرت استخدام كلمة العرف، التي قصدها المؤلف، وإن استخدم مصدر الفعل (عارفه لك) بالعثمانية الذي يقابل بالعربية «العرافة». (المترجم)

يستطيعوا حلها فيما بينهم راجعوا أهل العرف المجاورين لهم. وفي نهاية المطاف اضطروا للذهاب إلى علي [رضي الله عنه]، فحكوا له القصة، فأتى علي [رضي الله عنه] بإحدى إبله وأضافها إلى مجموع إبل الأولاد، فأصبح المجموع ثمانية عشر إبلاً. وبدأ بالتقسيم حسب الوصية: فأعطى ستة منها للكبير، واثنتين منها للوسط، وتسعة منها للصغير، ثم أعاد إبله التي أضافها في البداية..

والمثال الثاني: هو أن أربعة أخوة اتجهوا إلى عارف زمانه «أفعى الجُرْهمي»، لما يئسوا من الوصول إلى حل لتنفيذ وصية أبيهم. وأثناء سيرهم في الطريق قال الكبير «إخواني! انظروا، لقد مرًّ من هذا الطريق إحدى الإبل ذات عين واحدة». وقال الثاني: «وكانت عرجاء»، وقال الثالث: «ولم يكن لها ذَنَب». وقال الرابع أيضاً: «وكانت هاربة من صاحبها». وبعد فترة من الزمن أثناء سيرهم قابلوا صاحبها، فسألهم: «هل رأيتم أثناء سيركم إبلاً؟»، فردّوا عليه؛ فقال الكبير: هل كانت بعين واحدة؟، وقال الثاني: هل كانت عرجاء؟، وقال الثالث: هل كانت بذنب؟، وقال الرابع: هل هربت منك؟. فردً عليهم: نعم. فقالوا: لم نرها، إلا أن آثارها في هذا الاتجاه. فقال صاحب الإبل بِجِدَّة: لقد عرفتم كافة أوصافها، فكيف تنكرون رؤيتها؟. فتمسّك بهم بادعاء أنها عندهم، فذهب معهم إلى الجرهمي، واشتكاهم له. فسألهم الجرهمي، فقال الكبير: لما كانت تأكل الأعشاب الموجودة في الجهة اليسرى من الطريق، وتترك ما في اليمنى قلت: هي فاقدة العين اليمنى. قال الثاني: رأيت آثار ثلاثة أرجل للإبل سليمة، والرابعة غير سليمة، فقلت هي عرجاء. قال الثالث: استنتجت من آثار وقع أرجلها على الأرض أنها بغير ذنب. قال الرابع:

لما رأيت أنها تأكل الأعشاب الكثيرة ولا تمس الأعشاب القليلة [المبلبلة] قلت إنها هاربة من صاحبها. وبناء على تلك الأجوبة قال العارف لصاحب الإبل: اذهب وابحث عنها، فليست عند هؤلاء..

ولما ذهب الرجل أراد الجرهمي تكريم الأولاد لشدة ذكائهم وفراستهم، فقدَّم لهم طعاماً واختبأ، علّه يسمع منهم ما يدور بينهم أثناء الأكل. فقال الكبير: عُمِل هذا النبيذ على قبر. وقال الثاني: هذا اللحم أُشْرِبَ حليب الكلب. وقال الثالث: يبدو أن والد صاحب الدار رجل آخر. وقال الرابع: لم نتحدث حتى الآن كلاماً يفيدنا.

[وقد سمع الجرهمي كل الكلام بحيرة شديدة] فدخل على أمه وسلَّ سيفه ليتحقق مما قيل. فاعترفت أُمُّهُ أنها كَسَبَت تلك الأقوال للجرهمي من رجل آخر. فسألها عن النبيذ، فاعترفت جاريته بأنها عَنَبَتْهُ من العنب [illegible] على قبر أبيه. وسأل الراعي عن النسيحة. فاعترف [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

وبعد أن استحسن الجرهمي كلامهم قال لهم: لما كنتم بهذه [illegible] والنبوغ؛ ما القضية التي أدت بكم إلى قطع مسافات طويلة [illegible] كامل؟ قال الكبير: لم نستطع تنفيذ وصية والدنا بعد وفاته، ولم [illegible] العرفاء المجاورون لنا حلها، لذلك اضطررنا إلى المجيء إليك. [illegible]

قال الجرهمي: ما هي وصية والدكم؟

قال الكبير: قال والدنا «القبة الحمراء وأمثالها لابني الكبير، والأغراض السوداء للثاني، والخادمة وما شابهها للثالث، ومجلس الندوة لابني الرابع.»

فقال الجرهمي: الذهب والابل الحمراء للابن الكبير، الفرس والبغال السوداء للثاني، الخادمات والخدام والجواري والعبيد للثالث، الأراضي والفضة والنقود للرابع.. ثم استودع الإخوة الجرهميَّ وعادوا من حيث قدموا..

ويظهر من ذلك أن العرفاء وأصحاب الفراسة يشتهرون باستنتاجاتهم التي يتوصلون إليها من قبيل الكرامة. والحقيقة أن الفراسة توأم الكرامة، أو يمكن القول إن الفراسة ظل الكرامة..

□□□

[العادات المتبعة في الغزوة في نجد]

يُطلق البدوُ اسم «الغزوة» على العادة السيئة التي يتقاسمون فيها بعض الأموال من بعضهم بعضاً. ومع أن الغزوة بين [illegible] ممنوعة. غير أن الرؤساء هم المستفيدون منها. ولذلك فلا يتركونها. وبسبب بَلِيَّة [illegible] هذه لا ينتهي القتال بين العشائر أبداً؛ فأرواحهم وأموالهم [illegible] للخطر كل لحظة. فالقبيلة التي كانت تملك خمسة آلاف أو ستة [illegible] إبل قبل ساعة، قد تُضيِّعها في أية لحظة إذا تعرَّضت للغزوة، [illegible] بحاجة إلى طاسة حليب إبل.

[إذا] أراد أمير (الجبل) الغزوة جمع الأكابر، فسُجِّلت أسماء [المشا]ركين فيها، وأعلنت في اليوم الثاني. ولا يستطيع المسجلون في

الغزوة إرسال غيرهم بدلاً عنهم، كما لا يُقبل البدل النقدي منهم. (ويقبل البدل من حضر المناطق الأخرى إذا كانت تحت إدارتها، ما عدا منطقة الجبل).

وإذا كانت القرى سوف تشارك في الغزوة، أرسلت للأهالي فيها خطاب، وُضِّحت فيها عدد المشاركين منها ومكان الاجتماع.

ويتم تعيين رئيس على كل خمسة أو ستة أشخاص، يطلق عليه اسم «خبرة». وهؤلاء الخبراء عادة يكونوا معروفين.

وفي اليوم الثالث من الإعلان يقوم المشاركون بشكل عام بعرض عسكري أمام الأمير.

يتم دفع عشرين إلى ثلاثين ريالاً للخبراء، وثمانية إلى خمسة عشر ريالاً لغيرهم. وتوزع الأموال من قبل الأمير شخصياً حسب مكانة كل واحد. فيقوم الأفراد بذلك المبلغ بتوفير حاجيات السفر. ويتم بعد توزيع [illegible] إبل من إبل الأمير [الخاصة] بالجيش [illegible]

[illegible] ثمانية [illegible] مع عشرة

[illegible]

[illegible]

[illegible]

مع [illegible].

وإذا تم إشراك البدو في الغزوة، التحقوا بالحضر في يوم [illegible] إلا أنهم لا يعطون المال والسلاح والابل، ما عدا في الشتاء [illegible] عليها.

وإذا اشترك فيها من «آل رشيد» أسر عبده وعبيد وجبير [illegible]

السبهان، أعطي لكل فرد منهم ما بين مئة إلى مائتي ريال، حسب مكانته.

ويقوم فرسان العشيرة - المتجمّعين للغزوة أو الاجتماع العام يوم مجيئهم - بإلقاء التحية للأمير أثناء العرض العسكري، حيث يمدح كل فارس - وهو راكب على فرسه - الأمير أثناء مروره من أمامه دون إيقاف فرسه. وإن كان البدو قدموا بأُسَرِهم، فبعد انتهاء العرض العسكري تقوم بنات الرؤساء ونساؤهم بالجري على هجنهم، ثم يتوقفن في جوار خيمة الأمير. ويقدم ما بين خمسة إلى عشرة ريالات بخشيشاً لكل عمَّاري، وريالاً أو ريالين لمن يمسك بزمام الدلول أو يدفعه من الخلف.

وفي نهاية توزيع الإبل، يقوم كل خبير بحمل خيمته إلى خارج البلد، وينصبها هناك فيقيم فيها يومين، ثم يبدأ التحرك.

وفي حالة الفوز في الغزوة يقوم عبيد الأمير بالإحاطة بالأموال المنهوبة، ثم يمر كل واحد من المشاركين فيها أمام الأمير مع الأموال التي حصل عليها. فإن أراد الأمير أخذها وإلا تركها. أما ما يقع بين الرؤساء من الغنيمة فلا يأخذ الأمير منه شيئاً.

ويعد [illegible] في حالة الفوز في الغزوة [illegible]
أربعة إلى ثمانية ريالات. [illegible]
[illegible] مع شيوخهم، ويقوم الشيخ بتوزيع القهوة على ضيوفه بيده.
[illegible] الذي يقدّم له القهوة قد أبلى بلاءً حسناً في الغزوة مدحه
[illegible] أما إن كان ممن خاف من العدو في المعركة؛ ذمّه [الشيخ]
[illegible] القهوة الموجودة في الفنجان أمامه على الأرض.
[illegible] غزوات منطقة (نجد) يتم إخلاء ثياب النساء منهن بالكامل،

وتبقى المرأة عارية. فتحاول الاختباء بين الأعشاب. وهذا الوضع عند الوهابيين مدار الافتخار. وعلى كل امرأة تُخلع عنها ثيابُها أثناء الغزو أن تذكر اسمها.. فإذا ما رجع الغانم إلى بيته وَهَبَ تلك الثياب لزوجته، ذاكراً أنها لفلانة بنت فلان. وتلك الثياب إن تم استخدامها فلا بأس، لكن إذا رُمِيَت بالشارع فَحَتَّى بائع الملابس القديمة أيضاً يترفع عن أخذها.

إنني مع طول فترة عملي بين العرب في مختلف المواقع والأصعدة، التي تقدر بواحد وعشرين سنة، لم أسمع من بين العرب بالتعرض للنساء [في الغزوة] ما عدا في منطقة (نجد).

□□□

[العبيد في نجد]:

ونظراً لفقدان الأمن في منطقة (نجد)، فإن امتلاك العبيد يعد ضرورة لا بد منها لمن يعيش رغداً. وقد اكتسب العبيد في هذه المنطقة سمعة جيدة، لوفائهم وإخلاصهم الذي يتحلون به لأصحابهم. وبما أن الأمراء والشيوخ يقومون بتنفيذ مآربهم عن طريق عبيدهم، فإنهم بحاجة ماسة إلى حمايتهم. وقد كان عدد عبيد «عبد العزيز آل رشيد» يتجاوز المائتين.

وليس من العادات المتبعة في الجزيرة العربية منح العبيد حرياتهم. بل وحتى أولاد العبيد أيضاً مما ملكت الأيمان. إلا أنه يتم إطلاق العبيد الخواص في خدمة الأمير حالة وفاته.

□□□

[أبراج المراقبة في نجد]:

يُبْنى في مدن وقُرى (نجد) ما يطلق عليه برج المراقبة (مرغاب). وهي مخروطي الشكل الناقص. وارتفاعها ما بين عشرين إلى ثلاثين متراً. ويقوم شخصان على البرج في كل يوم من الشروق إلى الغروب بمراقبة المنطقة. فإذا ما أحسَّ الحارس بتعرض خارجي قام بهز العَلَم الذي بيده وصرخ في الوقت نفسه بأعلى صوته، منبِّهاً الأهالي بالخطر. فإذا ما سمعوا ذلك أخذوا أسلحَتهم مُتَّجهين إلى خارج البلد، لحماية مواشيهم ومزروعاتهم. وبذلك يمنعون البدو من نهب أموالهم..

[توشيم الإبل في نجد]:

ويُعَدُّ النجديون مهرة في معرفة تغيير لون إبلهم وأشعاره. فيقومون للتعرف عليها بوسم إبلهم من مختلف الأماكن، بحيث لا يمكن أن يُبدِّلها السارق فيما بعدُ. وهم يسمون هذا الختم بالوسم. ويختلف وسم قبيلة عن أخرى. وهي معلومة لديهم.

[من آداب اللبس والتعامل في نجد]:

يربّي الشمر أشعار رؤوسهم، فيغزلونها إلى شقين، ويتركون الجدايل تلك على صدورهم. ويقوم المشتهرون بالشجاعة في (نجد) بارتداء شماخ مصنوع من الجوخ الأحمر، أو أنهم يعلقون أشعاراً برأس رماحهم.

وهذا القوم [العرب] شعلة من الذكاء في بعض الأمور، إلا أنه يتغابى شيئاً لم يره؛ فإننا لمَّا وصلنا إلى قرية «الجبفة» لأول مرة، علق البواق بوقه بإحدى الأشجار وبدأ يستريح تحت ظل شجرة. فاجتمع

الأهالي يشاهدون البوق، غير أنهم لم يكونوا يعرفون عنه شيئاً، فكان كل واحد منهم يُشبِّهه بشيء ما، إلا أن رأيه لا يجد قبولاً عاماً من الحاضرين. وقد خرج أحد العقلاء من بينهم فقال: ألم تعرفوه؟ يضعون التبغ في فتحته الكبيرة ويدخِّنون من الطرف الضيق. وقد وجد هذا الرأي قبولاً عاماً فانتشروا في لحظته. لأن قتل شارب المخزي (المدخن) جائز. ولذلك فمشاهدته أيضاً يعد ذنباً.

وهم لا يستخدمون الصابون. ويغسِّل الحضر ملابسَهم بالتراب. أما ملابس البدوي فلا ترى الماء. ولا توجد الحمامات في منطقة (نجد).. ويقيلون بعد الزوال لمدة ساعة أو ساعتين. وإذا صاحوا من نومهم اغتسلوا بماء بارد. وهم يهتمون بأخذ غسلة بماء بارد كل يوم.

وآداب الحديث لأهل (نجد) بحَضَرهم وبدْوِهم على درجة عالية من المدح والثناء. فلا يوجد عندهم الشتم أبداً، كما أن أغلظ ألفاظهم في أشد حالات الحدة لا يتجاوز «سلط الله عليك».

[الجراد في نجد]:

وقد تلف المحصول الزراعي في تشرين أول عام ١٣٢٠[1] بالكامل، بسبب الجراد، ولم يُسمع من الأهالي أي شكوى. وتعد الجراد عندهم غذاءً لذيذاً. ويعتبرونها فاكهة الصحراء، فيأكلونها بشهية. وإذا زادت الجراد من أكلهم قدَّموها للأفراس والبغال.

---

١) هذا بالتاريخ الرومي، ويقابله بالتاريخ الهجري ١٣٢٢هـ (١٩٠٤م). (المترجم)

وخسارة الجراد التي يطلق عليها «الدبي»[1] - وهو [أول] ظهور جناحيها - كبير جداً [على المزروعات]. فيقوم [الأهالي] بفتح خنادق كبيرة في اتجاه تحركه [أي الدبي]، حيث يمتلىء به الخندق بعد فترة، فيدفنونها بالتراب، وبذلك يتخلصون منه. [وهذا النوع من الجراد] لا يؤكل، لا من قبل الإنسان ولا الحيوانات.

وأثناء ظهور الجراد يتجه الأهالي بمراكبهم وإبلهم إلى موقع مَبيتها، فيملؤونها في الأكياس الكبيرة، وينقلونها إلى منازلهم وخيامهم. وهناك يقومون بإغلاق الأكياس بشكل محكم، ويضعونها في ماء مغلّي وملّح، ثم يخرجونها فيُشَمّسُون الجراد ويجففونه. وإذا كانت الكمية المجففة زائدة عن حاجتهم لمدة سنة؛ فإنهم يقطعون الرأس والجناحين والرجلين، ويطحنونه كالدقيق، فيتناولونه كالتسالي، حيث يأكلونه مع التمر.. وطعم الجراد يشبه طعم صفار البيض. وألذه ما كان قبل أن يبيض.

وتقوم الجراد بوضع بيضها على محل مرتفع بحيث لا يصيبه السيل، فتُغطيه بمائع لَزِج، بحيث يصبح هذا المائع مع مرور الزمن طبقة رقيقة، وتؤدي وظيفة الكيس.. وفي سنوات الجفاف لا يَحْيَى البيض، غير أنه يبقى دون أن يخرب. ويحيى في الأيام الممطرة خلال اثنين وعشرين يوماً. فيفقس البيضَ ويخرج في هيئة الدودة ويبدأ بالعيش.

ولا تترك الجرادُ التي تَرَعْرَعت الموقعَ الذي نشأ فيه، قبل أن يترعرع غيرُه من الجراد التي ما زالت في حالة الدودة، فإذا ما قوِيت وبدأت

---

1) الدَّبى: الجراد قبل أن يطير، أو أصغر ما يكون من الجراد. المعجم الوسيط. مرجع سابق: ١/٢٧١ مادة (دبى) (المترجم)

بالمشي قامت جميعها بالهجوم على المراعي.. والجراد التي نشأت في (نجد) تتجه دائماً إلى (العراق) و(البصرة).

وجراد الجزيرة العربية كبيرة وسمينة. وإذا ما بدأت الطيران بعد تكوين جناحيها، بدأت بالتزاوج. وهي تبيض كل شهر في مدة حياته. وفي كل مرة تترك ما يقرب من تسعين بيضة. والجراد التي نشأت في الربيع تبدأ في الطيران، غير أنها تتلف في حر الصيف. أما التي نشأت في الشتاء فتعيش.

وإذا ما أرادت الجراد قطع النهر الذي صادفهم، بعد أن أصبحت ذا جناح، أَفْدَتْ بما تحتها من جراد، واجتازت. لأن خمسة من الجراد تستطيع السباحة على ميتة الجرادة الواحدة.

ونظراً لعدم مقدرتها على التحرك أثناء تزاوجها في ليالي الشتاء، فإن الأهالي يراقبون هذا الوقت لجمعها.

وفي أثناء جلوسي في الخيمة وقعت عيني على جرادة التصقت بطرف الخيمة، فوجدتُها تنتفخ، ثم رأيت جرادة أخرى تخرج من فمها وطارت. فقمت لأخذ الجلد المتبقي فرأيتُ الرياح قد طيَّرته. فحكيتُ القصةَ للأهالي، فقالوا: إنها ثقبت الكيسَ وخرجت في حالتها الدودية وبدّلت جلدَها ولونَها وشكلَها خمس مرات خلال خمسة وأربعين يوماً (فهي تتحول إلى دبي بعد اثنين وعشرين يوماً، وتبدأ بالمشي).

□□□

[المأكولات في نجد]:

النجديون أهل قناعة وتوكل. وحسب ظني فإن الطعام الذي يشبع به رجل وسط في جهة (العراق)، يكفي لثلاثة من النجديين. ويشتهر أهل

(القصيم) بكثرة الأكل.

وطعام النجديين عبارة عن الرز الموضوع في صينية كبيرة وعليه اللحم المطبوخ، ثم تُصَفّ الطاسات المليئة بمرق اللحم في أطراف السفرة. وأحب الأكلات عندهم التمر ولبن الابل.

والنجديون لا يألفون الخضروات، ما عدا أهل (القصيم). وتناول الفواكه قبل الطعام يَعُمّ في هذه المنطقة أيضاً. (وهذه العادة جارية في أهل إيران وأفغانستان والهند). ولا يتناولون الثوم أبداً، كما أنهم لا يأكلون البصل الأخضر، إلا إذا كان مطبوخاً مع الطعام بكمية قليلة. ويطبخون الرز مع مرق اللحم، وبذلك لا يستخدمون السمن، إلا في حالات نادرة تطبخ بشحم.

وهناك ما يسمى بـ«حبحب أبي جهل»، ينبت في الصحراء بكثرة في السنوات الممطرة، فيقوم الأهالي بجمعه ووضع بذرته في الماء وغليانه ثلاث مرات، وفي كل مرة يغيّرون الماء حتى تذهب مرارته ومضرّته، ثم يطحنونه مع الدقيق فيأكلونه.

ويقوم الأهالي بوضع الملح في الدقيق للحفاظ عليه من الخراب. وإذا كانوا في الطريق فهم يعجنون الدقيق على جلد ثم يضعونه على النار التي أصبحت جمرة ويغطونه بالنار من فوق أيضاً. وبعد استوائه يتناولونه ثم يفتّتونه على الجلد فيخلطونه بالسمن ويأكلونه..

ويتم تجفيف التمر بعد نضجه وإخراج نُواته في الشمس، لأن التجفيف بهذه الطريقة يجعل التمر لذيذاً وصالحاً للأكل فترة أطول. أما في (العراق) فيتم قطف التمور قبل الاستواء، ثم غليانها في الماء، ثم تجفيفها فحفظها. وتلك الطريقة تؤدي إلى إصابة التمور بالسوس ولا

يكون لذيذاً.

□□□

[القهوة في نجد]:

والنجديون مولعون بالقهوة. حيث يحمصون البُنّ دائماً وهو طازج ثم يطحنونه ويشربون. ولِعَمَل القهوة هناك ثلاثة أنواع من الدلال في أحجام مختلفة، والرابع دلة عصير القهوة (تلوه كوكومي). وهم يسمونه «شربت»، ويغيّرونها في الأسبوع مرة. وفي بعض الأماكن نظراً لأنه يختمر بسرعة، فيتم تجديده خلال يومين أو ثلاثة أيام.

ويوضع «شربت» في أكبر الدلال أثناء عمل القهوة، ويُصبّ عليها الماء. ثم يوضع البن الطازج في هذه الدلة، ويتم غليُهُ حتى تنتهي رغوته. حيث يصفى في الدلة الثانية ويختمر. وإن وجد الهيل طُحن وأضيف قليلٌ منه إلى القهوة. وإذا تم الانتهاء من عصير القهوة وضعوها في الدلة الصغيرة فوزعوها على ضيوفهم. ومُقدّم القهوة يشربها مع ضيفه، وبذلك يتذوق طعمها. ويُعدّ اتباع هذه العادة بين العرب واجبة، حتى يطمئن الضيف. وتُصبّ القهوة في الفنجان إلى الثلث ثم يقدمها الصَّبّاب باليد اليمنى. وعلى الشارب أن يأخذها باليمنى ويردها بها كذلك. ونظراً لكون الفناجين بغير ممسك، فيضعها الصَّبّاب في يده اليمنى، داخلة بعضها في بعض. وتقدم القهوة إلى أن يكتفي الضيفُ بقوله «كافي» أو أنه يهز الفنجان في يده عدة مرات، كما هو متبع. ويتم شرب القهوة بعد تبريده، وذلك بتحريك الفنجان إلى اليمين واليسار.

وإذا نفدت القهوة، قاموا بالحفاظ على ما تبقى في أسفل الدلة بوضعه على دلة العصير، وبذلك لا يتبذرون في صرفها.

□□□

[فرد الابل في نجد]:

فرد الابل ثلاثة أنواع: يطلق على النوع المستخدم للحمل «حداجة»[1]، وعلى النوع الذي يستخدم للحمل والركوب «غبيط»[2]، والذي يستخدم فقط للركوب «شداد». ويطلق على المرتبة التي تربط بالشداد من الأمام «مسودة». حيث يقوم الراكب بوضع رجله اليمنى - من أمام الشداد - على ركبته اليسرى ويرخيها فتقع على المسودة، ويرخي الرجل اليسرى إلى الأسفل. وإذا تعب من وضعه ذلك بَدَّل إحدى رِجليْه بأخرى.

وهناك نوع من الظلال يستخدم للنساء ويسمى «عماري» يربط بالشداد. فإن كان العماري خاصاً لركوب نساء المشايخ يتم تزيينه بأنواع من الزينة.

وعلى كل راكب أن يحمل بيده خيزُراناً، ليستطيع توجيه ناقته أو إناختها. وعند الرغبة في تخفيف سرعتها أو إيقافها وإناختها، يتم وضع الخيزران على رأسها لإجبارها على الإناخة.

وإن كان عدد الركبان على الابل اثنين، الأول على الشداد والثاني على مؤخرته يطلق على «الفرد» في هذه الحالة «مردوف».

ويوجد لكل خيّال زينة خرجته. ويقوم بتعليقها في طرفَي الخرجة من

---

١) الحِدْج: الحمل، ومركب من مراكب النساء كالهودج والمِحَفَّة. المعجم الوسيط. مرجع سابق: ١/١٦٠، مادة (حدج). (المترجم)

٢) الغبيط: ما يوضع على ظهر البعير لتركب المرأة فيه؛ وهو وعاء ذو عِدلين كالخرج يوضع فيه التراب أو السماد، تحمله الدابة إلى الحقل أو غيره. المرجع السابق: ٢/٦٤٣ مادة (غبط). (المترجم)

الثقب الموجودة بها. وهناك كيس من الجلد بطول متر ونصف المتر، يوضع فيه السيف والخيزران، ويتم تعليقه بالجهة اليمنى من الخرجة.

ويبعث البدو بجمالهم إلى مراعٍ تبتعد عن موقع إقامتهم مسافة خمس أو ست ساعات.

ولا ينبغي أن يُعتقَد وجود الماء في مواقع سكنى البدو أو قريب منها، لَمَّا تلوح خيامهم أو نارهم من بعيد. فإنهم يحلون في مواقع، يسهل الدفاع فيها ويكون المرعى قريباً منهم. ونظراً لكونهم يشربون لبن الابل، فلا يحتاجون إلى الماء كثيراً. وتكثر الحالات التي يمر فيها الركبان عليهم ويطلبون منهم كأساً من الماء، فيعتذرون من عدم وجوده. لانهم يحملون الماء فقط لطبخ الرز وشرب المواشي. وحتى الرز يطبخونه أثناء وجود ضيف لديهم.

□□□

[النخوة العربية في نجد]:

توجد بين القبائل العربية في (نجد) صيحة لكل قبيلة، تدلّ على التعاون والتشجيع فيما بينهم، وهي معروفة لديهم. فالشمر يقدمون النخوة بصيحة «سنا عيس»، وأهل (القصيم) وعشيرة عنزة بـ«أولاد علي»، وفخذ البرية من عشيرة مطير بـ«السعران»، وفخذ العلوة بـ«الجبلان»، وعشيرة عتيبة بـ«ابن روق»، وعشيرة الدواسر بـ«أولاد حسن» أو «المسعار»، وعشيرة هيتم بـ«أخوة عيتجة».

جاء أعرابي إلى النبي [ﷺ] فقال[1]: «يا محمّد أيزني المسلم؟ أيقتل؟ أيسرق؟ فقال [ﷺ]: أليس إنساناً، قد يقع في مثل هذه الأخطاء. فقال الأعرابي: يا رسول الله أيكذب المسلم؟ قال النبي [ﷺ]: لا، لا يكذب الإنسان المسلم» وبعد هذه المقدمة، فقد أخبرتُهم أننا «تجولنا معاً في هذه الصحاري منذ أكثر من سنة، أستطيع القول إنني لم أسمع كلاماً صحيحاً».

فقال «عبد العزيز الرشيد»: قد دفن أمير «العيون» الصدقَ في (نجد) منذ زمن بعيد. (فقد جمع أمير العيون الناس في يوم من الأيام، ودفنَ بهم شجرة نخل يابسة في خندق كبير، ثم التفت إليهم قائلاً: أيها الناس، كانت هذه الصدقَ، فدُفِنَت).

□□□

[تتبع آثار الجريمة في نجد]:

يوجد من بين بدو (نجد) كثير من الخبراء المهرة في تعقيب آثار الجرائم. [فمما يحكى] أن عجوزاً فقيرة من أهالي قرية (الجهفة)، خرجت مع بنتها إلى الصحراء لجمع الحطب. فقام رجلٌ ذميم الخلق بتتبع آثارهما، وفي مكان مناسب وقع على البنت ثم قتل العجوز، حتى يقضي على آثار الجريمة. فذهبت البنتُ إلى الأمير مشتكية. فوظَّف الأميرُ أحد البدو المعروفين بخبرتهم في تتبع آثار الجريمة، وأرسله مع البنت

1) أخرج ابن أبي الدنيا في (الصمت) «عن أبي الدرداء قال يا رسول الله هل يَكذبُ المؤمنُ؟ قال: لا يؤمنُ بالله ولا باليوم الآخر مَنْ إذا حَدَّثَ كذبَ». الصمت. - تحقيق: محمد أحمد عاشور. - القاهرة: دار الاعتصام، ١٤٠٦هـ. ص ٢٤٣، ح: ٤٧٤. (المترجم)

إلى محل الحادث. فتفحّص الآثارَ ثم تجوّل في المنطقة لمدة أربعة أيام مع عبيد الأمير. وصادف المجرمَ فأشار إليه، [فقبض عليه] العبيدُ وأتوا به إلى الأمير. فسأله عن إجرامه، فأقر بجرمه، فأمر بقتله.

وقد حدثت هذه الحادثة أثناء وجودنا في (الجهفة). فقلت في يوم من الأيام «لسالم السبهان» - وهو موثوق الكلم -: تتبع المجرم من خلال آثاره، يتطلب مهارة كبيرة، فحكى لي القصة التالية:

استولى القحط عام ١٣١٧[1] على منطقة (نجد). فانتشر البدو في جهة (العراق). ثم لما سُمع بنزول المطر، عاد ثلاثة رجال إلى قبائلهم. ولما تجاوزوا آبار «شيرم»، وجدوا من الآثار الموجودة أن [قبيلة] سبخارة[2] قد رحلت من هذا الموقع قبل يومين أو ثلاثة أيام. ولما كان الثلاثة من قبيلة سبخارة نفسها فقد فرحوا لذلك وبدأوا بتتبع الآثار. وبعد المتابعة التي استغرقت مدة يومين قال أحدهم: انظرا، أليست هذه آثار أختي؟ قال الثاني: نعم. ففرحوا بالاقتراب من القبيلة، إلا أنهم وجدوا بعد فترة أن آثار المذكورة وحدها قد انفصلت عن القبيلة باتجاه آخر. فبدأ أخوها بتتبع آثارها، غير أن أصدقاءه لم يتركوه وحده، فذهبوا جميعاً، وبعد فترة وجيزة من المشي رأى أن الآثار وضحت بعودة أخته، فخجل من صاحبَيه، وبدأ بسرعة في تتبعها في الجهة التي عادت بها. فوصلوا إلى تلة رملة، وأدت بهم الآثار إلى شجرة

1) ليس هنا أي إشارة هل هو بالتاريخ الهجري أم الرومي. إلا أنني أفضل أن يكون بالتاريخ الهجري، لكون المتحدث من العرب، وهم لم يعتادوا استخدام التقويم الرومي. (المترجم)

2) قد يكون سنجارة. (المترجم)

«طرثوث» (١) التي تنمو في أعلى التلة. (الطرثوث نبات صحراوي، ذات لون أحمر، اسطوانية الشكل، طولها حوالي ذراعين، وهي تنمو في اتجاه مستقيم. ويطلق عليها في العراق «زب القاع». وتقوم طائفة النساء في نجد وبخاصة الفتيات، اللاتي لم يستطعن القضاء على شهواتهن النفسية، بتسكينها على شجرة الطرثوث هذه. وهذا الفعل لا يُعد عيباً بين القبائل). ونظراً لكونهم وجدوا آثار الدم على الشجرة؛ فقد تيقنوا من الاقتراب إلى قبيلتهم، حيث تتبعوا الآثار ووصلوا إليها بعد فترة.

□□□

[التحمل على العطش، وقوة الذاكرة]:

نظراً لكون الرمال باردة في ليالي الصيف، فإن الأهالي ينامون على الرمال. أما البدو فيُدخلون أجسامهم ما عدا رؤوسهم في الرمل وينامون، دون أن يكون عليهم شيء من الملابس.

ويستطيع أهالي هذه المنطقة تحمل العطش في الحالات العادية ما بين ثلاثين إلى أربعين ساعة.

وقد حكى لصاحب هذه السطور «غنيم» ابن شيخ «البوية» أثناء الرحلة إلى قريتهم القصة التالية:

«في يوم من الأيام أثناء تجولي في الصحراء صادفتُ الغزوة. ففررت مسرعاً بسَوْق ذلولي إلى الصحراء فنجوتُ. وقد تجولت في الصحراء

---

١) الطرثوث: نبات طفيلي من الفصيلة السنومورية. ومنه نوع طويل مستدق كالفطر، ينبت في بادية مصر وحول بحر الروم. المعجم الوسيط. مرجع سابق:٢/٥٥٣، مادة (طرثوث) (المترجم).

ثلاثة أيام حتى وصلت إلى خيام إحدى العشائر. شربتُ قليلاً من القهوة ثم أُغميَ عليَّ».

مع ما فيه من المبالغة بسبب طول الفترة، فقد ذكر «عبد العزيز الرشيد» أنه لما غزا على قبيلة مطير التي كانت تتجول في منطقة (الكويت)، لم يضع في فمه ماءً، خلال اثنتين وثلاثين ساعة. فإذا كان الإنسان الذي عاش حياة رغداً يتحمَّل هذه الفترة، فإنه يمكن التصديق بأن أحداً من البدو يستطيع التحمل أكثر.

يستطيع البدو رؤية وملاحظة حركات أعضاء الإنسان الذي يبتعد مسافة ساعتين أو ساعتين ونصف منهم. ويُظن أن رؤية حركات إنسان في مسافة عشر أو خمسة عشر كيلو متراً بعيد الاحتمال. إلا أنني لما أنقل الوقعة التالية بتحقيق شهادة ضابط [عسكري]، فقد تصدقونها:

«لما كانت مفرزة عسكرية في مهمة تعداد الأغنام، في البادية الشامية المواجهة لمدينة الناصرية، أخبر أحدُ البدويين - وكان يعمل دليلاً مع الجيش - ضابطَ المفرزة أن راعياً في الجهة الفلانية - وأشار بأصبعه إلى الجهة - يقوم بتهريب الأغنام، وعباءته تتحرك. فنظر الضابط بمنظاره إلا أنه لم ير شيئاً. ومع ذلك أرسل أربعة من الأدلاء بتعقيب الراعي المذكور، بفراسهم السريعة. فوصلوا بعد نصف ساعة إلى الراعي، وقبضوا عليه مع قطيعه. فقام ضابط المفرزة بتحقيق القضية من الراعي بغية الاطمئنان. فاعترف الراعي بأنه حرك عباءته لجري المواشي، وأنه رأى الجيش من هنالك».

وحضرُ النجديين أيضاً ذو أنظار ثاقبة. فمن الأشياء المتواترة التي تتكرر روايته: أن إخبار الحراس - الواقفين على الأبراج - الأهاليَ قبل

وقوع الغزوة بثلاث وأربع ساعات دائم الوقوع.

وهؤلاء الأهالي الذين يعيشون في هذه الفضاء الفسيح، يحافظون على أنظارهم لأنهم لا يصادفون مانعاً يحدُّ من خطوط الإشعاع، ولا يُتعِبون عيونَهم في القراءة والكتابة، وبشكل خاص لا يُتلفون أنظارهم بالتنوير الصناعي مثل الشمع والغاز.

وقوة الحافظة والذكاء لديهم زائدة. لكن السبب في ذلك هو أنهم لا يشغلون أذهانهم بشيء. وأظن أن أذهانهم لو تعبت بالدراسة [في المدرسة]، فلا يبقى ذلك الذكاء ولا قوة الحفظ.

□□□

[الإعلان عن الفوز في الغزوة]:

في أثناء حصول غلبة [إذا قامت عشيرة كبيرة بنهب الأموال بالحرب، أو إذا تمكّنت من بقعة ما]، فإن الأمير يُرسل المبشرين إلى الأطراف. وتفتخر القبائل بكثرة مبشريها، وذلك للدلالة على قوة نفوذ القبيلة وعدد رجالها. فإن كان المحل الذي أرسل إليه المبشر من لواحق إمارتهم، فإنه لما يصل إليه يقوم بسوق ذلوله بسرعة، رافعاً صوته مدح الوقعة [التي غَلَبوا فيها]، ثم يدخل البلد. فيقوم أمير البلد مع الأهالي باستقباله وتكريمه، وإجراء احتفال بهذه المناسبة. ومن الأصول المتبعة تقديم المال والإكساء للمبشر من قبل الأمير. ويدل الاهتمام بالبشير وتقديم الهدايا له على محبة الأمير المُرسِل.

□□□

[سير القوافل في نجد]:

والقوافل التي تتجول في الصحراء، تستريح قليلاً في وقت الضُحى

لشرب القهوة. وقبل غروب الشمس تصل إلى منزل تحلُّ فيه الليل، حيث يُطبخ الأكل وتُعد القهوة ثم تُخمدُ النار قبل الغروب. وهم يهتمون بعدم إشعال النار في الليل اهتماماً كبيراً، حتى لا يظهرون موقعهم للغزاة المارة بالليل.

□□□

الأصول العامة للطبابة في نجد:

بما أن النجديين يقومون بتكميل احتياجاتهم من خلال جمالهم، فإن داء أمراضهم أيضاً هو حليب الإبل وبوله. و«الكي» كذلك من الأشياء المستخدمة بينهم في التداوي.

وقد أرسل «إبراهيم بك» و«عبد الحكيم أفندي» - من أطبائنا الماهرين - إلى (بغداد) للقيام بالتدقيق في أصول الكي. غير أن هذه الهيئة رجعت [بخُفَّي حُنين] ولم تستفد شيئاً، نظراً لاعتمادها على السَّماع. فإن كانت الدولة جادة في الاستفادة من أصول الكي، ينبغي عليها ابتعاث بعض الأطباء الشباب الماهرين إلى شيوخ عنزة والشمر، ليقوموا بالتجوال في هذه الصحاري مع البدو، وجلب المتخصصين وتدقيق العمليات التي يقومون بها، والاطلاع عليها، ثم يقوم كل طبيب بتقديم تقريره الذي أعده منفصلاً عن الآخرين. فإذا قام المجلس الصحي بالنظر في هذه التقارير، وصل إلى نتيجة مثمرة.

وأصول التداوي في (نجد) التي اطلعت عليها بالمشاهدة والسماع هي:

يتم كيُّ الشريان الموجود تحت وفوق الصدر الأيسر، في أمراض ذات الجَنْب [الرئة]. ويؤخذ الدم من الشريان الأخير من أصبع اليد اليسرى، فإن لم يتخفف المرض يتم كي الأصبع الذي أخذ منه الدم.

وفي أمراض الكبد يتم قطع ذيل الغنم بالكامل وهو حي، ثم يقسم إلى قسمين (مسطحاً)، ويربط به المريض على محل الكبد، بحيث يبقى وجه الذيل ذات الشعر في الخارج، وذلك لمدة أربع وعشرين ساعة، فيرفع الذيل من على المريض، ويظهر على جسمه بقع سوداء. فيتم كي أطراف هذه البقع بإبر احمرت في النار، ثم يأخذ المريض بالحِمية الشديدة لمدة أسبوع. [أما] معالجة محل الكي فيتم بالمرهم بعد ذلك.

وفي مرض السيلان يتم كي الشرايين المحاذية للأصبعين الصغيرين لكلا الرِجلين.

ويتم تداوي أمراض التيفوس وأمراض الحُمّى وكافة أمراض الرأس بعملية كي ما يسمى «المخمس». وهي:

١- مجمع العروق (وهي الحفرة الواقعة في الرأس الصغير).

٢- في الحد المشترك بين عَظم الجمجمة والجبين.

٣-٤- الشريان الواقع خلف الأذنين.

٥- خلف قمة الرأس قليلاً.

وفي مرض الاستسقاء وفقر الدم يتم إشراب المريض لبن الابل التي أنجبت أول مرة (ولبن الابل التي أنجبت أول مرة يكون حلواً).

ويقوم المصابون بمرض المعدة بشرب بول الابل التي لم تحمل بعدُ، وذلك ثلاث حفنات في الصباح ومثلها في المساء.

ولمن لم يتعوّد شرب لبن الابل، فإنه يُعدُ مُسهلاً قوياً له. إلا أنه نظراً لعدم استفادة البدو منه (في الإسهال) فإنهم يخلطونه بقليل من بول الابل ثم يستخدمونه في دفع الانقباض. وهم يغسلون رؤوسهم كذلك ببول الابل؛ لأنه يقضي على البيض من الأشعار، ويساعد على نموها

بسرعة.

إلا أن أهم الجراحات هي القيام بقطع الأمعاء وتخييطه ووضعها في محلها. وهذه الطريقة في الجراحة اكتشف حديثاً. واكتسب المكتشف في (أوربا) شهرة كبيرة. مع أن هذه الطريقة كانت معلومة في (نجد) منذ آلاف السنين.

يقوم جرّاحو (نجد) بتخييط أمعاء الإنسان برأس النّمل. ونظراً لكون الفراس عند النجديين غالية أكثر من حياتهم؛ فإنهم مهرة في تداوي الفراس: حيث يقومون بإجراء عملية على الفراس التي لا تنجب على النحو التالي: يُعضضون بالنمل الأماكن المقطوعة أو الساقطة أو المثقوبة من رحم الفراس، فإذا مسكت النمل قطعوا رأسها عن جسدها. ويطبقون هذا النوع من الجراحة التي تجرى فيها الخياطة، على أمعاء الإنسان. ومما يُروى بشكل متواتر أن هذه العملية تجري بنجاح باهر.

وقد قال «عقبة بن نافع» بحق كلاماً بليغاً «كل شيء كان موجوداً من الأول».

□□□

معلومات عن الخيول والبغال:

فرس البدوي أكثر قيمة من حَرَمه. فهو يعيّشه في الخيمة معه، ولا يظهره لأحد. وطلب بيع فرسه منه يُزعجه مثل ما يطلب منه روحه. فإن اضطر إلى بيعه باعه، لكن بشرط أن يبقى فخذ من فخوذه حصة له، بحيث يحصل فيما بعد على وليد أنثى منها. ونظراً لعدم اهتمام البدو بالنقود حتى الآن؛ فإن الحصول على فرسه منه يقتضي إرضاءه بالحاجات الضرورية مثل الابل والغنم والحصان والدقيق والرز والتمر

والسمن والقهوة والخيمة.

ويتم تزاوج البغال في شهر ايلول [سبتمبر]، حتى تلد في الخريف من العام المقبل، لكثرة الأعشاب فيه، وذلك لألا تتعب في تنشئة وليدها.

ويتم بعد الولادة بسبعة أو ثمانية أيام تلقيح الفرس مرتين في اليوم: صباحاً ومساءً.. وإن لم يكن هناك تخديش في الثديين، عُرف أن البغل لم ينجب من قبل.. ويتم إخراج الفرس من الثالث عشر إلى السادس عشر من كل شهر عربي إلى البَر لرؤية القمر، حتى تُعرف رغبتُه في التلقيح؛ وهناك بعض البغال تظهر رغبتها في التزاوج إلى حين الولادة، غير أنها لا تقبل عليها فرساً.

وإذا ولدت البغل تُقتلع نعالُها، وتُركَّب بعد خمسة وعشرين يوماً. (واقتلاع النعال لتزيد لبنها).

وإذا ترك البدو حيواناتهم [البغال والخيل] ترعى في الصحراء؛ ربطوا زمامها بركبة الرِّجل الخلفية. ولهذا السبب فإن وجود محل الحبل في الركبة، يدل على أن هذا الحيوان مما يمتلكه البدو.

وربط الحيوان بالسكة [بالوتد] يؤدي به إلى الإسقاط، كما هو واقع في كثير من الأحوال. ولذلك فإن البدو لا يربطونه بسكة. بل يقومون بوضع وتد في الأرض بحيث لا يظهر منه شيء، ويكون هناك حبل مزدوج من الحرير مربوط به، فيتم ربط زمام الحيوان بالحبل المذكور.

ويتم ركوب الفرس في السنة الثالثة من عمره، والبغل في الشهر العشرين. ونظراً لكون البدو يركبونها قبل ذلك فإن حيواناتهم تبقى صغيرة الحجم. ويتم تزاوج البغل بعد السن الرابعة، والحصان بعد الثالثة.

وهم يتركون الحيوانات التي تشارك في السباق في موقع يبتعد عن محل أكله بساعة، دون أن يكون عليها شيء أو حتى زمام. ثم يمسكونها من عُرْفِها ويتركونها بنعرة «حباك». فتبدأ الحيوانات بالجري بأقصى سرعتها بالطبع. ويلاحظ الواقفون في جهة الطعام [نهاية السباق] الحيوان الذي وصل قبل غيره. وهم يطلقون على الأول «مجلى»، وعلى الثاني «مصلى»، وعلى الثالث «مسلى»، وعلى الرابع «تالي»، وعلى الخامس «مرتاح»[1].

□□□

المواصفات المقبولة في الخيول والبغال:

يُعد الفرس مقبولاً في القامة إذا كانت المسافة التي تقع بين شفاهه العلوي إلى أجدافه، متساوية مع المسافة من أجدافه إلى نهاية «قوجان» ذنبه.

المسافة من طرف أشعاره الواقعة على حوافره إلى الركبة إذا ضُرب بثلاثة، فإن المجموع يساوي ما سيكون عليه المُهر من ارتفاع القامة بعد ذلك. (لا يعتد بهذا المقاس في نجد). والدابة التي لا تقل ارتفاعها عن ١ر٤٠ متراً تُعدُّ مقبولة. أما إذا كانت أكثر من ١ر٥٠ متراً فإنها طويل القامة[2].

---

١) خيل السباق عشرة: مجلي، ومصلي وتالي وبارع ومرتاح وحطمي وعاطفة ومؤمل والسكيت والفشكل. الأمير محمد علي:- كتاب عن تربية الخيول العربية. - مصر: الجمعية الزراعية الملكية، ١٩٣٦م. ص ٣٧ (المترجم).

٢) جاء في كتاب (الجواد العربي) من أوصاف الخيل: «[illegible]: سعة شدقيه، وكثرة ريقه، وسعة

ينبغي أن تكون رأس الدابة متناسبة مع جسمها؛ رأسها وجبهتها بارزة؛ وعيونها كبيرة مثل [عيون] الظبي؛ وفتحات الأنف كبيرة وواسعة؛ وأذنيها مثل أذن الظبي طويلتين ورقيقتين، وتكونان ثابتة، لا قريبة من بعض ولا بعيدة؛ وألّا تهتز أثناء مشيها؛ وتكون واسع الصدر؛ مليئاً فخذاها باللحم مثل فخذ الإبل؛ وأن يكون الظهر قصيراً (ويفضل في البغال أن يكون الظهر طويلاً)؛ ومقدمتها تكون أرفع من مؤخرتها (حيث تجري بسرعة أكثر)؛ وتكون الأرساغ قصيرة وثخينة (فإن كانت الأرساغ رفيعة ومرتفعة كما في الخيول الانجليزية، فإنها تركل برجلها الأرض، حتى ولو أنها تجري طويلاً، إلا أنها نظراً لكونها ضعيفة فلا تستطيع الصمود في المسافات الطويلة). إن كان لون الرسغين أسود دل ذلك على قوتها. وأن تكون الأظافر سوداء (فإن كانت بيضاء فهي ضعيفة، وتنفلق أظافرها بسرعة). ينبغي ألا يتجاوز ذنبها - إذا أطبقت على ظهرها - عظمَ الفخذ (فهذا النوع تجري [مسافات] طويلة).

إن كانت يداها وإحدى رجليها مُحجَّلة[١] فيطلق عليها «مطلق

مَنْخَرَيْه، وبُعدُ مَدِّ إطْرَفِه، وطموح بصره، وشدّةُ نظره، وإشراف حارِكِه وحَدِّيْه من تحت جُلِه، وأذناه وبُعدُ ناصيته من حارِكِه، وقِصَرُ ظهره، وبُعدُ مَرْفَقَيْه من ركبتيه، وقُربُ ما بين ركبتَيْه، وإشراف أقطانه، وعِظَمُ زَبْلَتَيْه وحَمَاتَيْه، وقِصَرُ ساقَيْه، وصِغَرُ كعْبَيْه، وطولُ وظيفَيْ رَحْلَيْه.. الجواد العربي لمؤلف مجهول. - تحقيق محمد ألتونجي. - الكويت: منشورات مركز المخطوطات والتراث والوثائق، ١٤١٣ (١٩٩٣م). ص ٤٤ (المترجم)

١) إذا أصاب البياض القوائم كلها فاستدار حتى يأخذها أو يطيف بها كلها فهو «محجل

اليمين». ويعتقد أن صاحبها ذو رزق واسع. [فإن كان عكس ذلك][١] تسمى «مطلق اليسار»، وهي مرغوبة[٢] وكلما وطىء الحيوان بأقدامه إلى الأمام أكثر، بحيث تتجاوز خطواتُه جبهتَه، فإن ذلك يدل على ثبوته في مشيه المنتظم.

والخيول البيضاء المحجلة بالسواد مقبولة. وقد أصبحت الجملة التالية [عن هذا النوع من الحصان] ضَرْبَ مَثَلٍ لدى العثمانيين القدماء

أربع».

وإذا كان التحجيل بالرجلين قيل «محجّل الرجلين».
وإذا كانت واحدة قيل «أرْجَلُ» يمين أو يسار، وإذا كان في يد مخالف قيل «شكال».
وإذا كان البياض بيد ورجل من جانب واحد دعي ممسك الأيامن مطلق الأياسر، وكذلك إن كان في اليسار دعي بها.
وإذا ابيضّت يد واحدة ودار بها التحجيل قَلّ أم كثُرَ قيل «أعصم». وإذا كان التحجيل في اليدين ولم يكن في الوجه بياض دعي بالعصيم أيضاً، وإذا كان بوجهه وَضَح فهو محجل اليدين.. انظر: الجواد العربي. ص ٦٠ (المترجم)

١) استخدم المؤلف الجملة السابقة نفسها هنا، فرأيت أنه خطأ، وذلك لعدم التقاء الضدين. ولذلك تصرفت في الجملة حسب الرأي الذي رأيت الصواب فيه. [المترجم]

٢) إذا كانت اليد الأيمن والرجل الأيسر محجلة فإن العرب تعد مثل هذا النوع من الخيول مشؤومة. انظر: قاموس حيات. ص ٦١٢.

-Hayat sözlüğü.(İşkil) maddesi

(المترجم)

«الما آلى، صات ياغزي، بين قره، قوللان دوري»[1].

١) لم أستطع ترجمة هذا المثل، الذي توصف فيه الفراس. (المترجم)

المواصفات السيئة في الخيول والبغال

المنسية: [تطلق] على الأشعار التي تكوّن خطاً بدءاً من أجداقها باتجاه الرقبة، والعكس، وتكون تلك الأشعار معكوسة.

الشقزيق: ويطلق على الشعر النامي في الصدر باتجاه معاكس مكوناً خطاً. فإن كان هذا الخط يصل إلى ما بين اليدين يسمى مشؤوماً. فإن لم يكن طويلاً إلى هذا الحد فلا بأس.

كوم: وهو الخط الذي يمتد من موضع القلادة إلى طرفَي البطن. (ولا يعدّ هذا من الصفات المكروهة في الخيول البيض).

اسباول: وجود عظم مدور زائد في الركبة من القوائم الخلفيتين. وقد يكوّن في الركبة الواحدة.

نجمة: هو وجود الشعر على الجبهة في شكل نجمة متجهاً إلى الخلف. فإن كانت النجم ثلاث فلا بأس. وإن كانت اثنتين فلا يقبل. إلا إن كان بينهما مسافة أصبع، فيقبل.

طيره: العظم المدور الموجود على ركبة القوائم الخلفية.

ترابية: البقع السود على الحوافر.

لطامات: وجود البقع السود على شفايف الفرس البيض.

باغة: الانتفاخ الموجود على الرسغين.

عظم: وجود العظم بين المرافق والأرساغ من الأيدي. فإن كان هذا العظم على العظم الأصلي من الأمام، فإن هذا لا يعدّ عيباً في الدابة. إما إن كان في الخلف بين الجلد والشرايين فهذا ليس مقبولاً.

فضوليات: وجود القواطع الزائدة في الفم، يؤدي إلى عدم الإقبال على الأكل. فينبغي أن تكسرها.

شيوكل: يكون في القوائم الخلفية. وإذا ما تعبت الدابة فإنها ترفع رجلها أكثر من الرفع الطبيعي.

تابوت: [ويسمى أيضاً دائرة النعش، وهي من الدوائر المكروهة في الخيول]، وهي الشعر النامي على الجبهة باتجاه معاكس مكوناً خطاً إلى الخلف.

وإن كان مؤخرة الخيل أرفع من مقدّمته، فإنه لا يكون قوياً..

والخيول التي توجد حوالي عينيها وفمها بعض الأشعار فإنها غير مقبولة..

تداوي الحيوانات

لتداوي جروح الحيوانات يمسحون بها السمن الطبيعي. أو أنهم يُحمّصُون الشعير والبن والتمر بكميات متساوية، ثم يخلطونها معاً، فيضعونه على الجرح. فإن كان الجرح عميقاً حشوه بالباروت. وإن كان [خدشاً] سطحياً يضمدونه ببول الإنسان.

«صقاغي» [الكحة]: [أعراضه:] يصبح جلد الدابة مثل النار، وتكح، ويضيق التنفس لديها. فإذا ما ظهرت عليها تلك الأعراض ينبغي فصلها عن غيرها. لأن هذا المرض مُعْدٍ. ويتم علاجها بطحن نبات يسمى عرق الحلاوة، ثم وضعه في قصب ونفخه في أنفها.

الصفار: [أعراضه:] يصبح بياض عينيها والجلد الداخلي - إذا رُفعت شفتها العلوية - أصفر. فإن كان المرض في بدايته يتم تجريح البقع الصفراء تحت شفتها العلوية بالموس، ومسحها بالملح والبصل. فإن كان المرض متقدماً لا يقدرون عليه.

شوحار: [أعراضه:] تنقبض الشرايين، وتتصلب الأذنان، وينخفض الصوت. (ويحصل هذا المرض لدى الدابة؟ بعد مرورها بالماء وهي مُعرقة ثم ربطها). ويتم علاجها بتدهين كافة جسمها بدهن السمسم وتدليكها لمدة ساعة، ثم تغطيتها بغطاء سميك حتى تعرق.

مخمور: يحصل هذا النوع من المرض عند الدواب بالصيف، لمّا يُقدّم لها الشعير أثناء حَرّ الظهر، فتأكل بكميات كثيرة فتصيب بهذا المرض، حيث تتصلّب قوائمها الأمامية، إلا أنها تستطيع المشي رويداً رويداً. وعلاجه يكمن في إركاضها حتى تعرق.

المغص[1]: [أعراضه:] تقعد الدابة وتقوم كثيراً، وتنظر إلى موقع الوجع. ويكمن علاجه في تذويب قليل من الباروت في الماء ثم إشرابها، وتمشيتها وجريها بعد ذلك. فإن بالت الدابة شفيت. وإن لم تجتز المرض يقومون بإخراج الفضلات من مؤخرتها بأيديهم.

داماق: [أعراضه:] لا تنقطع عن الشعير، إلا أنها أثناء أكلها يسيل لعابها فتبتل الشعير. ويكمن علاجه في الكشف على فمها، فإن كانت متورمة من الداخل، ينبغي إدخال مسلة أو مزمار فيها، حتى يخرج منها الدم، ثم مسحها بملح ناعم مسحاً جيداً. وهم يقومون بهذه العملية قبل إسقانها بأربع ساعات.

الدود: إن كانت الدابة تحمل الدود فإنها تخرج مع فضلاتها. ويكمن

---

١) المغص يعبِّر عن مجموعة الآلام التي يشعر بها الحيوان في منطقة البطن ومصدرها إما علة بقناة الهضم أو مرض بالكلى أو الحالب أو المثانة أو الكبد. إبراهيم نجيب محمود وزميله:- الطب البيطري. - القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٧٨م. ص ١٧٥

العلاج في القيام بغلي شراب التمر، ثم تطعيمها بإبرة في جسمها، وبعد ذلك تعجين كيلو ونصف من الدقيق مع حفنة من الكبريت، وتخليطهما بشكل جيد، وتكوين كرات صغيرة من هذا العجين، وتأكيلها كل يوم في الساعة الثانية صباحاً، ولمدة أربعة أيام.

الرياح: يتم علاج هذا المرض بوضع سمن مغلي في شرجها، وذلك بوضعه في نصف قدح منه عدة فتحات. ويتم إدخال القصب بعد ذلك إلى الشرج بمقدار أصبعين، ورفعه إلى أعلى لإدخال السمن منه. وينبغي قبل القيام بهذه العملية مسح أطراف شرج الدابة وملتقى قوائمها الخلفية بالطين، وكذلك الأماكن التي يقع عليها السمن المغلي.. وإن أصيب البغل بهذا المرض لا يمكن معالجته.

وإذا قشط جلد قوائم الدابة (ويحصل في غالب الأحيان إذا بقيت الدابة على الأماكن الوحلية والمستنقعات فترة بدون نعال) فإنها لا تستطيع وضع القوائم على الأرض كما ينبغي. ويكمن علاجه بتنظيف قوائمها وقشط الأوساخ من حوافرها. ثم يوضع قليل من الزنجبيل في المكان الذي يبقى فارغاً، ثم يوضع النعال بعد وضع صوف عليه. [بقيت هنا صفحة لم تترجم. وهي متعلقة بأمراض الخيول.].

□□□

أصول الحرب لديهم:

يتم سوق ما يسمى بـ«صبون» وهي الخيالة الهُجُن، مع البغال في

الاحتياط قبل اللقاء بخمس أو ست ساعات، ونوع آخر يسمى «فشاش»[١] أما القوات الأخرى فعلى الغالب تبقى في الوسط. وتتم مراقبة الأماكن الحساسة والخطرة قبل اجتيازها. وترسل فرق أخرى للكشف عن العيون والعوارض الطبيعية. وعلى هذا الأساس يقوم «الصبون» بتبليغ معلوماته (إلى الصفوف الخلفية) كلما اقترب من العدو. وأثناء اللقاء يكوّن المُشاة صفاً واحداً، ويتموضع الخيالة في الميمن والميسر والجهة الخلفية. وينسحب الصبور إلى الخلف، فيهاجم الخيالة الموجودة في الجهتين في هذه الأثناء، ويعقب ذلك هجوم عام، فيصارع كل فرد مقابلَه من العدو، ويستمر هذا الصراع إلى وقت الغروب بنوع من الشدة.

فإن لم يستطع أحد المصارعين القضاء على خصمه قبل الغروب أُجِّلت المعركة إلى اليوم التالي، وينسحب كلا الفريقين إلى معسكره. وبعد اجتماع مجلس الشورى [أو التحكيم] يتقرر ما إذا كان الفريقان يواصلان المعركة أم لا، فيقيمان في معسكريْهما. أو أن أحدهما إذا أحسَّ بضعفه استفاد من ظلام الليل فانسحب من المعركة.

وإذا حصل أن تغلّب أحد الطرفين على الآخر فإن فرار أحد أفراد الطرف المنهزم يُعدّ في حكم المستحيل. غير أن العادة الجارية في هذه الحالة أن يقوم الطرف المنزم بترك الإبل أثناء الفرار على شكل أقساط، حيث ينشغل المعقبون له بالحصول على الغنيمة، وهو في أثناء ذلك يقطع مسافة جيدة، فينجو بنفسه من الهلاك. وبخاصة إذا علمنا نشوب

---

١) لعلها من الفشوش، وهي النوق التي ينفش لبنها من غير حَلْب. انظر: المعجم الوسيط: ٢/٦٨٩ مادة (فش). (المترجم)

النزاع في الغالب بين أفراد القبيلة الواحدة في الحصول على الغنيمة، وذلك يكون لصالح نجاة أفراد القبيلة المهزومة بأرواحها.

والنجديون بشكل عام يقتتلون في ساحات القتال.. والهجوم في الليل أو النهار جارٍ. وتعد حركة الإحاطة بالخصم نادرة. كما أن الهجوم على الخصم الذي يحارب من خلال سور قريته ليس وارداً، فهُم لا يعلمون طريقة أخرى غير القيام بإحاطة قرية الخصم وقطع الإمدادات الغذائية عنه، لإجباره على الاستسلام. أما وضع الألغام فليس رائجاً لديهم.. وإن كان توفرت لدى سكنى البلدة المقاتلة الموادّ الغذائية؛ فإنهم لا يبالون بالصمود أمام المحاصِرين. ويمتد الحصار بذلك فترة طويلة، إلى أن يتسلل الخلل إلى معنواتهم، فيفكون الحصار. فإذا ما أحسّ المحاصَرون بضعف في صفوف أعدائهم قاموا بالهجوم عليهم لفك الحصار.

وفي حالة صمود المحاصَرين أمام العدو فترة طويلة؛ يقوم الأخيرون بقطع أشجار النخيل وتعبئة الآبار بالتراب، لإجبار الخصم على الاستسلام. غير أن التجارب أثبتت أن تلك الطريقة تغيظ المحاصَرين فيصمدون أمام العدو. (فقد تم قطع النخيل في (رياض الخبراء) و(شنانة) بأمر من «عبد العزيز الرشيد»، وتعبئة آبارهم بالتراب، فكان ذلك تشجيعاً للأهالي الذين غاظهم ذلك إلى الصمود أمام المذكور حتى النهاية).

وكانت العادة قديماً في الهجوم على الموجودين خلف أسوار القرى، الموجهين نيران بنادقهم إلى المهاجمين؛ هي سوق الإبل البيض بقوة وتسييرها بشدة سيوفهم نحو السور، فإما تنهدم السور بتلك القوة، أو [illegible] تلك [illegible]

العام على القرية، فيتمكنون من الاستيلاء على الموقع.

لكن سُكنى (نجد) اليوم نظراً لامتلاكهم بنادق ذات عيارات متعددة فإن الهجوم الجبري [كما كان في السابق] يعد في حكم المستحيل.

وفي المعارك التي تقع بين القبائل، لا نجاة للفرد الذي قطع أمله من خط الرجعة سوى الصمود أمام الخصم بصبر وثبات حتى النهاية. ويحصل في بعض الأحيان أن تشترك أَسَرُ البدو معهم في المعركة، وهم يطلقون على ذلك «منخ». ويعد من شمائم العرب في مثل تلك المعارك؛ ثبات الذكور في وجه العدو وعدم فرارهم من المعركة حتى هلاكهم عن بكرة أبيهم. غير أن هذه العادة العربية الأصيلة أيضاً طرأ عليها اليوم نوع من الخلل.

[فمما يفعله] البدو قبل بدء المعركة؛ قيام الطرفين بإركاب أجمل فتياتهم على المركب الذي يطلقون عليه «عماري». وبعد تعيين نحو ثلاثين أو أربعين فدائياً للحفاظ على العماري الواحد في المعركة، يبدأ اللقاء بين الطرفين، فتقوم أولئك الفتيات بتشجيع المحاربين أثناء ذلك بأرفع أصواتهن.

وقبل هلاك فدائيي كل عماري لا يمكن أسرها. فإن كانت إحدى القبائل سلّمت عماريها قبل هلاك فدائييها، لا يمكنها الخروج بالعماري [في معركة] أخرى. وقبيلة «الرولة» هي الوحيدة اليوم من بين القبائل تحرج في المعارك بالعماري، حيث افتقدت سائر القبائل هذه الصلاحية..

ومع أن أفراد القبائل يستخدمون علامات معينة لمعرفة الصديق من العدو بعد بدء المعركة، كرفع علم القبيلة والصرخة بصيحتها، إلا أنه يحصل في بعض الأحيان أن يقاتل صديق صديقه أو أخ أخاه، [لأنه] يستطيع

كل طرف تقليد صيحة الآخر في وقت الشدة، فيصل إلى مقصوده.

وعشيرة الشمر إن كانت تجتمع بالكامل تحت عَلَم الأمير؛ فإن [قبيلة] «الدفينة» و«الدغيرات» تقومان بتكوين الجناح الأيمن، و«الأسلم» و«تومان» و«سنجارة» بالجناح الأيسر، فيدلق على الجناح الأيمن «العبده»، وعلى الجناح الأيسر «الصايح».

ويُعيَّن حضريو «جبل فراس» والعبيد والذكور في المركز.

والقبيلة التي تهتم بالنظام أثناء المعركة قد تغلب على عدة قبائل قِوامها عدة أضعاف الأولى.

ففي المعركة التي جرت عام ١٢٩٦هـ في القرب من بلدة (حي) بسبب عصيان السعدونيين في لواء (منتفك) التابع لولاية (البصرة)؛ كان عدد أفراد العشائر المجتمعة يتجاوز الاثني عشر ألف نسمة، وكان عدد أفراد الجيش [العثماني] قريباً من ألفي نفر. (وكان العمل الذي قامت به العشائر في هذه المعركة) وضعَ الزفت في آذان نحو ألفين أو ثلاثة آلاف إبل، ثم علي الآذان تلك بالتراب، وتم سوقها نحو الجيش بعد ركوب أحدهم عليه وقام آخر بدفعها من الخلف بقوة السيف. وفي أثناء الهجوم كان الراكب ينشر التراب في الجو حتى يغطيه غبار كثيف، فيمنع الجيش من الرؤية. وكان الآخرون يهاجمون على الجيش من وراء الإبل..

ومع ذلك فقد تمكن الجيش بقيادة «عزت باشا»- رحمه الله - من [الغلبة على العشائر و] دخول مدينة (الناصرية)، وتخليص الكتيبتين المحصورتين فيها منذ عدة أشهر. وكل ذلك بفضل وجود «عزت باشا» فيما بين العساكر، وتشجيعه لهم، وثباتهم في المعركة، وشجاعة الضباط المشاركين فيها، وإدارة المدافع بسرعة ومهارة.

□□□

[معركة الجيش العثماني مع السعدونيين]:

وكان عزت باشا قد تحمل مشقات كثيرة في سبيل الحصول على إرادة سَنية لتأديب السعدونيين. فقد كان «منصور باشا» رئيس هذه العشيرة الذي أطلق على نفسه «سلطان البر»، قد أعلن استقلاله داخل لواء (منتفك)، وبدأ بالتعرض على (البصرة) و(عمارة). وكان أخوه الكبير «ناصر» يقوم بإغفال هيئة الوكلاء في (استانبول).

ومع أن المعروضات التي كان يرسلها «عزت باشا» إلى (استانبول) لم تلق قبولاً وأهمية تُذكر، إلا أنه استمر في عزمه وثباته كقائد عسكري رائع، ولم يكن يبالي بالردود التوبيخية الآتية إليه من (استانبول)، مُظهراً أسفه وقائلاً: «لا قدرة [للسعدونيين] في الهجوم علينا بالمدافع والبنادق!»، ومستمراً في إقناع (استانبول) بوجوب تأديب السعدونيين بأدلة أقوى من سابقتها، وذلك لسلامة البلد والجيش.

ومع طول الاتصالات ازدادت استطالة السعدونيين، فقاموا بحصار الكتيبتين الموجودتين في مدينة (الناصرية). وتعاهدوا مع القبائل المجاورة، وبقيت بذلك ولاية (البصرة) في خِضَمِّ نار مشتعلة، ومر الوقت الذي كان يلائم القيامَ بحركة عسكرية..

فقام «عزت باشا» بتأثير الألم الذي يشعر به من داخله بتقديم برقية إلى المابين قائلاً «سيدي؛ لا يمكن إصلاح منطقة العراق مع وجود نقود السعدونيين وحرص وطمع هيئة الوكلاء عليها». فعملت هذه البرقية الشديدة اللهجة عملها، حيث صدرت الإرادة السنية في البرقية الجوابية على النحو التالي «نظراً لما ورد في التقرير الذي أعدَّه رديف باشا؛ فإن

تأديب السعدونيين يحتاج إلى قوة عسكرية قِوامها مئة وخمسون ألف نفر. والوضع المالي لتوفير متطلبات مثل هذا العدد غير ملائم، ولهذا فإن رأيتم مقدرتكم كافية بما معكم من العساكر في القيام بهجوم على السعدونيين بحيث تكونون مسؤولين عن عواقبه أنفسكم فقط.

فتحرك «عزت باشا» بما استطاع توفيره من قوة جزئية إلى بلدة (حي)، دون المبالاة بتهديد السلطان أو حرارة الموسم الشديدة. وبعد وصوله إليها قُدِّمَ إليه من قبل «منصور باشا» عن طريق تاجر يهودي ثلاثون ألف ليرة [للرجوع عن رأيه]. إلا أنه لم يتنازل عن رأيه ولم يقبل الهدية، بل ردّ عليه ونَصَحَه بوجوب تقديم طاعته للدولة. فانتظر الردَّ عليه ثلاثة أيام وهو في بلدة (حي). فاتصل في هذه الأثناء برئيس عشيرة «ربيعة»، ووُفِّقَ في فصله من الاتفاق الذي جرى مع السعدونيين.

ولما لم يصل إليه الرد في المدة المقررة، تحرك بالقوات العسكرية، وتعرض لهجوم العشائر بعد ثلاث ساعات.. [وقد سبقت النتيجة قبل إيراد القصة]..

□□□

وقائع نجد التاريخية

كما أنه لم ينقص الاغتشاش والتحايل داخل الجزيرة العربية منذ البدء بتدوين الوقائع التاريخية وتثبيتها وإلى يومنا هذا، وكذلك الوضع الطبيعي لمنطقة (نجد) كان يعدُّ ملائماً لنشوب الحوادث فيها، كما يظهر ذلك واضحاً باستقراء التاريخ.

وفي داخل خضم تلك الحوادث والوقائع التاريخية اعتُبِرَ انتشار

المذهب الوهابي مبدأ لكتابة هذا البحث. فمنذ مرور أكثر من قرنين من الزمان على ظهور الحادثة المؤلمة؛ كان الحكم خلالها إما لآل سعود أو لآل رشيد. ولذلك فسوف يكون الحديث هنا عن تاريخ تلكما الأسرتين..

تاريخ آل سعود

لما بلغ «محمد بن عبد الوهاب» المولود في (عوينة) [الصحيح عيينة] عام ١١١١هـ السن العشرين، اختار لنفسه الغربة بغية تحصيل العلوم؛ فذهب إلى المدينة المنورة أولاً ثم إلى مكة المكرمة، حيث أكمل في مدارسها تحصيله العلمي.

وفي الفترة التي قضاها محمد [ابن عبد الوهاب] في مكة المكرمة كان ممن تباحث معهم من العلماء الصالحين المجاورين فيها والدُه «عبد الوهاب» وأخوه «سليمان». وكان نتيجة لآرائه الخارجة عن عقيدة [أهل السنة أن تنفَّرا منه. وقد حصل أن جرى بينه وبين أخيه «سليمان» الحوار الآتي:

سليمان: يامحمد! كم هي أركان الإسلام؟

محمد: خمسة.

سليمان: وسادسها أليس هو عدم صحة إسلام مَن لا يتبع رأيك الفاسد؟

فلما رأى محمد أنه انجر إلى الجدال مع أخيه اضطر لأن يذهب إلى (المدينة المنورة) خوفاً منه.

ولما تيقن أنه لا يستطيع نشر أفكاره الفاسدة في فترة وجوده في (المدينة المنورة) رجع عام ١١٤٣هـ إلى بلدته، فشرع في الوعظ والإرشاد فيها، وبدأ بإفساد أفكار أهالي قرية (العوينة) [الصحيح:

العيينة] وعشائرها.

ولما بلغ أعمال «محمد» تلك إلى مسامع حاكم نجد «ابن عريعر» - رئيس عشيرة بني خالد الذي كان يجري إمارته في مدينة (الهفوف) مركز منطقة (الحسا) - أمر «ابنَ معمَّر» - أمير عوينة [الصحيح: العيينة] - بطرد «محمد» وتبعيده من المنطقة.

ومع أن «ابن معمر» نفاه من عيينة، إلا أن أمير (الرياض) «دهام بن دواس»، وأمير (خرج) «ابن زامل» قد أصبحا تابعَيْن لآراء مذهب هذا المجدد.(١)

(الضغط على فكر معين يؤدي إلى تقويته وبروزه وإسداء الخدمة له؛ فنَفْيُ «محمد [بن] عبد الوهاب» أدى إلى نشر مذهبه في فترة وجيزة. ولو كان ابن عرب [الصحيح: ابن عريعر] أرسل عالِمين من علماء أهل السنة المقتدرين إلى (عيينة) للتحقيق في فكره عن كثب، ثم بيان الحقيقة للناس، قد يكون ذلك سبباً لتيقظ الناس تجاه فكره وعدم ميلهم له).

وقد اضطر «محمد [بن] عبد الوهاب» لترك (عيينه) إلى قرية (الدرعية) التي تبتعد عنها مسافة نصف ساعة. ومع أنه كان يتظاهر بالالتزام لتوجيهات «ابن عريعر»، غير أنه لم يكن يقصّر في "السعي خُفية لنشر مذهبه، حيث وُفِّقَ لجلب أمير (الدرعية) «عبد العزين» إلى مذهبه

١) كان «مسيلمة الكذاب» الذي دعا النبوة في زمن أبي بكر الصديق رضي الله عنه من قرية «الجبيلة» التي تبتعد عن العيينة مسافة ساعة من جنوبها الشرقي. ومسيلمة ومحمد من قبيلة بني تميم. وتتحول اليوم قبيلة بني تميم في جوار المدينة المنورة.

وتزويجه بابنته.

وبعد أن تمكن من الحصول على واسطة قوية تساعده في نشر مذهبه، قام بالإغارة على قبيلة بدوية كانت تخيّم في القرب من (الدرعية)، وانسحب إلى (الدرعية) غانماً. ومع أن «عبد العزين» دعا في اليوم التالي رؤساءَ تلك القبيلة واتفق معهم؛ إلا أنه ذكر لهم أنهم إذا تعهدوا لهم في خدمة فكرهم ونشره وصدقوا فيها سوف يعيد إليهم أموالهم المنهوبة. فيَظهر أولئك قبولهم لذلك بكل سرور.

ولما تيقنت الجماعة الوهابية بأنهم حصلوا على قوة كافية لنشر دعواهم الباطل؛ قام «محمد [بن] عبد الوهاب» بالإعلان عن نصب «عبد العزين» حاكماً عاماً بصفة (إمام المسلمين)، وبذلك بدأ في عام ١١٥٠هـ بنشر مذهبه والدعوة إليه علناً.

ولحرصه على نشر مذهبه وتوسيع دائرة نفوذه أكثر، قام بعد ذلك بالهجوم على المناطق المجاورة؛ فتعرض لمناطق (العارض) و(المحمل) و(الجزع)، واستولى عليها. ثم مدَّ نفوذه في المنطقة الشرقية بالاستيلاء على (الحسا)، فأمَّن بذلك حدوده الشرقية بالوصول إلى خليج (البصرة). ورجع بعد ذلك إلى (عيينة) للاستعداد إلى التوجه إلى الجهة الغربية.

فأقام في الموسم الحار لتلك السنة في (عيينة)، وكمَّل خلالها نواقصه وعمل على ازدياد قواته؛ فهاجم في خريف تلك السنة بجموعه الوفيرة - التي حشدها- على الجهة الغربية؛ فاستولى على مناطق (السدير) و(الوشم) و(القصيم) بكل سهولة، نظراً لعدم مقاومة السكان لهم، فاستولى على البلاد الممتدة إلى منطقة (الجبل) بدون تعب.

ونظراً لعدم تنازل أمير (الجبل) آنذاك «آل فضل» لهم، فقد جرى حوار بين الرئيسين قبل اشتعال نار الحرب [بين الفريقين]. وفي أثناء تلك المباحثات تُوفي «عبد العزيز»، فأُعلِن ابنه «سعود» إمامَ المسلمين، فقامت القوات الموجودة بالبيعة له.

وقد قاد «سعود» بالهجوم على [أهالي الجبل] ولم ينتظر نتيجة المباحثات؛ فاضطر «آل فضل» لتقديم الطاعة لـ«سعود» نظراً لانهزام أهالي (الجبل) في المصادمة الأولى. وبذلك ترك «سعود» إمارة (الجبل) للأسرة المذكورة [آل فضل].

ولما كان أهل السنة الموجودين في (نجد) واقفون على الأعمال التي كان يقوم بها «سعود» من حشد القوات وتداركها استعداداً للاستيلاء على الحجاز؛ فقد تركوا بلادهم وهاجروا إلى (الحجاز) و(البصرة) و(العراق)، وأخبروا الولاة [في تلك الولايات] بأعمال «سعود»، الذي قام بقواته الموجودة معه قبل حلول موسم حج تلك السنة بفترة وجيزة بتجاوز حدود (الحجاز)، وخيَّم في القرب من (مكة المكرمة) لاستحصال نواياه، وأرسل معروضاً لأمير (مكة المكرمة) «الشريف سرور» فحواه «لقد جئتُ مع الجماعة إلى هذا الموقع لأداء فريضة الحج. أنتظر مساعدة سعادتكم».

ولما كان «الشريف سرور» واقفاً على ما يضمره «سعود» من نوايا فاسدة وخيانة، فقد تحرك مسرعاً بقوات كافية من (مكة المكرمة)، ووصل إلى معسكر الوهابيين في فترة وجيزة فهجم عليهم وشتَّت جماعتهم وعاد ظافراً. وبذلك تخلص بيت الله في تلك السنة من مفاسد أولئك الشريرين. وقد توفي «الشريف سرور» بعد حج تلك السنة.

علم والي (بغداد) «بيوك سليمان باشا»، من المهاجرين القادمين من (نجد) إلى (العراق)، نوايا «سعود» الفاسدة تُجاهَ الحجاز؛ فأعدَّ قوة عسكرية كافية بقيادة «علي باشا» وأمره مع «ثويني»[1] - من مشايخ عنزة - بما معه من عربان بتعقيب آثار «سعود» وتأديبه. وقد وصلت تلك القوات إلى «بريدة» بعد قطع مسافات طويلة، غير أنها لم تلق بصعوبات في الطريق سوى المرور بالصحاري الخالية من الماء والسُكنى. فحُصِرَت (بريدة)، وطالت مدة الحصار. إلا أن «سعود» بما معه من قوات باقية وصل لاستغاثة (بريدة). فانهزمت القوات [الحكومة العثمانية] القادمة من (العراق)، وعادت البقية الباقية منها إلى (العراق) بحالة سيئة.

وبعد ذلك النجاح الذي أحرزه «سعود» ووصول خبر وفاة «الشريف سرور» المعروف ببسالته وشجاعته؛ عَدَّ ذلك «سعود» عامَ خيرٍ، فقام بالقوات التي كانت معه - وكان قوامها خمسة عشر ألف نفر - بالهجوم على جهة (العراق). فهزَم والي بغداد «سليمان باشا» في سواحل «الفرات» شر هزيمة، واتجه إلى الشمال الغربي. ولما وصل ذلك إلى أسماع والي (الرقة) «عبد الله باشا»؛ أرسل «محمد آغا» وفي امرته عشرة آلاف نفر، فمزق قوات الوهابيين، ونظف منطقة (العراق) من العربان الحفاة العراة، الذين أضروا بالبلاد كالجراد المنتشر.

---

١) انظر أحداث ما قام به «ثويني بن عبد الله بن مانع آل شبيب في القصيم: تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد لإبراهيم بن عيسى. - الرياض: منشورات دار اليمامة، ١٣٨٦هـ (١٩٦٦م) ص ١٢٢

وقد انسحب «سعود» إلى «الدرعية» بعد انهزامه؛ فعمل على تزييد قواته وإكمال نواقصها، وتحرك صوب اليمين واليسار، بغية رفع معنويات أتباعه، وقضى بذلك بعض الوقت، محرزاً نجاحات. وقد تعرض لقافلة الحج المصرية، فقتل ممن قتل بعض الأبرياء.

ولما وصل ذلك الخبر الأليم إلى «الشريف غالب»؛ عيَّن أخاه «عبد العزين» مع بعض القوات لتأديب الوهابيين والتنكيل بهم. فعقَّب آثارهم إلى مدينة (الحائل) وقضى عليهم هناك، وأزالهم عن الطريق، ثم استمر في طريقه إلى منطقة (القصيم). غير أنه رأى أن تجاوزها يعد خطراً عليه؛ فعاد إلى (مكة المكرمة).

وقد جمع «الشريف غالب» قوات كافية بعد حج تلك السنة، وتحرك من (مكة المكرمة) بعَزمِه القوي متجهاً إلى (الدرعية) التي عدَّها دار ندوة الوهابيين، بغية الاستيلاء عليها. وقد وصل إلى قرية (شنانة) وحاصرها بعد ما هزم الوهابيين الذين صادفوه في الطريق. وطالت مدة الحصار فترة طويلة ولم يتمكن «الشريف غالب» من الاستيلاء عليها، نظراً لعدم وصول الامدادات اللازمة إليه، فأصابه نوع من الفتور وعاد إلى (مكة المكرمة).

وبعد عودته إلى (مكة المكرمة) قام مرة أخرى بجمع القوات، فهاجم على القبائل التي لم تساعده في معركته مع الوهابيين وقام بتأديبهم وتنكيلهم بحق، ثم انسحب إلى (الطائف) فركَزَ فيها خيامه.

وقد اغتر العساكر بما أحرزوه من فوز فقاموا بالتعدي على الناس، وازداد استطالتهم عليهم مع مرور الأيام، فاختل الأمن في منطقة (الطائف) وازداد النهب والاقتتال.

وقد حصل أن فضَّ أحد الجنود بكارةَ بنتِ أحد البدويين في الصحراء، فذهبت المظلومة إلى أبيها تشتكي مظلمتها وفي يدها ملابسها الملطخة بالدماء، فلم يكن من أبيها بما رأى من هول المصيبة إلا أن قام بجمع الأقرباء، ووضع اللبس الملطخ بالدم في رمح، يجولون الصحراء منادين (العار، العار)، يستحثون هممَ البدو بشكل العام، لتهييجهم ضد الجيش. فلم يكن منهم إلا أن هاجموا على (الطائف) واستولوا على المعسكر فقتلوا أكثر من منتي نفر من عساكر «الشريف»، ونهبوا الذخيرة والعتاد العسكري التي وجدوها في المعسكر، وبذلك انتقموا من الجيش.

ولما تيقَّن «الشريف غالب» أنه لا يستطيع مقاومتهم اضطر للالتجاء إلى (مكة المكرمة).

ولما توفي الشيخ «محمد [بن] عبد الوهاب» عام ١٢٠٩هـ، أصبح ابنه الكبير مجتهداً.

سمع «سعود» بما حصل في (الطائف)؛ فجمع أتباعه ووصل إلى قرية (طربه) القريبة من (الطائف). وقد تحرك «الشريف غالب» بما معه من قوة عسكرية، فهاجم على معسكر الوهابيين وهزمهم، غير أنه لم يكمل نجاحه بتعقب آثارهم، بل اكتفى بالغلبة عليهم فرجع إلى (مكة المكرمة).

غير أن «سعود» لم يستطع العودة إلى (نجد) بسبب عار الهزيمة؛ فاستفاد من عودة «الشريف غالب» إلى (مكة المكرمة) فبدأ بالتجول في منطقة (الحجاز) وأدخل القبائل في دائرة اتفاقه فازداد بذلك نفوذه وكثُرَ أتباعُه.

ولما رأى «الشريف غالب» القبول الذي لقيه «سعود» من القبائل في (الحجاز) اضطر عام ١٢١٢هـ لعقد معاهدة صلح معه، على النحو التالي:

ملخص المعاهدة: ترك الظلم، اجتناب البدع، إمكانية قيام «سعود» أو الوهابيين بأداء فريضة الحج في الوقت الذي يرغبونه، عدم منع إقامتهم سواء في (الطائف) أو في القرى المجاورة لها، وجوب تعامل الطرفين مع بعض في المعاملات، العفو عن البدو المهاجمين على (الطائف).

وبعد عقد تلك المعاهدة قام «سعود» مع أتباعه الكثيرين بأداء فريضة الحج في عامي ١٢١٣هـ و١٢١٤هـ، ووُفق في إدخال كثير من العربان في دائرة اتفاقه بالتهديد لهم، وذلك أثناء مجيئه وعودته.

ولما رأت الدولة العثمانية أن نفوذ الوهابيين في ازدياد، وأنه يكسب قوات جديدة يوماً بعد يوم؛ ساقت جيشاً من (بغداد) و(البصرة) و(منتفك) بقيادة «الكتخدا[1] علي باشا» عام ١٢١٥هـ، بغية استرداد منطقة (الحسا) من الوهابيين، وأرسلت براً إلى «الحسا». فاستولت تلك القوات على مدينة (القطيف) الكائنة على خليج (البصرة)، وتعقبت آثار الوهابيين الذين فروا منها إلى أن وصلت إلى سور مدينة (الهفوف) -

١) كتخدا [أو كيخيا]: كلمة مأخوذة من (كدخدا) الفارسية، معناها بالتركية الوكيل والنائب. وتطلق هذه الكلمة في مدلوله الواسع على «كل مَن يكون في معية أحد من كبار رجال الدولة وإداراتها».. انظر: حسين مجيب المصري:- معجم الدولة العثمانية. ص ١٦٤. [المترجم]

مركز منطقة (الحسا) -، غير أنها لم توفق في القبض عليهم. فعملت على إجراء نوع من الحصار على المدينة والتضييق على الوهابيين، فطال الحصار، وانقطعت الاتصالات مع (البصرة)، مما اضطر الجيش لعقد معاهدة صلح معهم ومن ثَمَّ العودة[1]..

ونظراً لخوف «الشريف غالب» من عواقب تزايد قوة الوهابيين؛ فقد قام بعرض القضية على الباب العالي [استانبول] إلا أنه لم يلق جواباً شافياً، ولا عملاً يجدر بالذكر، فجمع في حج تلك السنة واليَ (جدة) وأمير حجاج (الشام) و(مصر) في (مكة المكرمة)، واقترح عليهم القيام بهجوم جماعي على «سعود»، غير أنه لم يلق منهم استعداداً لذلك.. وقد عُزل «الشريف غالب» في السنة نفسها، وخلفه في إمارة (مكة المكرمة) «الشريف يحيى». فقام «الشريف غالب» بإحراق قصره في (مكة المكرمة)، وانسحب مع أولاده وأفراد أسرته إلى (جدة).

وقد عُيِّنَ بعد فترة لإمارة (مكة المكرمة) «الشريف محمد بن عبد المعين».

وفي أثناء الانشغال بالعزل والنصب تمكن «سعود» من الاستيلاء على مدينة (الطائف)، في شهر ذي القعدة من عام ١٢١٧هـ، وذلك بجهود «عثمان المضايفي» وما معه من القوات الوهابية المرسلة تحت قيادته، ومساعدة «سالم» - أمير (البيشة) - للوهابيين.

١) حول حملة الكتخدا علي باشا تلك انظر: عبد الفتاح حسن أبو علية:- محاضرات في تاريخ الدولة السعودية الأولى. - ط٢. -الرياض: دار المريخ، ١٤١١هـ، ص ٥٠ وما بعدها

ونظراً لطلب «الشريف محمد» العفو والأمان من «سعود»؛ فقد دخل «سعود» مع جماعته إلى (مكة المكرمة) في محرم عام ١٢١٨هـ، وصدَّق على قائمقامية «الشريف محمد». وقد هدمت القِبب والقبور، ثم تحرك «سعود» في شهر صفر من تلك السنة للهجوم على (جدة).

إلا أن والي (جدة) «شريف باشا» اهتم بالأمر فسعى مع «الشريف غالب» ووُفق في التغلب على القوات الوهابية، مما اضطر «سعود» للعودة إلى (مكة المكرمة) منهزماً.

وفي هذه الأثناء كان «الشريف محمَّد» قد اتفق مع أهالي (مكة المكرمة) في الاتصال بـ«الشريف غالب» وعرض تجاوزات الوهابيين في النهب والتعرض للناس عليه، وبشكل خاص في تحصيل خمسة أو ستة ريالات من كل جنازة تُدفن، وعدم السماح بالدفن إلا بعد الدفع. ونظراً لبسالة «شريف باشا» وشجاعته؛ فقد رأى في الاستفادة من تلك الفرصة، فتحرك بما استطاع جمعَه من قوات خيالة والقوات الموجودة مع «الشريف غالب» مُتَّحِدين، فهاجموا فجأة على معسكر الوهابيين الموجود في موقع (المعلا)، وهزموهم شر هزيمة، غير أن «سعود» استطاع النجاة بنفسه.

وفي عقب هذا النجاح الذي أحرزوه، تم بمعاونة عربان «بني ثقيف» استرداد مدينة (الطائف)، وبذلك نُظفت منطقة (الحجاز) من الوهابيين.

وقد انسحب «سعود» إلى (الدرعية) بعد هذا الانهزام فاستراح وقضى فيها الموسم الحار خمسة أشهر، غير أنه بتأثير ذلك الوقع الأليم جمع القبائل النجدية كاملاً وهجم على جهة (العراق) بغية الانتقام، وذلك في عام ١٢١٩هـ. فخرَّب مُدُنَ (نجف) و(كربلا) ونهبهما. إلا أنه لمَّا سمع تحرك قوات الجيش من (بغداد) رجع باتجاه الصحراء، فخرَّب الآبار

والأحواض الممتدة على طول الطريق من (نجف) إلى (مكة المكرمة) والتي كانت «الست زبيدة» - رحمها الله - عملتها للحجاج. فمنع بذلك من استخدام الحجاج لهذا الطريق، وأجبرهم بذلك على المرور من طريق (الدرعية) لأداء فريضة الحج.

[أما] «عثمان المضايفي» الذي استطاع الفرار بروحه من الهزيمة التي تعرض لها بـ(الطائف)، فقد اتجه إلى جهة (عسير) وهناك جمع ما استطاع جمعه من قوة فهاجم على (الطائف) واستطاع الاستيلاء عليها ثانية. وبشَّر «سعود» بالخبر السار، فقاما مع قواتهما بحصار مكة المكرمة. وطالت مدة الحصار، ولم يصل أي إمدادات، مما اضطر الأهالي لعقد صلح مع «سعود» في نهاية المطاف، واستسلموا له في الرابع والعشرين من شهر محرم عام ١٢٢٠هـ.

وقد بدأ «سعود» بتنفيذ الأحكام الوهابية بعد الفوز المحقق، وجعل شعاره «ادخلوا في دين سعود، وتظلوا بظله الممدود»، وقام بدعوة الناس إلى دعوته. وكان أتباعه تمادوا في الظلم والعدوان، مما نتج عن ذلك دخول ثلثا أهالي (الحجاز) في الدعوة الجديدة.

وقد ترك «سعود» بعد أداء حج تلك السنة «عثمان المضايفي» عاملاً له في (مكة المكرمة)، وعيَّن أخَ الشيخ سليمان «عبد الرحمن بن محمد [بن] عبد الوهاب» قاضياً فيها، ثم انسحب إلى (الدرعية).

غير أنه بدافع الشهرة لم يسترح في (الدرعية)، فأرسل «بداي بن مضيان» وأعداد وافية من أتباعه في ١٢٢١هـ للهجوم على (المدينة المنورة)، وتحرَّك هو بما معه من أتباعه من (الدرعية) متوجهاً إلى جهة (البصرة).

وقد نهب «سعود» أموالَ العربان الذين التقى بهم في طريقه إلى (البصرة)، وحاصر المدينة. غير أن «إبراهيم آغا» - متسلّم (البصرة) - قد اتفق مع الأهالي بالدفاع عن المدينة بثبات ومتانة. وفي الوقت الذي اشتد الحصار على المدينة؛ وصل شيخ المنتفق «حمود بن ثامر» مع ستة آلاف من خيالة المنتفق لإمداد (البصرة)، فاضطر الوهابيون للانسحاب والعودة إلى (نجد).

أما «بداي»؛ فقد حاصر (المدينة) وهَدَمَ «عينَ الزرقاء» واستمر في التضييق على البلد.

ونظراً لوجود «سعود» في (مكة المكرمة) في موسم حج عام ١٢٢٢هـ لأداء الحج؛ فقد منع الحجاج من فريضة حج تلك السنة، كما منعهم من زيارة بيت الله، فاضطروا إلى العودة إلى بلادهم ببالغ الأسى والحزن.

وقد توفي الشيخ «عبد الله»(1) في تلك السنة؛ فأصبح ابنه [illegible] الشيخ «سليمان» مجتهداً.

[illegible]

1) الأصل أن يقول: الشيخ عبد الرحمن، كما ذكر قبل قليل. [المترجم]

نظراً لعدم إيصال المساعدات إليهم منذ ثلاث سنوات، فطرأ الخلل إلى نفوسهم ودخل الوهن إلى معنوياتهم، بعدما عجَّزوا خصومهم بثباتهم وقوة تحملهم..

وبأمر من «سعود» تَمَّ هَدْمُ القبب، ونَهْبُ الأمانات والشباك المذهب. ونَصَبَ [سعود] ابنَه «عبد الله» والياً على (المدينة المنورة)، وأحد علماء الوهابية ويسمى «أحمد بن أبو النصر» قاضياً فيها، ثم ترك أربعة عشر ألفاً من أتباعه فيها وانسحب إلى (الدرعية).

إن نشر المذهب الوهابي وهجوم الوهابيين على الأطراف المجاورة بوحشية منقطع النظير، يصادف أوائل سلطنة «عبد الحميد **الأول**» [١١٨٧-١٢٠٣هـ/١٧٧٤-١٧٨٩م]. والحقيقة أن تلك الفترة كانت من أشد الفترات المتأزمة للدولة العثمانية. فقد كانت الدولة مشغلة بغوائل عظيمة، كانت الواحدة تعقب الأخرى؛ فقد اضطرت لترك أقاليم (القريم) و(داغستان) و(جركزستان) لـ(روسيا)؛ وحصول (المملكتين) و(صربيا) و(الجبل الأسود) على الحكم الذاتي؛ والعصيانات التي ظهرت في (الشام) و(ألبانيا)، [illegible]

[illegible]

أن الدولة وقعت في خطأ فاحش، لا يمكن قبول عذرها.

ومما تثبته الوقائع التاريخية الجارية أن القضاء على الوهابيين في أول حكم «سعود» بإرسال قوة، والسعي بجد واجتهاد كان ممكناً. فلو الدولة خططت لقيام القوات العسكرية في كل من ولاية (بغداد)

و(البصرة) و(الحجاز) التي - لم تساعدها في تلك المعارك -، وأمرت بضرب الوهابيين والتنكيل بهم بيد واحدة؛ كان بالإمكان بعد ذلك الاتحاد، الاستيلاء على (الدرعية) وأسر «سعود»، وبذلك لم يكن يضاف إلى المذاهب الإسلامية [المذهب] الوهابي المفرّق.

ولما وصل إلى أسماع السلطان «محمود [الثاني]» الخبر المؤسف الذي يفيد تمكن الوهابيين من الحرمين الشريفين؛ رأى من المناسب توكيل الأمر لهمة والي (مصر) «محمد علي باشا»، بغية تنظيف الإقليم المبارك من تسلط الوهابيين. فأرسل له مع «قزلر آغاسي»[1] هدايا سلطانية، مثل العباية والسيف والخنجر، فوصل «الآغا» إلى القاهرة في العاشر من رجب عام ١٢٢٥هـ، وأدى مهمته ثم رجع.

وبناءً على ذلك أرسل «محمد علي باشا» ابنَه «طوسون باشا» إلى (المدينة المنورة) براً، مع قوة عسكرية قوامها ثمانية آلاف رجل. فوصل «طوسون باشا» إلى قرية (حمر) المجاورة لـ(المدينة المنورة) فخيّم فيها معسكرَه. وقد هاجم عليهم الوهابيون في تلك الليلة، غير أنهم اضطروا للانسحاب إلى خارج السور. واستمرت نار الحرب المبتدئة في تلك الليلة خمسة أيام. ونتيجة لذلك انسحب «طوسون باشا» مع بقية قواته إلى مدينة (ينبع)، طالباً من والده الإمدادات اللازمة. فأرسل «محمد علي باشا» الإمدادات المطلوبة بحراً من [illegible] (السويس). ولما وصلت تلك

(1) [illegible]

القوات تحرك «طوسون باشا» إلى (المدينة المنورة)، فحاصرها وتمكن من الاستيلاء عليها في شهر ذي الحجة من عام ١٢٢٧هـ، ففرَّ «عبد الله بن سعود» ومن كانوا معه.

ولما رأى «محمد علي باشا» القوة الكبيرة التي يمتلكها الوهابيون؛ [سافر] إلى (جدة)، فوصلها مع عدد كاف من القوات والعتاد العسكري. وفي تلك الأثناء وصل إلى أسماعه الخبرُ السار بتخليص (المدينة المنورة) من الوهابيين؛ فبشّر دار الخلافة بذلك.

ولتخليص (مكة المكرمة) [أيضاً من خصومهم] أرسل القوة الموجودة بقيادة «نونابارت باشا» [هكذا]، حيث التقت تلك القوة مع القوات الفائضة في معية «طوسون باشا» في موقع بالقرب من (جدة)، فهاجم جميعها هجوماً جنونياً يومَ وصولها إلى (مكة المكرمة). فتلاشت الجماعة الوهابية، وفرت إلى (نجد) في وضع يُرثى لها. وقد وصلت في هذه الأثناء القوات التي أرسلت بقيادة «مصطفى باشا» إلى (الطائف)، فاستُقبلت من قبل الأهالي، ودخلت القلعة.. وقد أرسلت البشارة بتنظيف «الحجاز» من الوهابيين إلى السلطان في السابع من صفر عام ١٢٢٨هـ.

وقد توفي «سعود» في شهر جمادي الأولى من عام ١٢٢٩هـ، فخلفه أكبرُ أولاده «عبدالله» وأصبح إماماً. (نظراً لاشتهار «سعود» في هذه الأسرة أكثر من غيره؛ فقد سميت الأسرة باسمه).

وكان «عبد الله» مثْل أبيه يتعقب أثره في النهب والقتال، حيث جمع أتباعه وتحرك من (الدرعية) متوجهاً إلى (المدينة المنورة) بغية استردادها. ولمّا سمع «طوسون باشا» بهذا الخبر الأليم؛ تحرك مع القوات الموجودة معه لمقابلته، فالتقى الفريقان في موقع مجرى ماءٍ، يسمى (ماويه) [قد يكون: مُويّه]. وقد سالت دماء كثيرة في المعركة، فاضطر «طوسون باشا» للانسحاب إلى (الحناكية) منهزماً. ونظراً لفظاعة تلك المعركة؛ فقد أثرت على معنويات الجماعة الوهابية سلباً، فتدخل بعض مشايخ العربان وتوسطوا في عقد مصالحة بين «طوسون باشا» و«سعود»، وتم الصلح فرجع «طوسون باشا» إلى (المدينة المنورة) وعرض الموضوع على والده [محمد علي باشا] الذي كان يوجد آنذاك في (مكة المكرمة).

اتجه «محمد علي باشا» إلى (المدينة المنورة) بعدما ترك قوات كافية من الجيش في (جدة) و(مكة المكرمة) و(الطائف). ولما وصل إلى (المدينة المنورة) عيّن الميرالاي «عابدين بك» محافظاً عليها، ثم تحرك مع ابنه متوجهين إلى (القاهرة)، وقد وصلوها في شهر ذي الحجة من عام ١٢٣٠هـ.

غير أنه لما وصل إلى أسماع السلطان «محمود خان الثاني» الخبر الذي مفاده أن «عبد الله [بن] سعود» بصدد تجهيز قواته للمرة الثانية، [illegible]

فحواه «وجوب القبض على «عبد الله [بن] سعود» في أي حال من الأحوال، وإرساله إلى مقر الخلافة [استانبول] حياً؛ أو رفع الخباثة من العالم».

فأرسل «محمد علي باشا» هذه المرة مع ابنه [الصحيح: ابن زوجته] «إبراهيم باشا» قوة عسكرية قوامها ستة عشر ألف رجل، تم سوقهم بالباخرة من (السويس) إلى (الحجاز)، وذلك في العاشر من رجب عام ١٢٣٢هـ.

نزل «إبراهيم باشا» مع قواته إلى (ينبع)؛ وأنشأ مستودعات لتموينات الجيش في كل من (ينبع) و(المدينة المنورة) و(الحناكية)، ثم وصل إلى قرية (رسى) [الصحيح: الرسّ] دون أي مقاومة. وقد حاصرها مدة ثلاثة أسابيع، ثم بعد التضييق والحصار تم الاستيلاء عليها، فاتجه إلى مركز الحركة وهي مدينة (الدرعية). وقد وصلها دون أي عقبات؛ نظراً لقيام الأهالي في القرى الموجودة على الطريق بعرض ولائهم للدولة. لكن الوهابيين أرادوا الاستفادة من تعب ونصب الجيش؛ حيث قاموا بهجوم مفاجىء على معسكر الجيش في تلك الليلة، وأهلكوا قسماً منهم، إلا أنهم لم يتوفقوا في القضاء عليه، فانسحبوا إلى خلف أسوار (الدرعية) مع الصباح، متمركزين في مواقعهم للدفاع.

وفي الصباح عرض «إبراهيم باشا» المستجدات التي حصل على «محمد علي باشا»، بعد اتخاذ كافة تدابير الحصار [على الدرعية]. فأرسل «محمد علي باشا» قوة إغاثية بقيادة «خليل باشا». إلا أن «ابراهيم باشا» لم ير الحاجة ماسة لتلك القوة فأرسلها إلى منطقة (عسير)، بغية استتباب الأمن فيها.

استمر حصار (الدرعية) شهراً ونصف، وتم الاستيلاء عليها في السادس والعشرين من ذي الحجة عام ١٢٣٤هـ. كما تم القبض على أسرة «آل سعود» وآل «محمد [بن] عبد الوهاب» مع أتباعهم، فأرسلوا جميعاً إلى (القاهرة) دون أن يصيبوا بأذى. ما عدا ابن أخ عبد العزيز «تركي بن عبد الله» و«شاري» [الصحيح: مشاري] ابن عم سعود، حيث تمكنا من الفرار ليلاً في قرية (الحمراء) الواقعة بين (ينبع) و(حديدة) [مكة]. أما الآخرون فقد وصلوا إلى «القاهرة» في اليوم الثامن عشر من جمادى الآخرة عام ١٢٣٥هـ، وتم الاحتفاظ بهم [تحت المراقبة] في منزل بالقرب من مسجد (مكة).

أرسل «محمد علي باشا» إلى أمير المؤمنين يخبره عن افتتاح (الدرعية) وأن رؤساء الوهابية موقوفون في مصر.. وقد أرسل «عبد الله [بن] سعود» إلى (استانبول) فصُلِبَ في ساحة «آياصوفيا».

أما «إبراهيم باشا»؛ فقد فتّش في قصر «آل سعود»، وحصّل الأمانات المنهوبة من مسجد الرسول [ﷺ] وبيت الله، فأودعها في أماكنها، غير أن بعضها نظراً لتداولها في أيدي الناس قد فقدت رونقها وتلفت..

وفي أثناء وجود تلك القوات العسكرية في (الدرعية) كان يتم القبض على الشريرين، فيرسلون إلى «القاهرة» تباعاً.

وقد حصل أن استقبل في يوم من الأيام «إبراهيم باشا» المجتهدَ الوهابي آنذاك «الشيخ سليمان»، فسأله بعضَ الأسئلة؛ فردَّ عليه «الشيخ سليمان» ببرود باردة، أزعج ذلك «إبراهيم باشا» غاية الإزعاج، فقال له: «لم أقتل أحداً حتى الآن، لكنني سأقتلك بيديَّ»، فوثب عليه وقطعه بسيفه إرباً إرباً، وخلص بذلك الأمة المحمدية من ضلال هذا الشرير..

وقد أرسل أخاه «عبد الرحمن» أيضاً إلى (القاهرة) (وتوفي عبد الرحمن في مصر).

وبعدما قام «إبراهيم باشا» باستتباب الأمن في (نجد) تحرك إلى (الحسا) فنشر سلطة الدولة فيها، وعين «حسين باشا» - الذي كان برفقته - قائداً عاماً على منطقة (نجد)، وأبقاه هناك بقوات كافية، ثم غادر إلى (القاهرة) فوصلها في الثاني عشر من صفر عام ١٢٣٦هـ.

وقد أعلن «محمد علي باشا»[1] عصيانه لمتبوعه الفخم [السلطان] في

---

١) كانت الدولة العثمانية قد عينت «محمد خُسرو باشا» والياً على مصر لما طردت الانجليز والفرنسيين منها عام ١٢١٦هـ. وكان «محمد علي باشا» آنذاك قائداً لفرقة الصنف الذي يطلق عليه «جيش باشي بوزق» على «الروملي» (المنطقة الأوربية من أراضي الدولة).
وكان «محمد علي باشا» ابن أخ (أو ابن أخت) «حسين آغا» (جورباجي) (مدينة) «قوالا» (وكان منصب جورباجي من مناصب الانكشارية العسكرية). وكان الأميرال «حسين باشا الصغير» قد كُلف بتسكين الأوضاع في مصر. فطلب من «حسين آغا» مائتي فارساً شجعاناً، ولما كان «حسين آغا» من أحباب «حسين باشا» فقد أرسل له الفرسان بقيادة «محمد علي آغا»، فوصل الأخير مع فرسانه إلى «الاسكندرية».. ونظراً لبسالة هؤلاء الفرسان المتطوعين القادمين من «الروملي» فقد مُنحوا جميعاً منصب «سَرْجَشْمَه» (السرجشمه: رتبة قيادة جيش «باش بوزق»).
ولما كان علاقة «محمد علي باشا» غير جيدة مع «خُسرَو باشا»؛ فقد شجع الجيش على العصيان في وجهه، فانسحب «خسرو باشا» إلى «استانبول»، وعين «محمد علي باشا» والياً على «مصر» برتبة الباشاوية في ١٢٢٠هـ.
وبناءً على عصيان عام ١٢٤٧هـ فقد هاجم ابنه «إبراهيم

عام ١٢٤٧هـ، فأرسل جميعَ قواته إلى (الشام) بقيادة «إبراهيم باشا»، وأمر قائد (نجد) «حسن باشا» و«خليل باشا» - الذي كان يوجد آنذاك في جهة (عسير) - بالالتحاق مع قواتهما بـ«إبراهيم باشا» في (الشام) سريعاً.

وقد جمع «حسن باشا» قواته فتحرك إلى (الشام) ووصلها عن طريق (الجوف) بسرعة. ولما خلت منطقةُ (نجد) من القوات العسكرية بدأ ابن عمومة آل سعود «ناصر» بالإمامة. واشتغل «عبد الرحمن» حفيد محمد بن عبد الوهاب من ابنه الثاني «حسن» بمنصب مجتهد. (وهو الذي عمل قاضياً في مكة المكرمة).

قتل «تركي» ابن أخته «ناصر» وأعلن إمامته متخذاً مدينة (الرياض) مقراً له. وبعد فترة من الوقت أدى النزاع بين «مشاري» (وهو الذي فر [من الجيش] في جوار قرية الحمراء) و«ناصر» إلى عداوة شديدة. فاستفاد «مشاري» من وجود «فيصل» - ابن تركي - في الغزوة، فقتل «تركي» وأعلن إمامته. وجعل الأهالي يبايعون له. وفي الوقت نفسه أرسل مفرزة للقيام بقتل «فيصل».

باشا» مع أربع وعشرين ألفاً من المشاة وثمانين مدفعية على الأراضي العثمانية، فاستولى على «الشام» وتقدم حتى وصل إلى «آنقره»، حيث وقع الصدر الأعظم أسيراً (في يدهم) في المحاربة التي جرت في جوار مدينة «آنقره». ونظراً لارتحال السلطان «محمود خان الثاني» إلى الدار الآخرة في الواحد والعشرين من ذي القعدة عام ١٢٥٦هـ! أصدر السلطان «عبد المجيد» فرماناً بمنح الإمارة (لمحمد علي باشا) وصدّق على معاهدة «قلعة العريش» التي تؤكد على الاستقلال (لمصر)..

غير أن «فيصل» لما سمع بنبأ قتل أبيه الحزين؛ ترك الغزوة ورجع بقواته إلى القرب من (الرياض) حيث ركز فيها خيامه، مترصداً فرصة سانحة [للهجوم].

وكان «عبد الله بن علي بن عبد العزيز آل رشيد» - رئيس فرقة شمر الجعفر - الذي كان يغزو مع «فيصل»؛ قد ذهب في الليل إلى «فيصل»، وعرض عليه «أنكم إذا تعاهدتم بتعييني أميراً على إمارة «الجبل»، وتكون لأحفادي من بعدي إلى يوم التناد؛ فإنني أتعهد لكم بقتل «مشاري»». فسُرَّ «فيصل» - الذي كان في أحلك الأوضاع - من هذا العرض، وأقسم بعدم مخالفة رغبته، وأنه لا يقصّر في ذلك.

فقام «عبد الله» حرصاً منه على تنفيذ رغبته إلى حيز الوجود، بالذهاب إلى صديقه العزيز «سويد» - الذي كسب ثقة «مشاري» وكان يراقب تحت برج -، محاولاً إقناعه برغبته. وقد وعده بمنحه إمارة، فاتفقا في تلك الليلة وذهب كل في طريقه.

وفي الليلة التالية التقى «عبد الله» مع ستين رجلاً من خيرة رجاله مع «سويد» في المكان المقرر والساعة المحددة تحت البرج. فأرخى «سويد» لـ«عبد الله» وأتباعه الحبل فصعدوا إلى فوق. وهناك اتحدوا مع رجال «سويد» [illegible] «مشاري» بالمواجهة والدفاع عنه، غير أنهم أهلكوا بعد فترة عن بكرة أبيهم. فذهب «عبد الله» بتوصيل البشرى لـ«فيصل» فدخل «فيصل» (الرياض) ليلاً، ووضع يده على القلعة الخاصة للأئمة. وفي الصباح قام الأهالي بعرض بيعتهم له وإعلان إمامته.

وقد عين «سويد بن حلاجل» مكافأة له على خدمته تلك أميراً على

(سدير) بناءً على رغبته، وأرسل إليها مع قوات كافية.

وعين «عبد الله الرشيد» على إمارة (الجبل)، فسافر أيضاً مع قوات كافية إلى (حائل).

وفي عقب تلك الواقعة توفي «الشيخ عبد الرحمن» فعين محله ابنُه «الشيخ عبد اللطيف».

وقد تكوّن لدى «عبد الله الرشيد» قوة ضخمة بعدما أضاف القوات التي أرفقت به إلى أتباعه فوصلوا إلى (حائل). وكان أمير «الجبل» آنذاك «صالح الفضل» تيقن أنه لا يستطيع المقاومة، فترك «حائل» متوجهاً إلى «المدينة المنورة» وعرض دخالته على الدولة العثمانية. وقد استولى «عبد الله [الرشيد]» مع جماعته على «حائل»، وصار أميراً عليها في غرة رجب عام ١٢٥٢هـ.

وكان «فيصل» الذي قوّى نفوذه وحكمه قد قام بترميم (الدرعية). غير أن ذلك جلب نظر خديوي (مصر) آنذاك «إبراهيم باشا»، فأرسل له مهدداً يقول بوجوب القدوم إلى (مصر) مع كافة أفراد أسرته، وإلا قام بالتحرك عليه بقوة عسكرية ضخمة.

ولما كانت الإجراءات القاسية التي قام بها «إبراهيم باشا» في (نجد) مازالت عالقة في الأذهان؛ فإنه بمجرد وصول الأمر إلى «فيصل» جمع أفراد أسرته فسافر إلى (مصر) ووصل (القاهرة).

وكان «عبد العزين»، ابن ثنيان ولدِ «سعود» من جارية؛ لما رأى أن «فيصل» وصل إلى القاهرة وبقيت بذلك (نجد) دون أمير، أراد الاستفادة من هذا الوضع ففرَّ ووصل إلى (الرياض) عن طريق (الحجاز). وقد أُعلِنَت إمامتُه وقام الأهالي في المناطق المجاورة بالبيعة له. ولما كان

أميرُ (الجبل) «عبد الله» رفض الطاعة والخضوع له؛ فقد وصل «عبد العزين» مع قواته التي جمعها إلى قرية (العيون)، بغية تأديب «عبد الله».

وكان «عبد الله» يترصد التحركات بيقظة تامة، وقد أخذ موقعه مع جماعته في قرية (كوارا).

وكان «إبراهيم باشا» لما رأى قدوم «فيصل» إلى (القاهرة) خاضعاً كمال الخضوع، جلب ذلك تقديره؛ فكافأه لذلك ورخص له ولأفراد أسرته ولجميع المنفيين النجديين في (القاهرة) بالعودة إلى بلادهم مُرَفَّهين.

وقد وصل «فيصل» إلى (حائل) في وقت وجيز، فبُشِّرَ به الأهالي - الذين ترددوا في بداية الأمر في التحيز له - بذلك، وبخاصة لما ذهب إلى «كوارا» فقد أزال جميع الشكوك، حيث قدّم الطرفان طاعتهما لأميرهما القديم وكان ذلك فكاً للنزاع بين الفريقين المترصدين.

وفي خضم تلك الأحداث لما رأى «عبد العزيز بن ثنيان» تَخَلِّيَ الناس عنه انسحب إلى (الرياض) فتحصّن في منزله.

أعاد «فيصل» «عبدَ الله الرشيد» إلى (حائل)، وتحرك مع قوات (الجبل) الموجودة لدى أخيه «عبد الرشيد»، وقد أرسل الأهالي المتجمعين إلى مواطنهم، ووصل مع «العوارض» إلى (الرياض)، فحاصر هناك «عبدَ العزيز بن ثنيان»، الذي استسلم بعهود ومواثيق. غير أنه قُتل من قِبَل «فيصل» خلافاً للمعهود المتعارف عنه، وذلك بعد ثلاثة أيام. وقد رجع «عبد الرشيد» بعد هذه الحادثة إلى (حائل) مع جماعته.

توفي «فيصل» في ١٢٤٧هـ.. وليس له ما يَجْدُر ذكره مما قام به سوى تسكين النزاعات التي كانت تقوم بين الحين والآخر في إمارات

(القصيم).

قام بالإمامة بعد «فيصل» ابنُه «عبد الله»، الذي انشغل في فترة حكمه بعصيان وشقاوات أخويْه «سعود» و«عبد الرحمن».

سافر «سعود» إلى (الهند) وعرض طاعته للإنجليز بغية التعاون معه، بعدما رأى أنه لا يستطيع الاستفادة من الحِيَل التي قام بها في منطقة (الحسا). وبفضل المساعدات المعنوية التي حاز عليها؛ قام بالهجوم على سواحل (الحسا) مع الجموع الغفيرة التي جمعها في «فارس»، واستولى عليها متوجهاً إلى (الهفوف).

وكان العمل الذي أحرزه «سعود» من التوفيق والنجاح الذي كلّه، كفيلاً بحصول الخوف والدهشة لدى العوارض. ولم يكن لـ«عبد الله السعود» الذي شعر بالموقف ذاته إلا أن يراجع والي منطقة (العراق) آنذاك «مدحت باشا». وقد تم الاستيلاء على منطقة (الحسا) بعد سوق الجيش العثماني إليها في ١٢٨٧هـ.

لما رأى «سعود الفيصل» أنه لم يبق لديه مكان يحمي فيه نفسه بعدما انهزم؛ اضطر لأن يتجول متشرداً، وأثر ذلك عليه فمات بعد فترة.

وكان ابنُه «محمّد» منفرداً [بالإمارة] في جهة (الخرج)، غير أنه بالحِيَل التي دبَّرها «الشيخ عبد اللطيف» فقد تم الإتيان بـ«محمد» [أمير الخرج] وأخويْه «عبد الله» و«سعيد» إلى (الرياض)، فزوَّج «عبدُ الله الفيصل» ابنته بـ «محمد السعود». وفي الصباح التالي من ليلة الزفاف أرسل «الشيخ عبد اللطيف» «عبدَ الله» و«سعيد» للهجوم على «عبد الله الفيصل»، فقُبِض على الإمام مع أفراد أسرته مودعين في سجن. ولما علِم «محمد سعود» نسيب الإمام [عبد الله الفيصل] بوجود حميه لدى أخويْه

محبوساً؛ قام بمعاونته فاستطاع تخليصه، غير أنه بقي «محمد» و«عبد الرحمن» ولدا «عبد الله» وزوجته في الحبس.

ولما كانت زوجة «عبد الله» بنتَ «عبد الرشيد»؛ فقد وصل «محمد الرشيد» مع قوة كافية إلى (الرياض) وخلص المحبوسين وسلمهم إلى «عبد الله الفيصل». وقد انسحب «محمد السعود» إلى جهة (الخرج)، بعدما عقد العهود والمواثيق مع الإمام «عبد الله». ورجع أيضاً «محمد الرشيد» مع أتباعه إلى (الجبل) بعد تأمين الصلح.

ونظراً لكون «عبد الله الفيصل» رجلاً قلقاً؛ فقد كتب لـ«محمد الرشيد» أنه يريد قضاء بقية حياته في (حائل)، وذلك خوفاً من «محمد السعود». فأرسل «محمد الرشيد» بصَدْرٍ رَحِبٍ بعض رجاله المختارين بمعية «سالم السبهان» إلى (الرياض).

ولما وصل «سالم السبهان» إلى (الرياض)؛ أقامه «عبد الله السعود» نائباً عنه ثم تحرك مع أفراد أسرته إلى (حائل).

غير أن مباشرة «سالم السبهان» العملَ إماماً بالوكالة؛ أثر على كبرياء «الشيخ عبد اللطيف»، فبدأ بتحريك «محمد السعود». إلا أن «سالم السبهان» ذهب إلى (الخرج) بسرعة فقتل «محمد السعود» و«عبد الله» و«سعيد»، وقضى بذلك على الفتنة منذ البداية. وأرسل أفراد أسر المقتولين إلى (حائل).

وكان لتلك الحركة الجريئة التي قام بها «سالم السبهان» وقع أليم في نفس «عبد الله الفيصل»، حيث أصبح رهين الفراش. ولتبديل الجو سافر إلى (الرياض) ووصلها، وذلك عام ١٣٠٥هـ. وقد توفي بعد شهرين.

وقد أصبح «سالم السبهان» أميرَ (عارض) بعد وفاة «عبد الله»،

وانتقلت بذلك تلك المنطقة إلى إدارة «محمد الرشيد».

تاريخ آل رشيد

في اليوم الذي أصبح «عبد الله الرشيد» أميراً على (الجبل) بمعاونة «فيصل [بن] السعود»، أرسل أخاه «عبيد» بغية القضاء على أمير (الجبل) السابق «صالح الفضل» الذي توجه من (حائل) إلى (المدينة المنورة). وحاول هو نفسه أيضاً تسكين الأهالي واستتباب الأمن..

وقد استدرك «عبيد» «صالح [الفضل]» في قرية (سليمى) فقتله، وبذلك انتقلت إمارة (الجبل) لآل الرشيد، فأعلن لكافة الحضر ومشايخ «الشمر» الاتفاق المعقود على الوجه الآتي بين «عبد الله» و«عُبيد»:

كان الاتفاق على هذا النحو: «الإمارة عائدة فيما بعد لأولاد «عبد الله». وسيقوم أحفاد «عبيد» أيضاً بالرئاسة. فإن لم يبق أحد من أولاد «عبد الله» ستنتقل إمارة «الشمر» و(الجبل) إلى أولاد عُبيد».

استمرت إمارة «عبد الله» إلى عام ١٢٦٩هـ. وفي هذه المدة تغلب على القصيميين المهاجمين على قرية (بقعة)، وذلك عام ١٢٦٠هـ. إلا أنه انهزم أمام القصيميين عام ١٢٦٤هـ في المعركة التي جرت بين الطرفين في قرية (غريس). فحرصاً منه على الانتقام منهم التجأ إلى «آل سعود» طالباً المساعدة منهم. وقد اتفقوا معه في الهجوم على القصيميين. فقد هاجم عليهم ثانية وجرت معركة بين الطرفين في موقع (طعمية) فانهزم القصيميون شرَّ هزيمة واضطروا لإعلان خضوعهم لـ«عبد الله السعود».

وبعد وفاة «عبد الله الرشيد» أصبح ابنه «طلال» أميراً. غير أنه

قتَلَ نَفْسَهُ عام ١٢٨٤هـ، نظراً لتسلل الخفة إلى عقله. فأصبح ابنُه «متعب» أميراً. إلا أن انتشار سمعته السيئة بسبب أخلاقه الفاسدة في مدة إمارته، كان كفيلاً بقيام «بندر» بالاستفادة من هذا الوضع، حيث قتَلَه في عام ١٢٨٧هـ وتمكن من الإمارة.

وفي عام ١٢٩٢هـ قام «محمد الرشيد» بقتل «بندر». وأدخل «حمود العبيد» في دائرة اتفاقه. ونظراً لكونه متفقاً مع «السبهانيين» أصلاً فقد قتل في تلك الليلة ستة آخرين من أفراد أسرة «عبد الله الرشيد»، وأعلن في اليوم التالي إمارته. (السبهانيون أهم أسرة في الجبل، تتميز بالنفوذ بعد أسرة آل رشيد).

ونظراً لحسد «محمد الرشيد» أسرةَ «الجبر» (أطلق هذا الاسم على أحفاد الجبر، أخو الرشيد) فقد قام في الشهر السادس من إمارته بقتل أربعة إخوة من خيرة شبابها. فاطمأن على إمارته بالقضاء على أحد عشر شاباً في أنه لم يبق أحد يشاركه فيما بعد في الحكم.

وقد أثر على مشاعر «عبد الرحمن السعود» بقاء إمارة (نجد) في يد «آل رشيد»، فبدأ بالتحرك اللازم بغية استرداد الحقوق المتوارثة من أجداده. ففكر في قتل «سالم السبهان»، واختار لذلك وقتَ مجيئه الأكيد إلى منزله [أي منزل عبدالرحمن] للمعايدة بمناسبة العيد، وتحيَّن تلك الفرصة فرتب رجالاً أمناء من أتباعه في منزله، فأخذوا أماكنهم مترقبين مجيئه.

ذهب «سالم» لمعايدة «عبد الرحمن». وفي العودة إلى منزله فوجىء بإطلاق النيران عليه من قبل المترصدين له، فثبت بثبات وبسالة، واستطاع النجاة بروحه والعودة إلى محله. وقد حاصر العوارض [في

أثناء ذلك] «آل الرشيد».

ولمّا وصل الخبر إلى أسماع «محمد الرشيد» تحرك بقواته الموجودة فوصل إلى (المحمل). ولمّا كان أحَسَّ بمعاونة القصيميين لـ«عبد الرحمن السعود»؛ فقد أقنع «عبد الرحمن الفيصل» بإعادة آل رشيد المحصورين في (الرياض) مقابل إخلاء سبيل آل سعود المحبوسين في (حائل). فأخذ معه «سالم السبهان» ورفقاءه عائداً إلى (حائل)، ووفى هناك بعهده، فأعاد المحبوسين من آل سعود إلى (الرياض).

ولما كان العمل الذي قام به القصيميون [من مساعدة آل سعود] مؤثراً في نفس «محمد الرشيد»؛ فقد أراد الانتقام منهم؛ فقام في شهر شعبان من عام ١٣٠٧هـ بالهجوم على (القصيم) بسرعة مذهلة حتى لا يستطيع «العوارض» الوصول إلى إغاثتهم ومساعدتهم، وهزمهم شرَّ هزيمة في المعركة التي جرت بين الطرفين في موقع (مليده).

إلا أن «عبد الرحمن السعود» لما وصله خبر تحرك «محمد الرشيد»؛ جمع أتباعه وتحرك إلى أن وصل إلى (سدير)، وفيها سمع بنبأ انهزام القصيميين ببالغ الأسى. وبناء على تلك الحادثة المشؤومة بقي في (السدير) وهو في حالة من الضنك. وقد تفرقت عشيرة [هكذا] العينية، بعدما أحدق «محمد الرشيد» بدوَ تلك العشيرة الواقعة في محيط «عبد الرحمن [السعود]» بالهدايا والمال. ولما أحس «عبد الرحمن» أنه لا يستطيع البقاء هناك أيضاً؛ تحرك إلى (قطر) مع أفراد أسرته، فبقي لدى «جاسم الثاني» فترة من الوقت، ثم اتجه إلى (الكويت)؛ حيث استراح فيها لدى «محمد الصباح».

انتقلت إمارة (القصيم) إلى آل رشيد بعد الفوز الذي أحرزوه في

(مليده)؛ فعيَّن «محمد الرشيد» لإمارة (عنيزة) «عبد الحياي» [هكذا.. وقد يكون عبد الله اليحيى]، ولإمارة (القصيم) «حسين الجرادي» وهو من أهالي (الجبل)، ولإمارة (العارض) «سالم السبهان»؛ وأخذ معه أمير (القصيم) السابق «حسن المهنا» - الذي جُرح في تلك المعركة - مع أفراد أسرته، في العودة إلى (حائل). (توفي حسن المهنا في السجن أثناء وجوده في حائل).

ونظراً لانتقال منطقة (نجد) بشكل كامل إلى إدارة آل رشيد بعد معركة (مليده)؛ بدأ [محمد الرشيد] يشرع في ممارسة حكمه باسم (أمير نجد). ومن جهة أخرى لإغفال الدولة العثمانية؛ قام بتقديم عشرين فرساً [عربياً] أصيلاً إلى الباب العالي في تلك السنة، بغية التظاهر أنه مطيع للدولة. وقد حاز فعلاً على تقدير المقام العالي. ولم يقصِّر في التقديم بعد ذلك كلَّ سنة.

وقد تم الحصول على تقدير الموظفين في (المابين) بفضل تقديم هدايا إليهم. وبتلك الوسيلة الحسنة تم الحصول على حسن ظن الدولة تجاه منطقة (نجد). ولما رأى «محمد الرشيد» أن تدابيره قد أثمرت بسرعة مذهلة؛ بدأ بالتركيز على إيجاد الأسباب التي تساعده في تسليح أتباعه بأسلحة جديدة. غير أنه نظراً لكونه كان محاطاً بالصحراء من الجهات الأربعة؛ تيقن أنه لا مجال لديه في الحصول على رغبته إلا من خلال الموظفين في (المابين). وكان خير وسيلة لذلك هو إقناع الدولة بأنه هو وجماعته سُني المذهب، ويحتاجون إلى أسلحة لحماية أنفسهم من تعرض الوهابيين لهم؛ وأن (الجبل) تعد أول قوة فعلية قامت في وجه الوهابيين؛ وأنه لا يتوانى هو وأربعون أو خمسون ألفاً الموجودين

أثناء ذلك] «آل الرشيد».

ولمّا وصل الخبر إلى أسماع «محمد الرشيد» تحرك بقواته الموجودة فوصل إلى (المحمل). ولمّا كان أحَسَّ بمعاونة القصيميين لـ«عبد الرحمن السعود»؛ فقد أقنع «عبد الرحمن الفيصل» بإعادة آل رشيد المحصورين في (الرياض) مقابل إخلاء سبيل آل سعود المحبوسين في (حائل). فأخذ معه «سالمَ السبهان» ورفقاءه عائداً إلى (حائل)، ووفى هناك بعهده، فأعاد المحبوسين من آل سعود إلى (الرياض).

ولما كان العمل الذي قام به القصيميون [من مساعدة آل سعود] مؤثراً في نفس «محمد الرشيد»؛ فقد أراد الانتقام منهم؛ فقام في شهر شعبان من عام ١٣٠٧هـ بالهجوم على (القصيم) بسرعة مذهلة حتى لا يستطيع «العوارض» الوصول إلى إغاثتهم ومساعدتهم، وهزمهم شرَّ هزيمة في المعركة التي جرت بين الطرفين في موقع (مليده).

إلا أن «عبد الرحمن السعود» لما وصله خبر تحرك «محمد الرشيد»؛ جمع أتباعه وتحرك إلى أن وصل إلى (سدير)، وفيها سمع بنبإ انهزام القصيميين ببالغ الأسى. وبناء على تلك الحادثة المشؤومة بقي في (السدير) وهو في حالة من الضنك. وقد تفرقت عشيرة [هكذا] العينية، بعدما أحدق «محمد الرشيد» بدوَ تلك العشيرة الواقعة في محيط «عبد الرحمن [السعود]» بالهدايا والمال. ولما أحس «عبد الرحمن» أنه لا يستطيع البقاء هناك أيضاً؛ تحرك إلى (قطر) مع أفراد أسرته، فبقي لدى «جاسم الثاني» فترة من الوقت، ثم اتجه إلى (الكويت)؛ حيث استراح فيها لدى «محمد الصباح».

انتقلت إدارة (القصيم) إلى آل رشيد بعد الفوز الذي أحرزوه في

(مليده)؛ فعيَّن «محمد الرشيد» لإمارة (عنيزة) «عبد الحياي» [هكذا.. وقد يكون عبد الله اليحيى]، ولإمارة (القصيم) «حسين الجرادي» وهو من أهالي (الجبل)، ولإمارة (العارض) «سالم السبهان»؛ وأخذ معه أمير (القصيم) السابق «حسن المهنا» - الذي جُرح في تلك المعركة - مع أفراد أسرته، في العودة إلى (حائل). (توفي حسن المهنا في السجن أثناء وجوده في حائل).

ونظراً لانتقال منطقة (نجد) بشكل كامل إلى إدارة آل رشيد بعد معركة (مليده)؛ بدأ [محمد الرشيد] يشرع في ممارسة حكمه باسم (أمير نجد). ومن جهة أخرى لإغفال الدولة العثمانية؛ قام بتقديم عشرين فرساً [عربياً] أصيلاً إلى الباب العالي في تلك السنة، بنية التظاهر أنه مطيع للدولة. وقد حاز فعلاً على تقدير المقام العالي. ولم يقصِّر في التقديم بعد ذلك كلَّ سنة.

وقد تم الحصول على تقدير الموظفين في (المابين) بفضل تقديم هدايا إليهم. وبتلك الوسيلة الحسنة تم الحصول على حسن ظن الدولة تجاه منطقة (نجد). ولما رأى «محمد الرشيد» أن تدابيره قد أثمرت بسرعة مذهلة؛ بدأ بالتركيز على إيجاد الأسباب التي تساعده في تسليح أتباعه بأسلحة جديدة. غير أنه نظراً لكونه كان محاطاً بالصحراء من الجهات الأربعة؛ تيقن أنه لا مجال لديه في الحصول على رغبته إلا من خلال الموظفين في (المابين). وكان خير وسيلة لذلك هو إقناع الدولة بأنه هو وجماعته سُني المذهب، ويحتاجون إلى أسلحة لحماية أنفسهم من تعرض الوهابيين لهم؛ وأن (الجبل) تعد أول قوة فعلية قامت في وجه الوهابيين؛ وأنه لا يتوانى هو وأربعون أو خمسون ألفاً الموجودين

من أتباعه في التضحية في سبيل تنفيذ إرادة أمير المؤمنين. فقد عرض ذلك في كل مناسبة سانحة على الدولة..

ونظراً لتمكن «محمد الرشيد» في الحصول على تقدير (المابين) واعترافها به فقد اتخذ إرسالَ الأسلحة والعتاد العسكري والبنادق - كعطية سلطانية له مقابل الأفراس التي كان يرسلها إلى [استانبول] -، شكلَ عادة متبعة..

وقد توفي «محمد الرشيد» في شوال عام ١٣١٥هـ دون أن يعقب ولداً، فخلفه «عبد العزيز بن متعب» في إمارة (نجد) بناءً على وصية سلفه «محمد». ومع أنه كان شجاعاً وفعالاً؛ إلا أنه لم يكن يلم بسياسة الحكم وتدبير الأمور حسب الزمان والمكان، كما أنه لم يكن يعترف بغير قوة العضلات. وقد قَتَلَ في بداية إمارته أحدَ عشر رجلاً من رؤساء الشمر، مما جلب نفرة الناس، حتى البدو.

ونظراً لكون حجاج (العراق) والعجم الذين كانوا يودون الحج براً كانوا يمرون من (حائل)؛ فقد كان «محمد الرشيد» يبذل جهداً في زيادة واردات البلد، وذلك بتأمين سلامة الطريق من النهب والغارة، وتحسين معاملة النقالين للحجاج بالاعتناء بهم. وكان يوزع ثلاثمائة أو أربعمائة ريال على البدو المقيمين في الجوار من (نجف) و(سماوة)، لتأمين ذلك. فكان في مقابل ذلك ولتطييب الخاطر يحصل على هدايا من مجتهدي الشيعة في (نجف) و(كربلاء) كل سنة.

عدّ «عبد العزيز [الرشيد]» ذلك إهانة وصغاراً فقطع ذلك الإحسان.

وفي تلك السنة نفسها تعرّضت حدود (الجبل) للنهب من قبل بدو (العراق)، بسبب قطع الرواتب عنهم. ونظراً لحصول «عبد العزيز» على موافقة المقام العالي بوجوب تأديب أولئك العربان؛ فقد كُلِّف جيش الفيلق السادس بتأمين سلامة حدود (الجبل)، واضطر للتجوال في الصحراء.

وقد اضطرت عشيرة الشمر بالكامل [هكذا] إلى النزوح لسواحل (الفرات) عام ١٣١٥هـ بسبب القحط والغلاء الشديد. فاستقبلتهم عشيرة بني حكيم خيرَ استقبال، ووزّعت الضيوفَ على الخيام، ولم يقصروا في تقديم الخدمات المطلوبة لضيوفهم. إلا أن أحد المفسدين قال لهم: «إن بدو الشمر هؤلاء وهابيون، فكيف تقيمون بضيافتهم في بيوتكم؟». فانقلبت الضيافة إلى نكاية، ونسوا شيمتهم العربية الأصيلة، فاتفقوا على قتل ضيوفهم، فقاموا في ليلة محددة وقَتَلَ كُلّ واحد ضيفَه، ونهبوا أموالهم. وبقي نساؤهم وأولادهم دون مأوى في حالة من الفقر والعري. وكان معدانُ «الزياد» و«الطوالم»، و«البو حسان»، و«العجايب» أيضاً حصلوا على حصصهم من المنهوبات..

عرض الأمير هذه الواقعة الأليمة على (المابين)، فصدرت إرادة عالية إلى مشيرية فيلق الجيش السادس وولاية (بغداد)، تقضي بـ«إرسال قوة عسكرية كافية لتأديب المتجاسرين واسترداد الأموال المنهوبة، ودفع خمسة آلاف ليرة من ميزانية ولاية (بغداد) للأمير، لتوزيعها على المظلومين».

وقد تم تسليم ثمانية آلاف ليرة لوكيل الأمير في (سماوه)، ثلاثة آلاف منها لمصاريف الجيش الذي قام بتأديب المتجاسرين. غير أنه بدلاً من أن يقوم «عبد العزيز الرشيد» بتوزيع تلك المبالغ على أُسَر المقتولين أدخلها في خزينته، وبذلك جلب نفرةَ عامة الناس.

وقد تم أيضاً في زمن «عبد العزيز الرشيد» قطع تلك مخصصات

علماء (العارض) العُجز، وبذلك تسبَّب في حصول نفرة عامة من الدوارض. وفي أثناء وقوع تلك السيئات نجح «صالح المهنا» (ابن حسن المهنا) المحبوس في (حائل) في الفرار، وذلك في السنة الثامنة من سجنه. ووصل إلى (الكويت) عن طريق (الشام)، فأصبح في ضيافة «مبارك الصباح». وعاد أيضاً «يوسف الإبراهيم» - الذي كان لدى أخيه «عبد العزيز» المقيم في (الهند) - إلى (حائل)، وبقي ضيفاً لدى «عبد العزيز الرشيد». (هناك معلومات عن مبارك [الصباح] ويوسف الإبراهيم في كتاب «بصره كورفزينك عربستان ساحلي حقنده معلومات»: معلومات عن سواحل الجزيرة العربية في خليج البصرة).

نظراً لكون أسرة آل الصباح وآل الرشيد أعداء ألداء منذ القدم، واجتماع «عبد الرحمن الفيصل» و«صالح المهنا» في (الكويت)؛ ومجيء «يوسف الإبراهيم إلى (حائل)، كان ذلك يشير إلى وقوع محاربة في (نجد) في القريب، لذلك فقد اضطرَرْتُ لأن أبدأ بإجراء تحقيقات لازمة عن الموضوع. وكنتُ في هذه الأثناء موجوداً مع سريَّتي في (قطر). وقد ألحقت التقرير الذي قدمتُه لفيلق الجيش السادس بواسطة ولاية (البصرة) عن الحادثة في نهاية هذا البحث.

استفاد «مبارك الصباح» من الفرصة الذهبية التي قدِمت إليه، فأرسل «عبد الرحمن» إلى جهة (الحسا)، ليجمع عشائر تلك المنطقة، وقام هو نفسه بعقد اتفاق مع «سعدون باشا» - من رؤساء قبيل «منتفق»-، فجمع عشائر (الكويت) وبدو «الظفير»، واتحدوا مع الجمع الغفير الذي جمعه «عبد الرحمن»، وهاجموا على (القصيم).

لما سمع «عبد العزيز الرشيد» بأعمال «مبارك باشا [الصباح]»، طلب

المساعدة من شمر الجربا في (العراق)، وبذلك رفع من عدد قواته.

وقد التقى الفريقان في السادس والعشرين من ذي القعدة عام ١٣١٨هـ في موقع يسمى (طرفيه)، وحصلت معركة شديدة بين الطرفين، انهزم فيها فريق «مبارك الصُباح»، الذي اضطر إلى العودة إلى (الكويت) للنجاة بروحه.

غير أن ما أسيل من دماء المسلمين في تلك المعركة الدموية البشعة؛ لم يكن ليشفي غليل صدر «عبد العزيز الرشيد»، فقام لمدة أسبوع كامل بتتبع آثار الفارين من الفريق المعادي المنتشرين في قرى (القصيم)، فقتل مَن قَبَضَ منهم، مرتكباً بذلك فضائح عظيمة.

وقد علا شأن «عبد العزيز الرشيد» لدى (المابين) بعد الفوز الذي حققه في معركة (طرفيه)، وازداد قدرُه. وقام أيضاً أمير (نجد) بالضغط على مَن التجأ إلى عاطفته ودخالته. وكان أول إجراء قام به هو تحصيل المال. فأمر بتحصيل مبالغ مالية ضخمة ممن اتفق مع «مبارك الصباح» وقام في وجهه، غرامة لهم. فكان أن فرض على (القصيم) خمسين ألفاً، وعلى (العارض) خمسين ألفاً، وعلى (عنيزة) ثلاثين ألف ريال. وحُدِّدت مبالغُ مماثلة على المناطق الأخرى.

قامت ولاية (القصيم) و(عنيزة) بدفع المبلغ المقرر عليهما بتمهل. أما (العارض) فنظراً لعدم إمكانية تحصيل المبلغ المقرر عليها منها، وبخاصة أن الأهالي كانوا في حالة من التهييج العام؛ فقد عرض أمير (العارض) آنذاك «سالم السبهان» على «عبد العزيز الرشيد» رأياً رشيداً، هو تأجيل القرار إلى وقت يسكن فيه تهييج الناس. فكان ذلك سبباً لعزله من الإمارة وتعيين «فهاد الديادة» مكانه.

وبعدما رتَّب «عبد العزيز الرشيد» أمور (نجد) على الوضع المذكور، جمع أتباعه فهاجم بجموعه النفيرة على «سعدون باشا». واضطر «مبارك [الصباح]» للقيام بمساعدة «سعدون». غير أن ورود البرقيات العديدة من (المابين) وبهمة وجهود الوالي «محسن باشا» ورأيه السديد؛ تم إعادة الفريقين إلى محلهما دون نشوب معركة بينهما.

إلا أن «عبد العزيز الرشيد» بدلاً من العودة إلى (حائل) حسب الإرادة العالية، اتجه إلى (سماوة) فنهب العربان المقيمين في أطرافها، وركز خيامه عند آبار (بشوك)، استعداداً للهجوم على (الكويت). ونظراً لشكاوي «مبارك» من وضع «عبد العزيز» المترصد، فقد قمنا بإجراء التحقيق اللازم. وبناءً على ذلك كُلِّف فريق الخيالة الباشا [هكذا، دون ذكر اسمه] بالعمل على إعادة «ابن الرشيد» إلى (حائل)، وتفتيت جماعته. فتحرك إلى (حائل). وقبل وصول «كاظم باشا» إلى (حائل) أذن «عبد العزيز» للبدو بالانتشار، وأقام هو نفسه فيها مستقبلاً «كاظم باشا».

ولما كان «عبد العزيز الرشيد» مفتخراً بمعركة (طرفيه) التي انتصر فيها، فقد كانت تعدياته ومظالمه على الناس تزداد يوماً بعد يوم. وفي أثناء استمراره في تلك الحالة لم يكن يسمع ربكة العربان وسوء حالتهم. وبالنقلة تلك نهب بدو (سبيع) و(سهول) و(مغابسي)، وكلَّف أمير (العارض) «عجلان» بتحصيل الأموال من (الدواسر)، وعاد هو نفسه إلى (حائل).

وتم بعد انتصار (طرفيه) تخصيص معاشات من بلديات (نجف) و(سماوه) و(بغداد) و(البصرة) لوكلاء «ابن رشيد» الموجودين فيها من القديم. ولما رأى أصحاب المصالح الخاصة أن معروضاتهم المقدمة إلى

(المابين) عن طريق هؤلاء الوكلاء بواسطة «عبد العزيز [الرشيد]» وبخاصة في التوظيف وترفيع الرتب والعزل والنصب؛ تلقى قبولاً وبسرعة أكثر من ذي قبل، فقد بدأوا بالرجوع إليهم في تحقيق مصالحهم، وذلك بدفع مبالغ أقل مما كانوا يدفعونها من قبل. وبذلك راجت سوق الرشوة في الصحراء رواجاً كبيراً. غير أن عملية البيع والشراء تلك [الرشوة] نظراً لكونها شوَّهت سمعة الموظفين في (استانبول) فقد تم منعها بعد فترة ولم تستمر طويلاً.

بناءً على الأوامر التي أخذها «عجلان» فقد وصل ليلاً إلى مركز (الدواسر) في محرم عام ١٣٢٠هـ، غير أن الرؤساء المحليين في البلد طردوه مع معيته. فاضطر «عجلان» إلى العودة إلى «الرياض»، وعرضِ الأمر على الأمير.

وقد وصل «عبد الرحمن الفيصل» إلى (الرياض) في جمادى الأولى من عام ١٣٢٠هـ بناءً على طلب الأهالي، وقُبِل من قبلهم ليلاً، فتساعدوا في الصباح على قتل «عجلان». وفرَّ بقية الموظفين إلى مدينة «المجمعة» ليخبروا «عبد العزيز الرشيد» الذي كان في (آبار الحفر)، عما حصل.

وبناءً على عصيان «العوارض» ضد «عبد العزيز الرشيد» فقد استغاث من ابن عمومته «ماجد الحمودي» في العراق لجلب شمر الجربا، وانتظر قدومه في (آبار الحفر). غير أن «ماجد» عاد مَيْؤوساً من أي مساعدة، وتيقن من عدم إمكانية ذلك، نظراً لتعاهد بدوِ شمر الجربا فيما بينهم على عدم تقديم أي مساعدة لـ«آل رشيد»، بعد معركة (طرفيه)، حيث عادوا منها مكسوري القلب والخاطر. وكان ذلك مؤثراً في «عبد العزيز الرشيد» تأثيراً سلبياً من وجهين: امتناع شمر الجرباء عن تقديم

المساعدة له؛ انتظاره لقدوم المساعدة [من شمر الجربا] لمدة شهرين. أكسب «العوارض» إلى ازدياد قوتهم وتقوية نفوذهم.

ولما كان عصيان «العوارض» مؤثراً في «عبد العزيز الرشيد»، حيث أدى إلى زعزعة وضعه، فقد كان بحاجة إلى مساعدة الحكومة. ولذلك فقد أرسل مع «ناصر الحشمان» في أواخر جمادى الآخرة من عام ١٣٢٠هـ خيولاً وفرساً إلى الباب العالي أكثر من السنوات الماضية، وسلّم له معروضه عن وضعه. ولقي «ناصر الحشمان» قبولاً جيداً من المقام العالي. وقد أمسك [السلطان] «عبد الحميد الثاني» بيد «ناصر» وقال له: «الدين، الدين».

صلاحه سعي مفسدتكه تأويل جاسوس أول

مزاج عالمي شيطان كبي افساد لازمسه

سلّم «ناصر الحشمان» معروضَ الأمير [عبد العزيز الرشيد] ليد السلطان. (وكان المعروض - حسب تصريح الأمير - على هذا النحو: نظراً للمساعدات المعنوية الخارجية إلى الإمام الوهابي «ابن سعود»؛ فإنه وفق في الاستيلاء على (الرياض). ومع الجهود التي بذلتُها منذ سنة، وصرف مبالغ مالية كبيرة وجهد بشري في سبيل محو النفوذ الأجنبي في هذه المنطقة، لتحقيق المآرب السلطانية في هذا الصدد، فإنني لم أتوفق في استرداد دار ندوة الوهابيين التي هي (الرياض). ونظراً لمتانة بنيان سورها فإن الهجوم يتطلب وجود المدافع. ولذلك فإن كان استتباب الأمن في منطقة (نجد) مما يريده السلطان فإن منح عدة قطع من المدافع من الأمور المرجوة.).

فأصدر السلطان فرمانه العالي بتسليم عدد اثنين من مدافع الجبال، وخمسة وعشرين صندوقاً من بنادق «الماوزر»، وعدد كافٍ من العتاد العسكري، وتسليمها لـ«ناصر الحشمان».

ومع أن هيئة الوكلاء [مجلس الوزراء] لم تر من المناسب منح شيخ بدوي المدافع لهلاك «عبد الله» ومحوه، إلا أن مدفعيتين من نوع مدافع الجبال خالية من الغطاء [الذي لا يمكن بدونه استخدامها] وعتاد عسكري سُلمت لـ«ناصر الحشمان» مع المنح السلطانية الأخرى.

ولما وصل «ناصر» إلى (حائل) وجد الناس عامة قد طاروا فرحاً من وصول المدافع، بغية أخذ الانتقام. وفي اليوم التالي أوتي بالمدافع إلى ساحة «انداخت» [هكذا]، وبمعرفة معلم المدفعية - الفار من (الحجاز) والذي كان يعمل في خدمة الأمير - تم الشروع في تجربة المدفع. غير أنه لمّا تأكد لهم أنه بدون غطاء؛ انقلب سرور الناس إلى حزن ويأس. فأرسل «عبد العزيز [الرشيد]» إلى المابين يشكي الأمر..

وكان وجود «ابن الرشيد» مع قواته في آبار «الحفر» يشكل خطراً دائماً لـ«مبارك [الصباح]» وتهديداً لـ(الكويت). فاشتكى الوضع، وتم عن طريق الخارجية البريطانية إبلاغ الحكومة [العثمانية] بوجوب مغادرة «ابن الرشيد» ذلك المكان، وأرسلت الإرادة السنية الصادرة بهذا الشأن إلى ولاية (البصرة) لإبلاغ المذكور بالأمر. وقد وكّل الوالي «مصطفى نوري باشا» الأمرَ إليَّ، فتحركتُ من (الزبير) في غرة شوال عام ١٣٢٠هـ، ووصلتُ إلى آبار «الحفر» في اليوم الثامن. فسلمتُ البرقيةَ إلى الأمير، وغادرتُ المكان مع خطابه الجوابي بعد المكوث معهم خمسة أيام. وقد غادر «ابن الرشيد» مع قواته الموجودة في معيته المكانَ بعد مغادرتي بيوم واحد، متّجهاً إلى (الرياض) بغية الاستيلاء عليها.

ولما كان «عبد الرحمن الفيصل» واثقاً من أنه لن يتعرَّض لمعاملة تظالم من «المابين» بعدما دخل (الرياض)؛ كتب إليه يقول: «إنه بناءً على رغبة الأهالي دخل المدينة، وأن ظلم «ابن الرشيد» وتعديه الحقوق وقتله النفوسَ تجاوز نطاق تحمُّل «العوارض»، وأنه مطيع لأمير المؤمنين وصادق في إخلاصه له».. إلاّ أن «المابين» لم يقدِّر هذا الموقف، نظراً لميله لـ«عبد العزيز [الرشيد]»، مع أنه [أي المابين] كان يعرف أن الإحسان إلى المُسئين إساءة إلى المحسنين، فلقي معروض «عبد الرحمن [الفيصل]» مفعولاً معاكِساً.. وفي الحقيقة أن «عبد الرحمن السعود» مع أنه ليس أهون شرٍ من «عبد العزيز الرشيد»، لكنه لو كان حائزاً على رضى الخليفة، كان بالإمكان جعل القوتين متكافئتين، بحيث يتوقف كل واحدة منهما عند حد معين لا يتجاوزه، بغية جلب الأهالي إلى طرفه، وبذلك كان يتم الحفاظ على استتباب الأمن في منطقة (نجد)، ويعيش الأهالي بأمن واطمئنان. وفي الوقت ذاته كانت الدولة تستفيد من الوضع.

بدأ «عبد العزيز» بالتضييق على (الرياض) بعد الوصول إليها. واستمر في حصاره ثلاثة أشهر. غير أنه لمّا لم يحصل على نتيجة في هذا الصدد، يئِس من الوضع، فاتجه إلى (الخرج)، حيث قطع أشجار بساتينها وهدم آبارها. فاضطر أهالي «العارض» لعرض المصالحة عليه بغية دفع شره.

ومغايراً لحكم الحديث النبوي الشريف «أعظم الخطايا محاربة من يطلب الصلح»؛ طلب «عبد العزيز الرشيد» في أول حديثه بتسليم «عبد الرحمن الفيصل»، وأولاد «آل سعود» أجمع، وكافة مَنْ قَدِموا مع «عبد الرحمن» من (الكويت). وقد رجع الوفد القادم لأجل المذاكرة إلى

(الرياض)، وبلَّغ مطالب «عبد العزيز» الذي لا يطاق، إلى الأهالي، الذين عارضوا هذا الأمر معارضة شديدة، ولم يقبلوا بتسليم أولئك المظلومين الذين قدموا بناءً على طلبهم، وتعاهدوا على الدفاع عن أنفسهم إلى آخر نفس، مستمدين قوتهم من الله تعالى.

ومع أن «ابنَ الرشيد» استمر في الحصار أسبوعاً آخر أيضاً، وقام بالهجوم خلالها عدة مرات مشدداً أكثر من ذي قبل، إلا أنه لم يحرز نجاحاً. وقد بدأ البدو بالانتشار، فاضطر الأمير إلى الانسحاب إلى (بريدة).

ولما خرجت منطقة (العارض) وما جاورها من سيطرة [عبد العزيز الرشيد]؛ قرَّر المذكور الإقامة في مدينة (بريدة)، وذلك لكونها أكثر المناطق إعماراً وأمناً في المنطقة، وبخاصة بغية الحفاظ على (القصيم). ولتطييب خاطر القصيميين تزوَّج من إحدى بنات «حسن المهنا»، وزوَّج «ماجدَ العبد» بأختها. وكانت تلك النية الحسنة في البداية ولَّدت سفاهة لم تحمد عقباه. فقد انجرَّ إلى الظلم على الناس والاعتساف بهم. وذلك أنه قام بتزويج بنت إحدى الأسر الأصيلة المعروفة بالعفة في (القصيم) من أحد عبيده. ونظراً لكون العبد غير كفء لها - والعرب لا تزوج بناتها إلا بمن هو كفء لها، وتعتبر غير ذلك عاراً - رفض والدا البنت طلبه، فاتهمهما بالخيانة العظمى وعدم الخضوع لأمر الأمير، فبدأ بإهلاك أهل تلك الدار، وانتشر بذلك الظلم والاعتساف أكثر من أي وقت مضى.

به بنج بيض كه سلطان ستم روادارد

زناند لشكريان او هزار مرغ به سيخ

وبناءً على وضع الأمير ذلك، اجتمع حوله أرذل الناس، وبدأوا بالتعرض للأهالي، فقاموا بالشكوى ضدّ تلك التصرفات. إلا أن معروضاتهم المقدمة في هذا الصدد لم تلق بالاً، بل اعتبرت سوءَ أدب مع الأمير، فأجزنوا عليها. ومع أن الأمير هدّد الناس وحاول فرض نفوذه عليهم بالقوة، إلا أن الأهالي ضاقوا ذرعاً من تصرفاته الحمقى السفيهة تلك، فانتشرت النفرة في الناس عامة وتهيجوا.

بشر عنف ايله كيرمز ضبطه مملكت بودعوا

بتون تاريخ انسانيتي اشهاد لازمسه

ونتيجة لذلك التهيج العام من الناس، بدأ ظهور تصرفات تحقيرية منهم لرجال الأمير. فلما شعر «عبد العزيز» أن (القصيم) أيضاً بصدد الخلاص من أسارته، جمع أعيان المنطقة وأخذ عليهم العهد والميثاق على البقاء تحت حكمه، وجدّد منهم البيعة الرسمية لنفسه. فانتشر بعد ذلك بفترة نوع من الأمن والسكون في الناس، فاستفاد من ذلك وتوجّه إلى (العراق) بنية تزويد قوته.

فترك «ماجد العبيد» مع قوة كافية لترصد الأوضاع في (القصيم)؛ وأرسل «حسين الجراد» مع ستين خيالاً إلى الغزوة على العربان في جهة (العارض)؛ وترك «فهد السبهاني» مع عدد من المحافظين على إمارة (عنيزة)؛ وعين «طلبعاني» مع ١٢٠ حرساً على إمارة (القصيم)، وتحرك هو نفسه [عبد العزيز الرشيد] من (بريدة) في شهر شوال من عام ١٣٢١هـ.

فقامت سرية «حسين الجراد» بالاتفاق مع بدو «الحرب»، فهاجموا على عشيرة «سبيع».. وفي طريق عودته إلى (حائل) غانماً اضطر المذكور

للبقاء في قرية (الفيضة) يومين لأخذ قسط من الراحة وتوفير المواد الغذائية اللازمة. وقد غادرهم بدو «الحرب» إلى مكانهم. وفي تلك الأثناء كان «عبد العزيز بن عبد الرحمن السعود» موجوداً في (الشقراء) مع قواته، والتحق به «صالح المهنا» بعدما جمع ما استطاع جمعه من رجال، فقرروا الاستفادة من هذا الاجتماع غير المتوقع، وذلك بالهجوم على سرية «حسين الجراد». وقد وصلوا إلى قرية «فيضة» ليلاً، وهجموا عليهم مع طلوع الفجر. ولم ينجو من تلك السرية إلا عشرة أشخاص.

وبعد تلك الحادثة المشؤومة ذهب «ماجد العبيد» مع سريته إلى (عنيزة) وجدد العهد والميثاق مع الأهالي على أنهم سيبقون أصدقاء ومُوالين لآل رشيد، وأقسمهم بالقرآن الكريم على ذلك، ثم رجع إلى خارج البلد مستمراً في ترصده.. وقد قَبِل الأهالي بعد يومين من القَسَم بدخول «عبد العزيز السعود» مع أتباعه ليلاً إلى البلد، فقتلوا «فهد السبهاني»، ففرّ الحُرّاس الموجودين في (عنيزة). ومع أن «ماجد» استدرك الأمر ووصل مع سريته لاستغاثة أصحابه، إلا أنه لم ير عملاً يستطيع القيام به سوى العودة للنجاة من الموت المحقق. غير أنه عُقّب من قبل «محمد السعود»، فوصل إلى قرية (العيون) ونجى بروحه بعدما هلك بعض أصحابه بسيوف معقبيه.

ولما كانت تلك الأحداث باعثاً قوياً لأهالي (القصيم) في الاتفاق مع «صالح المهنا» ابن أميرهم القديم، سلّموا له (بريدة) مع عرض طاعتهم له. وقاموا بالحصار على البرج الذي تحصن فيه أتباع آل الرشيد مع «عبد الرحمن طبعان».

أما «عبد العزيز الرشيد» فقد تيقن من حاجته الماسة إلى بدو الشمر

الذين أغضبهم من قبل ومن لم يلتفت إليهم، فقام بتطييب خاطرهم؛ وذلك بإعلان الغزوة على عربان (العراق). ونظراً لاستحسان البدو هذا الهجوم وحبهم للغارة، وكون عربان (العراق) أغنياء بالأموال والمواشي، فقد اجتمع بدو الشمر المتجولين في (نجد)، طمعاً للغارة. فقاموا بنهب عشيرة «الزياد». وقد وزع الأمير حصته من الأموال التي حصل عليها في هذه الغزوة على أتباعه. (وعشيرة الزياد من العشائر التابعة للدولة العثمانية، وكانت تدفع بعضاً من ضريبتها المخصصة. ومع تعرضها ثلاث مرات من قبل الأمير؛ فإنهم لم يُحسنوا شرحَ وضعهم وما تعرضوا له إلى المحاكم العثمانية).

وبعدما جعل «عبد العزيز الرشيد» الشمر يغنمون الأموال بتلك الصورة؛ طلب منهم النخوة واسترداد (القصيم) و (العارض) من آل سعود. غير أنهم نظراً لعدم ارتياحهم للأمير ونفرتهم منه، لم يلتفتوا إلى طلبه، ولم يتبادروا إلى مساعدته في أحلك أوقات الحاجة.

ولما امتُنع «عبد العزيز الرشيد» من معاونة البدو؛ التجأ إلى الشريف «عون الرفيق»، بغية الحصول على مساعدة منه. ونظراً لكون الشريف من سالكي [هكذا] المذهب الوهابي، ووجود مودة خالصة بينه وبين «عبد العزيز الرشيد» من القديم؛ فقد كتب إلى المابين بصورة مخوّفة الخطر الداهم الذي يتعرض لها الحرمان الشريفان.

وقد انجرف محافظ (المدينة المنورة) «عثمان باشا» أيضاً لإفادات وكيل «عبد العزيز الرشيد»، فأزعج المابين بالبرقيات المتعددة التي كتبها له وللدوائر الحكومية الأخرى حول انتقال (القصيم) إلى الوهابيين، وأن الحرمين الشريفين في خطر الوقوع في أيديهم. [من ذلك] : (وجوب

تشرف أحد العلماء العاملين الفضلاء بخدمة شيخ الحرم. وإنني لا أرى من المناسب إطلاق لقب «شيخ الحرم» لوكيل أمير المؤمنين الموجود لخدمة قبر النبي (ﷺ)، بعدما كان خليفة المسلمين مفتَخَراً بلقب «خادم الحرمين الشريفين»).

وقد بدأ المابين ودوائر الدولة بالانشغال بترتيبات لازمة، بعد أن اقتنعت بظهور غائلة دعوة الوهابيين الجديدة. فتم الاتصال برقياً بـ«عبد العزيز الرشيد»، والاستفسار عن أوضاعه. كما تم تبشيره بصدور الإرادة العالية حول إرسال اثنتي عشرة كتيبة من أفراد الجيش، وبطاريتين من المدافع، بغية تأديب الوهابيين، وأن ذلك سيتم قريباً.

(غير أن مما يؤسف له الغفلة الشديدة عند المابين وهيئة الوكلاء حيث إنهم لم يقفوا منذ كل تلك السنوات الماضية على حقيقة أن أهالي (الجبل) وآل الرشيد على المذهب الوهابي. والشيء (الآخر) المؤسف له أيضاً في خضم تلك الترتيبات اللازمة عدم قيام أحد ببيان أن «عبد الرحمن السعود» مثل «عبد العزيز الرشيد» أحد مواطني الدولة. فـ«عبد الرحمن» أيضاً لو كان مَظهراً لالتفات الخليفة؛ فإنه لم يكن يقصر في الواجبات الملقاة على عاتقه تجاهه، وتقديم الطاعة له. وتلك اللامساواة من الحكومة تجاه أسرة آل سعود لم يكن من الحكمة ولا عين العقل. ونظراً للطبيعة البدوية فإن تطييب خاطر جهة على حساب جهة أخرى لم يكن مناسباً، بل كان الأولى محاولة تأليف ذات البين).

وقد قام أهالي (القصيم) و (العارض) بإرسال برقيات عديدة إلى المابين ومختلف الدوائر الحكومية ذات العلاقة - بعد طرد آل الرشيد من المنطقة -، موضحين فيها أنهم «مطيعون لأوامر أمير المؤمنين

وإراداته العالية في كل حين، وأنه ما بقي لديهم تحمل تجاه المظالم والخيانات وترويج هتك الأعراض التي كان يقوم بها آل الرشيد، مما تطلب طردهم، وأنه استتبَّ الأمن والأمان العام في المنطقة بعد جلب رؤسائهم من القديم إليها، وأن اتّباع ابن الرشيد يعني هلاك الأهالي كافة، وأنهم مطمئنون أن قرار الخليفة العادل سوف لن يقبل بحال من الأحوال في هدر دماء الرعية المطيعين له».. والمتوقع تحقيق مرام أولئك الناس الذين التجأوا إلى عطف وحنان الخليفة، بغية رفع تلك المظالم عنهم. وقد قام «عبد الرحمن [آل] سعود» و«صالح المهنا» أيضاً برفع برقيات عديدة إلى المابين، إلا أنه لا يعتدُّ بها.

وبناء على الإرادة العالية الصادرة في ذي الحجة من عام ١٣٢١هـ، كان فيلق الجيش الرابع والخامس بصدد الاستعداد لإكمال نواقص القوة العسكرية التي سوف ترسل [إلى المنطقة].

□□□

صورة اللائحة التي قدَّمتُها من قطر:

بناء على التحقيقات التي أجريتُها فإن «يوسف الابراهيم» قد قدِم من (الهند) إلى (حائل)، ويوجد الآن لدى ابن الرشيد.. ويوجد «صالح المهنا» الذي فرَّ من (حائل) لدى «مبارك الصباح».. كما أن حاكم (نجد) السابق «عبد الرحمن الفيصل» يقضي أوقاته في (الكويت) منذ فترة.. ونظراً لحب العرب للرئاسة فإن قيام «عبد الرحمن» و«صالح» بمحاولة استرداد إمارتهم القديمة من آل الرشيد واجب. والوضع الراهن مساعد في حصولهم على رغبتهم تلك. ونظراً لانضمام سفالة وسيئات «عبد العزيز الرشيد» إلى ميله لسفك الدماء فإنه قد كسب نفرةَ الأهالي في

(نجد). ومع ما في الظاهر من سكونة فإن الوضع الداخلي متهيج، وقابل للانفجار في أي لحظة، حيث تحريكة بسيطة سوف يؤدي إلى اشتعال نيران الحرب. ومع أن العداوة بين أسرة آل رشيد وآل الصباح شديدة منذ القديم، وتوقفت بحُسن إدارة وجهود «محمد الرشيد» و«محمد الصباح»؛ إلا أن المتوقع أن «مبارك» سوف لن يفوِّت الفرص المتاحة الآن.

أما آل الرشيد: فمع أنه أصبح أميراً على (الجبل) بمساعدة «فيصل آل سعود»، ثم قيامه بتزييد قوته محاولاً الاستيلاء على منطقة (نجد) عامة، واتفاق أمير مكة المكرمة الشريف «عون الرفيق» مع آل الرشيد بعد سلوكه المذهبَ الوهابي، وإدخال الأسلحة إلى منطقة نجد وادخارها [illegible] العثمانية، وقيام أمير (قطر) «جاسم الثاني» بتوفير الأسلحة للأمير [آل الرشيد]، ومعاملة المابين السلطاني لآل الرشيد وأهالي (الجبل) على أنهم سُنيين مع كونهم وهابيين.. فإنه إذا ما تم التحقق من كل تلك القضايا ظهر واضحاً أن آل الرشيد يخدمون نياتهم الفاسدة. ونظراً لأن تزييد قوة آل الرشيد بهذا الشكل سوف يكون مضراً لمصالح الحكومة، فإن قطع أغصانه وإرجاعه إلى حالته السابقة الطبيعية من ألزم اللوازم.

وقد آن الأوان لتنفيذ الأمور الواردة في معروضي المتواضع على النحو التالي: وجوب تبليغ القائمين بالعصيان في وجه «عبد العزيز الرشيد» إرادةَ السلطان العالية حول القيام بالمساهمة الفعلية في تسكين الأوضاع والقضاء على الفساد، وسفك الدماء بين المسلمين، وذلك بإعادة أمراء كل من (الجوف) و(القصيم) و(الوشم) و(سدير) و(المحمل) و(العارض) و(الخرج) و(الدواسر) المنصوبة حقوقهم إلى إماراتهم. فإن

الرؤساء القدامى سوف يستقبلون هذا القرار السلطاني بحكم مصلحتهم بكل سرور. ونظراً لأن ابن الرشيد هو الشخص الوحيد الذي ينضرُّ من هذا الإجراء فإنه سوف يخضع للقرار بسبب تشتت قوته. والأمراء الذين يُعادون إلى إماراتهم في مختلف بقاع منطقة (نجد) بصدور إرادة سلطانية، يمكن تنصيبهم قائمقامين ومدراء حسب التكوين الإداري الجديد الذي وصلتُ برأيي المتواضع إليه، وهذا الاقتراح معروض لرأي أولياء أمورنا المصيب..

في ٨ صفر ١٣١٨هـ [الموافق] ٢٥ مايو ١٣١٦ [رومي: حزيران ١٩٠٠م].

ومع أن لائحتي المتواضعة تلك وآرائي الواردة فيها لقيت قبولاً لدى السلطان «عبد الحميد الثاني» [١٢٩٤-١٣٢٧هـ/١٨٧٦-١٩٠٩م]، إلا أنه أبلغني مُحذِّراً منطلقاً من صفاء وجدانه «[كما جاء في المثل] لم يستطع أحد أن يقول للأسد في وجهه: رائحةُ فمكَ كريهة؛ ولما كان «[عبد العزيز] آل رشيد» نائلاً توجهات المقام العالي ومعروفاً لديه بالصدق والإخلاص، [حيث لم يستطع أحدٌ أن يذكر عنه كلاماً من هذا القبيل، أي فيها تشويه له]، حفظكم الله من عواقب تلك الكلمات المتجاوزة عن آل الرشيد».

وقد كنت ردّيت على خطاب المقام العالي بما معناه: «أَلِفْتُ المآسي والشدائد إلى اليوم، وإني لا أبالي، حيث لم يبق هناك تعب ولا نَصَب إلا وذقتُها. فإن كنتُ استطعت إشعار المقام العالي وهيئة الوكلاء ببعض الحقائق، فإني أفتخر بأني قدّمتُ خدمة لوطني».

☐☐☐

أردّ فعل اللائحة]:

وفي خضم تلك الأحداث استلمت من مشير فيلق الجيش السادس آنذاك «أحمد فيضي باشا» أمراً جاء فيه «إشعاري بأسماء الذين أدلَوا بتلك الأخبار [الواردة في اللائحة]».. فقدَّمتُ إليه جواباً ما فحواه: «قد كان مصدر الأخبار الواردة في لائحتي تلك التحقيقات التي أجريتُها مع فضلاء مختلف العشائر البدوية الذين كانوا يترددون على (قطر). وقد بدأ فعلاً ظهور الحوادث، كما نبَّأوا بها؛ فـ«عبد الرحمن الفيصل» مشغول الآن بجمع البدو في جهة (الإحساء)، بعدما تعرض لها.. ومع ما فيه فإني سوف لن أصدع المقام العالي بالأخبار والمعلومات التي لم أتأكد من صحتها».

ومع أن المعروضات التي قدَّمتُها لم تلق أهمية من الجهات المسؤولة، إلا أن فوز (الطرفية) التي وقعت بعد عشرة أشهر من تقديم تلك المعروضات قد أيقظت السلطان ودوائر الدولة. غير أن الحكومة لم تستفد من ذلك أيضاً، وتسببت بذلك لاختلال الأمن وعدم استتبابه في منطقة (نجد)..

☐☐☐

الحركات العسكرية في نجد

المرحلة الأولى:

تم تبليغ «عبد العزيز بن الرشيد» الذي كان مشغولاً بالغارة على البدو المقيمين بجوار منطقة (سماوة) ونهبهم، بصدور الإرادة السلطانية حول سوق اثنتي عشرة كتيبة مشاة وثلاث سرايا مدفعية. فلمّا علم «عبد العزيز» بتلك القوة عرض على المقام العالي ببرقية يذكر فيها: «مع أن القوات الموجودة كافية للتنكيل بالوهابيين، إلا أنه بحاجة لعشرة مدافع للقيام بهدم الأبراج التي تحصنوا فيها».

وبناءً على ذلك «صدرت الإرادة العالية بإرسال سرية مدفعية مع فوج خيالة إلى الأمير من فيلق الجيش السادس؛ وإرسال فوج خيالة مع سرية مدفعية لأجل الاحتياط من فيلق الجيش الخامس إلى (المدينة المنورة)، وفي حالة الحاجة نقلها إلى منطقة (نجد)، حيث إن ذلك متروك لأمر الأمير، وأنه تم تبليغ مشيرية فيلق الجيش الخامس ومشيرية فيلق الجيش السادس بذلك، لإعداد الجيش المذكور وسوقه»، وقد تم تبشير «ابن الرشيد» بذلك من قبل الكاتب الأول في المابين.

وكان المابين ينوي تحقيق فكرة استتباب الأمن في منطقة (نجد) بواسطة قوة «ابن الرشيد»، بعد تحويل المنطقة إلى ولاية وتشكيلها. أما «عبد العزيز الرشيد» فكان مما يظهر من حاله بوضوح أنه يسعى لتقوية نفوذه بمهابة الجيش، وتخريب منطقة (نجد) ونهبها، وإهلاك المعادين له والغانمين، ثم إعادة الجيش بعد ترسيخ إمارته وإدامتها. وفي الحقيقة كان المنخدع هو المابين، وكان المتضرر الحكومة، وكان المنجرفون بين الشقين المذكورين المستفيدين والمهلكون أولاد الوطن وخزينة الدولة.

وقد بدأ فيلق الجيش السادس أثناء تذبذب الأوضاع تلك بتنفيذ الإرادة العالية، وتم تعيين القادة على النحو التالي:

الكتيبة الرابعة من الفوج ٤١ (للرائد رمضان آغا)،

الكتيبة الثانية من الفوج ٤٢ (للرائد حسن أفندي)،

الكتيبة الأولى من الفوج ٤٤ (للعقيد محمود أفندي)،

الكتيبة الرابعة من الفوج ٤٤ (للرائد راشد أفندي)،

مدفعيتين من طراز ٢ فونط المسمى (وادول)، وسرية متكونة من أربعة مدافع جبال (للعقيد رشيد أفندي)،[1] و٢٥ خيالة (للملازم أول شهاب أفندي). وقد تم تعيين (الفريق حسن شكري بك) قائداً عاماً على تلك القوات. (كان الفريق «حسن شكري بك» من المنشئين في الجيش. وكان معروفاً بالكتابة والبسالة والغيرة. وقد وصل إلى تلك الرتبة بفضل تربية «أحمد فيضي باشا». وتم نقله إلى فيلق الجيش السادس أثناء قيادة «عبد الله باشا» للجيش السابع).

تم تحشيد هذه القوات في السابع من شهر مارس عام ١٣٢٠ [١٣٢٢هـ] في (سماوة).

وكان يتم الاتصال حول توفير وسائل النقل بالبرقية إلى وصول القائد العام إلى (سماوة). وقد عرض «ابن الرشيد» على المابين أنه أعدّ ستة آلاف إبل لنقل تلك القوات بصورة مريحة. وصدر الإذن بناءً على هذا العرض بمنح مبلغ ثلاثة آلاف ليرة لمصاريف النقل، مع أنه لم يكن هناك سوى ألف وثمانمائة إبل، من مجموع ستة آلاف. وكانت تلك

---

١) كان رائد المدفعية «حليم أفندي» أيضاً مرسلاً مع هذه السرية. ومرتبات المشير في هذا الصدد غير مفهومة.

الجمال في الأصل للتاجر القصيمي «سليمان الربدي» الذي سوّقها للشام لأجل التجارة، حيث تم الاستيلاء عليها من قبل أتباع «ابن الرشيد» في جوار منطقة (الجوف)، وسيقت إلى (سماوة).

ونظراً لكون انتشار الطاعون في (سماوة)، فقد أبلغ المشير للأمير بوجوب تحرك الجيش بشكل تدريجي مع الجمال الموجودة، حتى لا يتسلل المرض إليه.

فصدر الأمر بتحرك الكتيبة الثانية من الفوج ٤٢ والكتيبة الأولى من الفوج ١٤ [هكذا]. فجاء رجال «ابن الرشيد» إلى مقرنا العسكري. وجهّزت موادُنا الغذائية في أكياس، تزن الواحدة منها ستين كيلو. وفي صباح يوم السادس والعشرين من نيسان عام ١٣٢٠ [١٣٢٢هـ] جيئت بالإبل فحُمّلت عليها أثقالنا، وفوق كل واحدة منها نفر من الجيش، وركب كل ضابط أيضاً على الواحدة منها فتحركنا.

ونظراً لكون الموسم موسمَ طغيان السيول فقد كان من الصعوبة بمكان اجتياز الجمال المحملة الخنادقَ. ومع العمل الجاد لفتح الطريق فلم نستطع قطع مسافة سوى ثلاث ساعات، حيث اجتزنا نهر (صقلاوية) بعد الغروب، واضطررنا إلى المكوث في تلك الليلة هناك. وتم في اليوم التالي قبل الظهر ركز الخيام في موقع يسمى (ميصم)، وتوفي فيه أربعة جمّال من الطاعون. وقد وصلنا في الساعة العاشرة من اليوم الثالث إلى مقر إقامة «ابن الرشيد» ويسمى (أبو خويمة)، فأنشأنا فيه معسكرنا.

ووصل بقية أفراد الجيش تباعاً عن طريق «عدوده» إلى المعسكر، وذلك في الأول من مايو. وكان عدد أفراد الجيش المتحشد في (أبو خويمة) ١٩٢٣ فرداً، مع أربعمائة صندوق عتاد عسكري من نوع

(مارتين)، وعتاد مدافع خمسمائة قدم، وتموين لمدة ستة أشهر، مع ١٧ حيواناً. وقد تم نقل تلك المواد بالإبل الموجودة من (سماوة) إلى (أبو خويمة) وهي مسافة ست عشرة ساعة، في ثماني مرات.

أطلق على هذه القوّة «قوة القصيم المتنقلة». وكان «ابن الرشيد» قد تعهد بالنقل والإعادة وتأمين المواصلات، وإرسال البريد إلى (نجف) و(سماوة) أسبوعياً. ومع أننا عرضنا إلى السيد القائد عجزَ «عبد العزيز الرشيد» وعدم مقدرته على توفير حاجياتنا المستقبلية، وهو الذي لم يستطع توفير ثلاثة آلاف إبل مع تعهده بأنه أمّن ستة آلاف إبل فعلاً. غير أن القائد بموجب الإرادة العالية الواردة إليه كان حريصاً على تحصيل رضى «ابن الرشيد»، ومن وراء ذلك الحصول على النياشين. ولما تبين لنا عدمُ رغبة القائد في توضيح الحقائق إلى المعنيين، تجلّى في أذهاننا رسم المصائب التي سوف نلقاها من جراء هذا الوضع، وبدأ في المعسكر تعاطي الأفكار حول إيجاد سبل النجاة.

وقد أقمنا في (أبو خويمة) خمسة عشر يوماً، انتظاراً لإحضار الإبل اللازمة. وفي هذه الأثناء كرر القائد الاتصال بالمشير، فورد أمر تحرك الكتيبة الثانية التابعة للفيلق ٤٢، والكتيبة الرابعة التابعة للفيلق ٤٤ مع أربعة مدافع جبال، فتحركنا في الحادي عشر من مايو برفقة «سلطان الحمود» باتجاه الصحراء، بعد أن اجتزنا المستنقعات التي تكونت من هطول الأمطار. (هذا الشخص هو ابن عم [عبد العزيز] ابن الرشيد الشيخ «حمود». ومع أنه كان يتظاهر أنه رجل يسمع ويفهم، غير أنه ما كان محباً للدولة. وبشكل خاص لم يكن مسروراً بمجيء الجيش).

سوق الجيش في الصحراء:

تم التوصل في المنزل الثاني إلى منخفضات (آبار سلمان) وهي بانخفاض سبعة عشر متراً. ومع وجود الآبار في هذا الموقع إلا أن الماء فيها مُرٌّ أجاج. وفي حالة الغليان تزداد المرارة. وعمق الآبار حوالي خمسة أو ستة أمتار.

ونظراً لكون الجمال التي حملت أمتعتنا وعتادنا كانت هي تلك التي عملت في النقل بين (أو خزيمة) و(سماوة)؛ فقد أنهكت من التعب، مما اضطررنا إلى المكوث في هذا الموقع مدة يومين.

وكان عشرة أفراد من جبل الشمر - وكان يطلق على الواحد منهم «خبرة»- مكلفين بالقيام في رعي الجمال لكل كتيبة، يرأسهم رئيس الخبرة.

وتم في الرابع عشر من مايو التحرك من آبار (سلمان)، ووصلنا إلى آبار (شيرم) في السادس عشر منه. وكان يوجد هنا أربعة آبار. عمق الواحدة منها تسعون متراً. ويطلق على الأراضي الممتدة من سواحل الفرات إلى هنا (الجفر). ووجه التسمية بسبب كونها بدء ظهور جي الصحراء اليابس.

وبناء على توصية «كاظم باشا» - أخ زوجة السلطان عبد الحميد، المقيم في بغداد، وصاحب نفوذ كبير فيها - لابن الرشيد، فقد جعل الأخير الجمال السليمة القوية لكتيبة «راشد أفندي»، وبطبيعة الحال أصابت كتيبتنا الجمال الهزيلة. وقد اقتنعت في وحشة هذه الصحراء والمعاملات التي رأيناها أن البحث عن المساواة والعدالة تعب لا طائلة وراءه.

وفي وقت الظهر من اليوم السابع عشر من مايو أثناء سحب الجيش

الماء من الآبار، جاء عريف من الكتيبة الرابعة إلى بئر الكتيبة الثانية. ولما شاهد الملازم «جميل أفندي» - الذي كان في حراسة البئر - حركاتِ هذا العريف السيئة أمره بالانصراف إلى كتيبته. فردَّ عليه العريف مُصراً على البقاء هناك. فأراد «جميل أفندي» جلبَه إليَّ، بغية تقديم شكوى ضده. ولما لم يطعه العريف قام أفراد الكتيبة الثانية بجَرِّه، فلما رأى ذلك رقيب من الكتيبة الرابعة نادى قائلاً بأعلى صوته: «يا أولادَ علي؛ تَقتُلُ الكتيبةُ الثانية عريفَنا». فخرج أفراد الكتيبة الرابعة عن الخباء مهاجمين على خيام الكتيبة الثانية، فتقدم أفراد الكتيبة الرابعة ساحبين خناجرهم. وقد وصل الخبر إلى الضباط. وبناء على ذلك خرجتُ من خيمتي، فوجدتُ أحدَ أفراد الجيش يَجري ليهاجم، مع وجود نقيب نظامي هناك. وقد أعاد ضباط الكتيبة الثانية أفرادها إلى خيامهم. وقمتُ أنا أيضاً بإعادة أفراد الكتيبة الرابعة إلى خيامهم، بعد إسداء النصح لهم. غير أنهم أخذوا أسلحتهم هذه المرة، فوصل في تلك اللحظة الرائد «راشد أفندي»، وتمكن من تهدئة الوضع قبل إطلاق النار.

ولقد جلب نظري في هذه الحادثة المؤلمة حالتين مأساويتين جديرتين بالذكر، لا يمكنني اجتيازهما دون وصفهما؛ الأولى: هو ترأس النقيب النظامي للعساكر وهجومهم على أفراد الكتيبة الثانية، كأنهم أعداء. الثانية: كلام الرقيب الذي تسبب في الحادثة «الحقوا يا أولاد علي». وبناءً على أمر «راشد أفندي»، قام ملازم بضرب الرقيب المذكور. غير أنه تظاهر أنه يصدعه كفاً، وفي الحقيقة لم يكن يضربه. حيث كان يرفع يده ويُنزلها بشدة مع إظهار نوع من القساوة عليه، وقبل وصول اليد إلى وجه الرقيب كان الملازم يرخيها، كأنه يمسح على وجهه. وقد

تعب الملازم بتظاهره المزوَّر هذا أكثر من الرقيب. فبيَّنتُ حركاتِ هذا الضابط [الملازم] المزوَّرة لـ«راشد أفندي»، إلا أنه لم يكن يرى، مثل ما جاء في المثل «ليس الخبر كالعيان»، وبذلك لم يتم التأديب اللازم على الرقيب.

تمت في ١٨ من مايو مغادرة آبار (شيرم). وقد مررنا بعد ثلاث ساعات في اتجاه الغرب من استقامتنا من بئر، كان يطلق عليه (آيدوها). كان عمقه مائة وعشرين متراً، كما قيل. غير أننا لم نستطع الاستفادة منه.

وفي صباح اليوم الواحد والعشرين تم ركز الخيام في موقع كان يسمى (اليهفوف). وكان يوجد به حوض طبيعي بعمق مترين ونصف وطول ثلاثين متراً وعرض ثمانية أمتار. وكان توجد بالقرب منه مغارة عمقها عشرة أمتار وطولها مائة وخمسين متراً، وبجانبها حفرة عميقة مثل البئر. ونظراً لعدم وجود أدلة على أن هذه الحفرة من صنع الإنسان، تأكدنا أنها طبيعية. وكان الحفرة مليئة بالماء.

كان توجد في جوار (اليهفوف) تلال صغيرة، وتظهر فيما بينها أعشاب خضراء. ونظراً لعدم التقائنا حتى هذا الموقع للتحولات الأرضية، فإن تلك المناظر الطبيعية في (اليهفوف) كانت بمثابة مناظر خلابة بالنسبة إلينا، اعتبرناها نزهة رائعة.. ولما أقمنا معسكرنا في مسافة خمس ساعات من (اليهفوف) في موقع صحراوي وركزنا الخيام وجدنا أن المياه الموجودة في القراب غير كافية لاستهلاك الجيش. فأرسلنا عدداً من أفراد الجيش والإبل الساقية والقراب الفارغة، تحت قيادة ضابط من كل كتيبة، إلى (اليهفوف). وحتى لا يزداد عطش

الجيش بسبب التحميل في منحناهم اليوم الثاني للاستراحة. وتحركنا في اليوم الذي بعده.

وفي اليوم الثالث والعشرين بعدما سرنا مسافة ثلاث ساعات، وصلنا إلى ملتقى طريق القوافل من (نجف) إلى (حائل). وهناك وجدنا صخرة منصوبة بطول متر ونصف، موضعة على كوم من الأحجار. وقد خبَّرنا أهالي (الجبل) أن تلك الصخرة وضعت علامة على طريق الحج أثناء إنشائها من قبل «الست زبيدة» رحمة الله عليها.

وفي اليوم الرابع والعشرين تم الوصول إلى آبار (لينة)، وركزنا هناك الخيام. وكان يوجد بها أكثر من مائتي بئر. وعمقها بين خمسة عشر وثمانية عشرة متراً. وكانت تلك الآبار في وادٍ. وعلى مسافة نصف ساعة من الوادي باتجاه الغرب تبدأ رملية جبال (دهنة).

وقد حصر بعض المفسرين قوله تعالى في الآية الكريمة: ﴿ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة [illegible]

أرضية هذا المكان قطعة من الصخرة فإن إمكانية الزراعة غير واردة، كما أن البناء فيه ليس ممكناً. ويأتي وجه التسمية من كون الأراضي [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] (اليهفوف) كان قد اعتُبِرَ [illegible] منتظرة. وقد حكوا أن المياه في (اليهفوف) في مثل هذا الموسم [illegible] وأن آبار (شيرم) تَجِفُّ بعد شهر حزيران. وفي هذه الحالة فإن [illegible]

كانوا مضطرين لادخار وحمل المياه معهم، بحيث تكفيهم لاجتياز مسافة ٢٥٠ كيلو متراً، من آبار (شيرم) إلى (لينة)، وهذا يعني أنهم كانوا يقطعون الصحاري الواقعة في تلك المسافة والخالية من المياه في أربعة أيام بنهارها ولياليها.

وبوصولنا إلى (لينة) بدأنا نفكر في تموينانتا التي أشعرتنا بنقصانها، وبدأتْ منذ ذلك الوقت السفالة تحكم فينا. والحقيقة أننا لم نستكمل حاجيات الكتيبة كما ينبغي أثناء خروجنا من (العراق). فقد سيق بعض أفراد الجيش بملابس الشتاء وبعض آخر بملابس الصيف، ولم يعطوا لا لبس الاحتياط ولا الملابس الداخلية. وكانت الأدوية الطبية والضمادات قليلة. ونظراً لكون أكياس الذخيرة من القنّب وكانت رقيقة للغاية، فلم تتحمل حرارة الشمس، حيث بدأت تتشقق، وبخاصة لمّا كان العساكر يركبون على الإبل وينزلون منها، ويحرِّكون أرجلهم أثناء السير، فكان كل ذلك يؤثر في تلك الأكياس. بل حتى تلك الذخيرة الموضوعة في كيسين بدأت تتلف في الطرق، ولم نستطع المحافظة عليها. وكان من الواجب نقل الذخيرة في مثل هذه الصحراء في أكياس سميكة مصنوعة من الوبر.

وللقيام بملىء القراب بالماء اتخذنا قمعاً من الساج، غير أنها تمزّقت بعد فترة. وكان الأولى استخدام قمع من النحاس. كما كان من الواجب وجود دلال ماء كبيرة معنا، وقراب احتياطية مغطاة بكيس من الوبر، أو على الأقل من الصوف. ونظراً لكون مَطَرَات أخذناها يوم تحركنا فإننا لم نستطع تبليلها بوقت كافٍ لإزالة مرارتها، ولذلك لم نستخدمها في الطريق. وللقضاء على مرارة المطرات التي تجعل الماء مُرّاً يتم عادة وضع عصير التمر فيها بعد غليها، حيث يؤدي ذلك إلى إغلاق المسامات، وفي الوقت نفسه تقضي على المرارة فيها.

وفي هذه الصحاري لا يمكن حمل السمن في التَنَكات [الأوعية النحاسية]. ومهما كانت ملتحمة بإتقان فلا يوقّف سيلان السمن.. وقد سال السمن الذي معنا في الطريق، ثم شراء القراب الخاصة بالسمن، والتي يطلق عليها «نحو». وينبغي ألا يُنسى تغليف «النحو» بالصوف من الخارج، والمحافظة عليها من التمزق أو التشقق أثناء التحميل.

ويجب تعليق القراب بالطاولة أو وضعها عليها.. وكان يوجد في كل كتيبة مائتا قربة. ونظراً لوجود تبخر زائد في الأجواء الحارة واليابسة، فكان في المواقع التي تنعدم فيها المياه يقدّم للجيش نوع من الرز المائع [المرق]، حيث كان يقتصر الماء الموجود على الشرب فقط. ومع ذلك فقد تبيّن أن حاجة الفرد الواحد خلال أربع وعشرين ساعة لا تقل عن نصف قربة. (والحقيقة أن نقل الماء والسمن في برامل خشبية مُتقنة أحسن من الوضع الحالي. لأن الخشب تتمدد بالحرارة فتحافظ على السائل بشكل حسن. كما يمنع الماء من التبخر. وبوجه خاص إذا تم تغليف البراميل بالصوف فإنها تحافظ على الماء أكثر). وينبغي في

الرحلات الصحراوية وجود الفواكه والخضروات المجففة والعربّى. كما يجب ألا تنقصها العلكة. فإن مضغ العلكة في الطريق يقلل من العطش؛ كما أنه ينظف اللثة، ويمنع مرض «سكوربيت» الذي يظهر بسبب عدم تناول الخضروات.، وفي الوقت نفسه يسهل الهضم، وينظف الأسنان، وله منافع أخرى.

ونظراً لوصول إبل «ابن الرشيد» العاملة في نقل الحجاج إلى (أبو خزيمة) بعد خمسة أيام من تحرك الكتيبتين؛ فقد تحركت القوات المتبقية برفقة «ابن الرشيد». وقد أخبرنا المراسل القادم منها أنها سوف تصل إلى (لينة) في السابع والعشرين من مايو. تخرج الجيش إلى محل الوقوف للترحيب بالقادمين. فجاء «ابن الرشيد» قبل مجيء الجيش وجلس في خيمة السلطان. ومع أنه أمر بانتشار الجيش وعودتهم إلى خيامهم، إلا أنه لم ينفذ أمره. وقد ناداني لتنفيذ الإرادات، مكرراً أمره قائلاً: لا حاجة إلى ترحيب القائد، أعيدوا الجيش إلى أماكنهم. فرديت عليه: من الآداب العسكرية عندنا ترحيب القوة العسكرية القادمة، وهذا ليس خاصاً بالقائد وحده.. ثم خرجت من الخيمة. وبناءً على ذلك طلب الرائد «راشد أفندي» وأمرته بتوزيع الجيش، فأرسل «راشد أفندي» إلى موقع كتيبته يخبر بالأمر. فقمتُ بمنعه من تنفيذ الأمر. وقد انتظر أفراد الكتيبتين يرحّبون بأقرانهم إلى آخر جندي من القادمين، وبذلك أدّوا وظيفة وطنية.

وأثناء عودتي إلى خيمتي وقد كنت أفكر في إجراءات «ابن الرشيد»، نفخ ملازم الجبخانه بُوقَ المشيرية. ولما كنت رائد النوبة في تلك الفترة، فقد ذهبت إلى قائد المعسكر «المشير» الباشا، بغية فهم طلبه.

(قائلاً له: نَفخ ملازم الجبخانه بوقَ المشيرية، طالباً بالمجيء، مَن المطلوب؟) فقال لي القائد بك دون مبالاة: «بناءً على رغبة ابن الرشيد، تم إعطاؤه بواقاً، وأمِرَ أن ينفخ في البوق رمز المشيرية».

فقلت له محيراً: «يا سيد، إن هذا الأمر الذي لم تبال به جدُّ مهم. فنحن مقبلون على الحرب. وفي أثنائها إذا تم إطلاق إشارة التقدم إلى الأمام من قبل المشير، وفي الوقت نفسه إشارة العودة إلى الخلف من قبل العقيد؛ فإن الجيش سوف يتحير، يطيع أيّ واحد منهما؟. فإذا تقدَّم قسم وتأخر آخر فكيف تجعلونهم ينفذون أمركم وهم في حالة الفوضى أمام رصاص العدو؟». فخرجت من خيمة القائد، ودخلت خيمة الزملاء الضباط. وبعد السؤال المعتاد عن الصحة والوضع، التفتُّ إليهم قائلاً: «أيها الإخوة، لعلكم تلاحظون مخاطر ما ينجم من وجود قائدين في معسكر واحد. فقد أعطي «ابن الرشيد» بوق المشيرية. يجب علينا أن نفكر في سبل الخلاص من هذه المصيبة قبل البدء بالدخول في الحرب». وقد تعاطينا الأفكار في هذا الصدد ثم رجعت إلى خيمتي.. والظاهر أن «ابن الرشيد» نُبِّهَ إلى هذا الأمر، لأننا لم نسمع ببوق المشيرية الخاص بالمخاطر في المعسكر مرة أخرى.

ومع أنه تم عرض موضوع وضع الذخيرة التي يحملها اثنان من الابل على واحد، بحيث يركب نفرين من الجيش على واحد مترادفين، وذلك حتى لا تتشقق الأكياس وتتلف الذخيرة، وفي الوقت نفسه يمكن التحكم في الابل أكثر، إلا أن «ابن الرشيد» رفض الفكرة.

وفي التاسع والعشرين من مايو تحركت قوات الجيش أجمع، فخيَّمنا في المنزل الثاني في موقع توجد بها ستة آبار يسمى (بديع). مياهها

عذبة، وعمقها ١٥ و٢١ و٢٠ متراً. وقد أسست عند هذه الآبار في وقت مضى قرية باسم (ثعلبية). وقد خربت نظراً لتسلط البدو عليها. ومازالت اليوم أسس السور وأسس المباني موجودة.

وكنا نصادف في الطرق الأحواض الكبيرة الخربة التي أنشأتها الست «زبيدة» رحمة الله عليها. وكان يوجد في هذا الموقع أيضاً حوض رائع.

وفي غرة حزيران تم التحرك من (الثعلبية). فوصلنا في المنزل الثاني إلى موقع بالقرب من آبار (الشعبية)، وخيَّمنا فيه. وكانت (الشعبية) مليئة بالآبار. وعمقها ما بين ٨ و ١٠ أمتار.

ثم في الخامس من حزيران تحركنا من هذا الموقع أيضاً، فوصلنا في الساعة الواحدة إلى المنزل الثاني في موقع يسمى (ثمايل)(1) ومع أنه يوجد في هذا الموقع بئرين، إلا أن مياههما مرة.

وقد غادرنا هذه (الثمائل) أيضاً في السابع من حزيران، فوصلنا في المنزل الثاني إلى قرية (قصيبة) وهي من قرى (القصيم) الواقعة في شمالها الغربي، فخيَّمنا معسكرنا فيها.

ونظراً لكوننا في وحشة هذه الصحاري منذ ثلاثة وأربعين يوماً،

---

١) الثميلة: هو الموقع الذي إذا حُفر قليلاً يصادف ماء غزير، لا ينقطع في وقت وجيز. وهي تجمع على ثمايل.
غدير: إذا تم حفرها يصادف الماء لكن يكفي للشرب فقط. وتجمع على غدران.
حفرة: المواقع التي تحفظ مياه الأمطار لوقت يسير.
حب: حوض طبيعي من الصخرة، يحفظ مياه الأمطار.
ينبغي على الإنسان في هذه الصحراء ألا يأمن غير الآبار، لأن تلك الأحواض تجف بالكامل في المواسم الحالية من الأمطار. بل إن بعض الآبار أيضاً تجف في المواسم القاحلة.

وعدم تصادفنا لمكان معمور بالناس؛ فإننا اعتبرنا قرية (قصيبة) الواقعة في أقصى الشمال من (القصيم) موقعاً للسعادة ومحلاً للأنس من الوحشة. حيث بشر بعضنا بعضاً لمَّا رأينا أشجار النخيل والعمران من بعيد. وقد كان أكل العساكر حتى هذا الموقع يطبخ بفضلات الابل، أما هنا فقد بدأ الطبخ بالحطب. وتنفس الطباخون بذلك الصعداء.

كانت قرية (القصيبة) واقعة في مكان تنخفض عن سطح الأرض خمسة عشر متراً، وطولها أربعة كيلومترات، وأوسع محل فيها كان واقعاً في الجنوب الشرقي من الحفرة التي تمتد كيلو متراً واحداً. وقد كانت المياه المتراكمة في هذه الحفرة في موسم الأمطار تكوِّن من الحفرة مستنقعاً متعفناً، يجعل الجو وخيماً.. وكانت وجوه الأهالي في هذه القرية صفراء، أما العبيد والجواري السود فهم على أتم صحة وأقوياء البنية. وكان بعض أهالي هذه القرية التي توقعنا عدد سكانها حوالي مائتي منزل فارين من الجيش.

كان أبناء منطقة (القصيبة) [illegible] أنهم ميالون إليه. وكان عدد منازل قرية (المشقوق) الواقعة في شمال غرب (القصيبة) اثني عشر منزلاً.

وعمق الآبار الموجودة في هذه الحُفر لا يتجاوز خمسة أمتار. وفي أثناء هطول الأمطار تفيض الآبار إلى الحفرة، فتمتلىء بالمياه وتنقلب إلى بحيرة.

وقد بدأ انتشار الوباء في (القصيبة) حتى بين العساكر. وكان نقيب الكتيبة الرابعة في الفيلق الواحد والأربعين «علي أفندي» أول من توفي من الإصابة بالمرض الوبائي.

قضينا في هذه الحفرة الوخيمة ثمانية أيام، انتظاراً لوصول ابن عم الأمير «ماجد» مع القوات القادمة من (حائل). وكان المرض يزداد يوماً بعد يوم عاملاً إصابات شديدة في صفوف الجيش.. تم عرض فكرة الاهتمام بذخيرتنا الموجودة في (نجف) على «ابن الرشيد». فقال: «يمكنني الإتيان بذخيرتكم عن طريق المدينة المنورة، وتوفيرها من هذه المنطقة غير ممكنة». فانزعجتُ من هذا الكلام ورددتُ عليه بحدة قائلاً: «لمَّا كنا في (أبو خزيمة) أكدتَ لنا مراراً بألا نفكر في القمح، ولو ارتفع سعر الحبة الواحدة إلى ليرة فإنك سوف توفرها، كما تعهدتَ. وقد قلتَ أنك سوف تقدم لنا عصير الليمون بدلاً من الماء في الطريق. وأنك كما تعهدت سوف توفر لنا توصيل رسائلنا إلى منازلنا في (نجف) و(سماوة) و(بغداد) أسبوعياً، ثم إيصال الرد في الأسبوع التالي.. كيف نسيتَ مواعيدك تلك في وقت وجيز».. فقد علمتُ منذ ذلك الوقت أنه ليس رجلاً موثوقاً.

وبناءً على ذلك اضطررنا إلى مراجعة محافظة (المدينة المنورة) لجلب المواد الغذائية.

ونظراً لانحصار «عبد الرحمن بن ظبعان» والحراس الذين معه في مدينة (بريدة)، واستسلامهم لـ«آل سعود»، قام «عبد العزيز السعود» بتسليمهم لشيخ من قبيلة عجمان هو «عبد الرحمن الأعرج»، حيث أرسلهم إلى «عبد العزيز الرشيد». وقد وصل هؤلاء الأسرى إلى (القصيبة) في اليوم الثالث من وصولنا إليها. وهناك قام «عبد العزيز الرشيد» بإراءة المدافع والعساكر لـ«عبد الرحمن الأعرج» مفتخراً ومهدداً.

وكان القائد أيضاً يريد الاستفادة من وجود أحد أتباع «آل سعود»

في المعسكر، فحاول إرسال نصيحة لـ«صالح المهنا». غير أنه حتى تسليم ورقة تبغ بسيطة دون علم «عبد العزيز الرشيد» لم يكن بالإمكان. فلمّا تحقق القائد من ذلك اقترح على الملأ قائلاً: «كلنا إخوة في الدين. ونظراً لعدم جواز القتال بيننا دون إرسال نصيحة حول وجوب تقديم الطاعة لخليفة المسلمين؛ فإنني [أرى أن] نرسل إليهم خطاباً مع «عبد الرحمن الأعرج»».. وقد رفض «عبد العزيز الرشيد» الاقتراح قائلاً: «إن إسداء النصح لهم سوف يجعلهم مغترّين ومعجبين بأنفسهم، فلا حاجة لها». ومع ذلك فقد كُتب خطاب تهديدي، علّه يوافق عليه، فأرينه، فلم يستطع رفضه، لكنه سفّر «عبد الرحمن الأعرج» ليلاً، حتى لا يأخذ معه الخطاب المذكور، وبذلك لم يرسل ذلك الخطاب.

وفي الثالث عشر من حزيران قدم «ماجد العبيد» مع ستمائة وثمانين شخصاً بهجينهم. وبدأ بدو الشمر أيضاً في القدوم بعد مجيء «ماجد».

وقد نقلنا في الخامس عشر من حزيران معسكرنا إلى (خناسة)، وهي واقعة على تلة تبعد عن (القصيبة) مسافة ساعتين باتجاه شمالها الشرقي.

وتحركنا في التاسع عشر من حزيران، ووصلنا بعد خمس ساعات إلى موقع صحراوي خالٍ من الماء، كان يسمى (الرجل). وفي هذا المكان توفي النقيب «يحيى أفندي» من الوباء.

قدّم أهالي قرية العيون طاعتهم للدولة.[1] وغادرنا الموقع المذكور في العشرين من حزيران، وقد وضعنا معسكرنا بعد ثلاث ساعات من تحركنا، على التلة الرملية الواقعة في الجنوب من قرية (الوثال). وكان أهالي هذه القرية قد ولوا مُدبرين بالكامل. وكانت القرية تتكون من خمس وعشرين منزلاً واثنتي عشرة مزرعة نخيل.. وقد التحق بنا عدد آخر من بدو الشمر لمّا كنا في (الوثال). وازداد في الوقت نفسه المرض الوبائي.

كان البدو القادمين إلينا يأتون بأفراد عائلتهم. ولمّا أراد القائد أن يوضح لـ«عبد العزيز الرشيد» عدم إمكانية الإقبال إلى الحرب بالأولاد والنساء، ردّ عليه قائلاً «إن البدو إذا ما أتوا بأفراد أسرتهم يتعرضون لضيق ويهربون. وإذا ما بدأت المعركة سوف نضعهم [أي أفراد الأسر] في موقع بعيد».

ونظراً لكون «ابن الرشيد» لا يتنازل عن استشارة القائد العام، فقد كنا مثل القطيع الذي يتبع الراعي، قطعنا كل تلك المسافات وراء الجبليين إلى أن وصلنا إلى هذا المكان، دون أن نعلم عن الأوضاع شيئاً. ففي اليوم الثاني من وصولنا إلى (الوثال)، جمع «ابن الرشيد» رؤساء القبائل، وعقد مجلساً عاماً. وقد تأكدتُ من عدم علم القائد العام بالمذاكرات التي جرت والقرارات التي اتخذت فيما بينهم، فاضطررتُ إلى التجول بين خيام الرؤساء بغية فهم القرارات المتخذة. فعلمتُ أن القرار يقضي بـ«عدم الهجوم على مدينة (بريدة) التي هي محل اجتماع السعوديين والقصيميين، بل يكون الهجوم على القرى المجاورة ويتم

(1) هذه الجملة كأنها مقطوعة الصلة بما قبلها وما بعدها. وقد ترجمتُ كما هي. [المترجم]

نهبها». ولمّا تبين لي ذلك اتجهتُ لخيمة القائد وعرضت عليه الأمر. فنادى قواد الكتائب الآخرين وقائد المدفعية. فتقرر بعد المذاكرات التي جرت في هذا الصدد التوجه إلى (بريدة) مباشرة. وللقيام بتبليغ قرارنا هذا إلى «ابن الرشيد» ذهبنا بشكل جماعي إلى خيمته. وبعد الجلوس ومبادلة التحية اتجهت أنظار الهيئة إليّ، فقمت أبلِّغ نتيجة القرار على النحو التالي:

«مراكز العصيان والفتن هي المدن الكبيرة. وإخمادها يستلزم قطع الجذور في المنبع. فإن كانت الشظايا منثورة في المناطق المجاورة يمكن إخمادها بعد تعب. لكن هؤلاء القرويين سوف يلتجئون إلى أسيادهم في المدن، ولا تحصل نتيجة سوى إسهامهم في ازدياد القوة، وسوف نضطر إلى الهجوم على (بريدة) في نهاية الأمر. فإذا ما قمنا الآن بالهجوم على (بريدة) وعملنا تضييقاً وحصاراً عليها، سوف يضطر الأهالي للانتشار إلى القرى المجاورة، بغية النجاة بأرواحهم، وبذلك تتنقص القوة الموجودة في الداخل. وآنذاك يتم التعامل بالأهالي في القرى تعاملاً حسناً، ونمنحهم الحصانات اللازمة على أرواحهم وأموالهم، فيقومون بعرض طاعتهم للدولة». ثم توقفت عن الكلام.

فقال القائد: «إذا ما قُطع جسد شجرة، فإن الأغصان سوف تتكسر تلقائياً. والعكس صحيح؛ أن الشجرة التي قطعت أغصانها فإن جسدها تقوى أكثر. والعصيانات أيضاً من هذا القبيل؛ فالمناسب الهجوم على (بريدة) بدلاً من تضييع الوقت في القرى المجاورة».

وقام الرائد «راشد أفندي» مُبيِّناً رأيه: «لا نتدخل في رأي وتدابير سمو الأمير. فإننا لا نعلم الأوضاع المحلية في المنطقة. وقد نتسبب في

إساءة الأوضاع مستقبلاً».

وقد ابتدأ «ابن الرشيد» بكلامه قائلاً كما جاء في المثل: «صاحب الدار أدرى بمحله»، وأنهى كلامه مصراً على موقفه. ونظراً لعدم ردّ الزملاء عليه فقد رجعنا إلى خيامنا بخُفَّي حُنَين، ولم نستفد من اجتماعنا شيئاً.

وبناءً على تجسيم وخامة الأمر في أذهاننا، فقد كتبتُ معروضاً على النحو الآتي، بغية إرساله إلى مشير الفيلق مع ساعي البريد الذي كان سيسافر في اليوم نفسه: «هذه القوة في خطر جسيم. فإن كان من الممكن أخذ تدابير لمستقبل سليم فالمرجو الشروع في الأمر. ومع اضطرار ثلث الجيش قطع الطريق من (لبنة) إلى هذا المكان على الأرجل، وبناءً على هلاك الإبل؛ فإن المسافة بين منزل وآخر تُقطع على مرحلتين. والآن يراد الهجوم على القرى المجاورة، وذلك سيؤدي إلى تعب شديد. وتم الرجوع إلى محافظية (المدينة المنورة) بنية إرسال الذخيرة. حيث أفاد سمو الأمير بشكل قطعي عدم جدوى جلب الذخيرة من جهة (العراق)، وأن إمكانية إيجاده من (نجد) مستحيل». وقد اضطررت لوضع هذا المعروض ضمن أوراق الكتيبة الرسمية ومن ثم إرساله..

وتم التحرك في الثالث والعشرين من حزيران من (الوثال)، ووصلنا بعد ساعتين ونصف إلى قصيرٍ ما يطلق عليه (غضي) وركزنا بين تلك القصور خيامنا. (يضطر أصحاب المزارع في الأماكن القابلة للزرع في جوار القرى الواقعة داخل (نجد)، إلى حفر بئر لسقي مزروعاته، وللحفاظ عليه يقوم بتسويره وبناء غُرَف لإقامته وحفظ أدواته فيها.

ويطلق على مثل هذه المنازل «قصور».

تمت مغادرة (الوثال) في السادس والعشرين من حزيران، ووصلنا بعد ثلاث ساعات ونصف إلى قصور (دبابيات)، حيث خيَّمنا معسكرنا بين القصور. وقد تخلصنا بحمده تعالى في هذا الموقع من الوباء. وكانت خسارتنا منه ثلاثة ضباط وثمانية وثلاثين نفراً من الجيش. وقد كنت في (الوثال) مصاباً بالوباء. وفي هذا المكان شُفيتُ منه.

ونظراً لحاجتنا إلى مبلغ من المال لشراء الأغنام والسمن، فقد روجِعَ «عبد العزيز [الرشيد]»، فدفع خمسةَ آلاف قرش بمائة ويْلة.. ومع محاولتنا لإرسال النصيحة المُعَدَّة في (القصيبة) ولم تُرسل آنذاك؛ إلا أننا لم نُوفق. فأردنا إرسال أحد أئمة الكتيبة، لكن «ابن الرشيد» منعنا من هذا أيضاً.

وفي الثامن والعشرين من حزيران تم اكتشاف الأماكن المجاورة

[illegible]

منها. وقد تقرر الهجوم عليها، إلا أن «ابن الرشيد» لما لم يجد تحركاً في صفوف الجيش في اليوم التاسع والعشرين من الشهر المذكور؛ ذكر أنه من المناسب الهجوم على (الشقة). ومع أنني قلت له: «هذا التردد مخالف للآية الكريمة: ﴿فإذا عزمتَ فتوكَّل على الله﴾. وينبغي اتخاذ القرار بعد تفكير عميق، ثم عدم تغيير النية والعزم نهائياً»، إلا أن قولي هذا لم يلقَ قبولاً.

وفي أثناء تذبذب حالنا وترددها رأينا في صباح يوم الخميس غرة تموز، أن «آل سعود» والقصيميين يَركِزون خيامهم على التلال الرملية بالقرب من (البكرية). فلمّا رأى ذلك «ابن الرشيد» بأم عَينيه، وتبيّن له

عدم جدوى الانفصال قبل تجربة الحظ؛ قام باتخاذ التدابير اللازمة للهجوم. وكان يرى عدم فرز قوة للقيام بحماية المعسكر. ومع ذلك فقد تم ترك خمسة وعشرين نفراً من الحراس والطباخين والضعفاء تحت قيادة ضابط من كل كتيبة، وتُركوا جميعاً تحت قيادة القائد العام.

تم إعداد القوات الباقية. ودق جرسُ (إلى الأسلحة) في الساعة الثامنة. وتم تنظيم الجيش على النحو التالي: نظمت الكتائب في محل الاجتماع على شقين؛ فكانت الكتيبة الثانية من الفوج ٤٢ في الجناح الأيمن، والكتيبة الأولى من الفوج ٤٤ في المركز، والكتيبة الرابعة من الفوج ٤٤ في الجناح الأيسر، والكتيبة الرابعة من الفوج ٢١ [هكذا] احتياط في الخط الثاني. وكان المدفعيون بين الخط الأول والثاني. وكان أفراد الخيالة في الجناح الأيسر. كما كان أهالي منطقة (المفيضة) و(الجبل) وبدو العَبْدة في الجناح الأيمن، وأهالي (لبدة) وبدو «السليم» أخذوا موضعهم في الجناح الأيسر. واتخذ نظام الاجتماع.. وقد كان قسم من فرسان أهالي (الجبل) والبدو في الأجنحة، وقسم منهم في الخطة الثالثة.

كان أهالي قرية (الحائل) ينقسمون إلى قسمين: يطلق على قسم منهم «مفيضة»، وعلى القسم الآخر منهم «لبدة». كان عدد قواتنا المحاربة اليوم ١٨٠٠ نفر. وكان عدد قوات «آل رشيد» العام بالحضر والبدو ١٨٠٠ فارساً، وثلاثة آلاف بهجنهم، وكان المجموع العام حوالي ستة آلاف وستمائة. وكان عدد قوات خصمنا يُتوقع أكثر من ضِعْفَي عددنا.

وفي أثناء التحرك حسب نظام السير، تدخل «ابن الرشيد» في الأمر فحصل نوع من الفصل بين القوات الأمامية والخلفية. ومع الاقتراح عليه

بعدم خلط أتباعه بأفراد الجيش، إلا أنه لم يقبل بذلك، فكنا نتقدم بشيء من الفوضى.

لمّا وصلنا إلى تلال [نقطة] م، انتظم خصومُنا في صف واحد على تلال [نقطة] ل. ولمّا كان «ابن الرشيد» يحاول تنظيم كتائب «راشد أفندي» و«محمود أفندي» في صف واحد؛ إلا أن أفرادهما اضطروا لأن ينتظموا في صفين، استعداداً للحرب. ونظراً لعدم السماح لـ«ابن الرشيد» بالتدخل في شؤون الكتيبة الثانية من الفوج ٤٢؛ فقد انفتحت الكتيبة في ثلاثة خطوط، وبقيت فرقتان من فرقها في الاحتياط.

تمت تعبية المدافع على تلة م وأطلقت عدة طلقات من الخط ٣٥٠٠. ونظراً لأننا وجدنا أن موقع ق مناسب للمدافع، فقد نُقلت كتيبة المدفعية إلى موقع ق، وبدأنا نرى التخريبات التي عملتْها المدافع التي أطلقناها من الخط ٣٠٠٠. وفي تلك الأثناء رأيتُ انفصالَ مفرزة لخصومنا من الجناح الأيمن إلى اليمين، قاموا بالتحرك خلف تلة ح الرملية، فلفتُّ نظرَ القائد إليهم قائلاً: «إن هذه القوة سوف تهاجم على جناحنا الأيسر، أو أنها سوف تلف عليهم». فجاء «ابن الرشيد» إلى القائد العام: «النجاة! إن جناحنا الأيمن انتهى». فكلفنيَ القائد مع كتيبتي طردَ هذه القوة المهاجمة والتنكيل بها.

وبناءً على تلك الحركة، أُعِدَّت مفرزة للهجوم على جناحنا الأيمن. واستنتجنا أن هذه المفرزة دارت من خلف مزرعة النخيل فهاجمت على جناحنا الأيمن وأهلكت الأهالي.

وقد قامت الكتيبة الثانية من الفوج ٤٢ بطرد وتنكيل [مفرزة] العدو التي هزم جناحنا الأيمن، وعقّبت أثرها إلى مزرعة النخيل. وفي أثناء

تراشقنا النيران مع العدو وهم محتمين خلف سور المزرعة؛ جاء إليَّ «ابن الرشيد» ونبَّهني على الانتظار في برج ع بعد الاستيلاء عليه. وفي أثناء انشغالي بتدبئة إحدى المفارز في البرج وترصُّد المنطقة؛ وجدتُ الجبليين وبدو الشمر في حالة من الهلاك وهم يرجعون قهقرى. فاتجهتُ مع مفرزتين إلى قمة تلة رملية. وسمعتُ البدو يصرخون «انكسرنا»، وهم يسوقون هجانهم بحدة سيوفهم بغية الإسراع، فارين من العدو، والدماء تسيل من الهجان. وكان أفراد الجيش الهلكى من التعب والنصب يسيرون بين أرجل الهجان سيراً بطيئاً.

ولمَّا رأيت هذا المنظر الأليم، قمتُ بعمل محاولة لتأسيس اتصالنا بالمفرزة الموجودة في قصر ع وكتيبةَ الاحتياط؛ فنقلتُ المفرزة الأولى التي كنتُ تركتُها في قصر O إلى ذروة [تلة] ك ومنحتُهم فرصة للراحة، وأرسلت نفراً إلى ذروة [تلة] د لإطلاق النار على المهاجمين وفي تلك الأثناء كنتُ ألمُّ شملَ العسكر المفرَّق. فلما رأى المهاجمون تعرُّضهم لنيران المفرزة الشديدة، بدأوا بالرجعة. وفي تلك الأثناء غربت الشمس وتوقف تراشق النيران.

أمرتُ نقيباً بإرسال مناقم لتفتيش قواتنا الاحتياطية الموجودة على تلة ق. فقال النقيب: «ما بقي أحد من أفراد الجيش على تلة ق التي كانوا عليها. المدافع والقوات بعامة هاجمت الأمام». ولغهم النتيجة المؤلمة حرَّكنا الكتيبة إلى المعسكر. ولما وَصَلَ إلى قصر ب مُنح الجيش فرصة للراحة وإرواء الظمأ. فجاني «ابن الرشيد» في هذه الأثناء وقال: «دخيلك حسِّني بقيت المدافع، فلنأتي بها».

ولمَّا سمعت ببقاء المدافع من الأمير، تيقَّنتُ من انهزامنا، فقلت له

بحدة ناتجة من هذا الخبر المؤلم: «لماذا لا تأتي بها مع حشراتك التي معك؟ أنتَ الذي كنتَ تفتخر بقوَّتك ولم ترضى بجلب الفوج الموجود في (المدينة المنورة)، فقد أهلكتَ أمةَ محمد [ﷺ]». فرد عليَّ: «ياحسني، الوقت الآن ليس وقتَ توجيه العتاب. أنا أيضاً آتي مع هؤلاء البدو». قمتُ بجمع الكتيبة دون المبالاة بإروائهم، فعقَّبنا أثر «ابن الرشيد» الذي استطاع جمع حوالي أربعين أو خمسين بدواً بهجينهم. وفي ظلام الليل الدامس دوَّنا بين التلال الرملية، منفخنا بوقَ المدفعية فوصلنا إلى تلة ل. ولما وصلنا إلى هذا الموقع سألتُ أحد العبيد الموجودين معي عن «ابن الرشيد». أخبروني أنه ترك أربعةً من عبيده عندي وعاد منذ ساعتين. فعلمتُ أن التعب الذي لقيناه كان تعباً لا طائلة وراءه، وأننا وقعنا في الخطر للمرة الثانية، فاسترحنا قليلاً وراقبنا الأطراف، فرجعنا بدلالة العبيد. ووصلنا إلى المعسكر بعد الساعة الخامسة والنصف مساءً.

ولمَّا وصلتُ إلى خيمتي بدأت أستفسر من الضابط المناوب في المعسكر عن أوضاع الجيش. فعلمتُ منه أن خيالة «ابن سعود» البدو هاجموا المعسكر، إلا أنهم لم يصمدوا أمام نيران البنادق المفرقة، واضطروا للرجوع. وأن القائد العام، والرائد «راشد أفندي»، و«رمضان آغا» قُتلوا في المعركة، وأن المدافع تركت في القرب من (البكيرية). وفي أثناء هذه المحاورة جاء إلى خيمتي بعض الضباط. فقلتُ لهم: «أيها الزملاء، لا فائدة من التأثر بما مضى. فلنفكر في مستقبلنا الآتي. فلنسترح الآن. وليقُم الضباط وأفراد الجيش الباقين في المعسكر بالتجول. وغداً إن شاء الله نتوسل بالتدابير اللازمة». وبذلك وزَّعتُهم.

وفي الصباح جلبتُ الضباط المناوبين. وقلتُ لهم: «نظراً لعدم وجود ضابط بفرمان [سلطاني] في المعسكر غيري؛ فإنني مُجبرٌ على القيام بقيادة هذه القوات. ولهذا فمنذ الآن عليكم الاعتراف بي قائداً. ولتأتوا الآن بإحصاء عن قواتنا العامة».

بموجب الإحصاءات تبيَّن أن لدينا ١٦٦ سلاح إنذار، وثلاثة أمراء [هكذا]، وعشرة ضباط، وثمانية وسبعون نفراً وضابطاً جرحى، وقد أسر ضابطان وخمسون نفراً من أفراد الجيش في داخل قرية (البكيرية) نظراً لبقائهم فيها، وبقي ثلاثون صندوقاً من العتاد العسكري في ساحة المعركة، وضاع ٢٧٥ بندقية من نوع «مارتيني»، وتركت المدافع بشكل عام. وتم تعيين نقباء أكفاء ممن شوهد لهم بالمقدرة قواداً على الكتائب التي بقيت دون قواد. ونبَّهتُهم أننا إذا ما اعترضنا لهجوم فإن اجتماع الكتائب الثلاث سوف يكون في القصر رقم ١ و٢ و٣، وتبقى الكتيبة الثانية من الفوج ٤٢ في الاحتياط في خلف تلك القصور.

والمعلومات التي حصَّلتُها حول حركة السرايا والكتائب الأخرى أثناء المعركة كانت على النحو التالي:

«أثناء انهزام الجناح الأيسر للعدو، كان المركز أيضاً قد تعرَّض للتخريب الذي عملته المدافع. وبناءً على ضغط «ابن الرشيد» نقل الجيش إلى الهجوم من الخط ٣٠٠٠. وكانت المدافع تتعقب الجيش، فتم الاستيلاء على تلة ل. ونظراً لبدء الجيش والبدو بالانشغال بالغنائم، وعدم بقاء أحد مع الميرالاي؛ فقد قتل في هذه الأثناء. وبناءً على بدء كتيبة الاحتياط بالهجوم تحت إصرار وضغط «ابن الرشيد»، تُركت السرية على تلة ل دون حراس. وقد وُفِّق السعوديون في الهجوم الذي قاموا به

على جناحنا الأيسر. ولم يقصِّر أهالي (البكيرية) في الدفاع عن أموالهم بإظهار الثبات والمتانة. وفي هذا الفوضى كان الجيش يبحث عن الضباط، والضباط عن الجيش، وقد فرُّوا معقِّبين آثار البدو».

وبعد إعطاء الأوامر الأخرى حول بقية القوات، اتجهت إلى خيمة «ابن الرشيد». كان الأمير راقداً في سريره متظاهراً أنه مريض. وبعد السؤال عن حاله وأوضاعه، قلتُ له: «نظراً لعدم تعرُّضنا للهجوم من خصومنا، فيظهر أنه لم يبق منهم من مجاورينا أحد. فلو أرسلنا عدداً من الخيالة للكشف على أطراف البكيرية..» فردَّ عليَّ قائلاً: «أرسِل فرساناً وتحقق من الأمر». فقلتُ له: «يقوم بمثل هذا الكشف عادة ممن لديه إلمام عن الأوضاع المحلية. ماذا يفهم الفرسان من هذا الكشف؟ وماذا يعرف عن المكان الذي ينبغي الكشف عليه؟». وخرجت من الخيمة، فسألتُ عن خيمة «ماجد العبيد» وهو من رجال «ابن الرشيد»، فقالوا إنه قُتِل في المعركة. وقد حزنت على هذا الضياع المذكور في المثل «الموت يلتقي على أخياركم». فقد كان أحد الناس الذي يطلق عليه اسم إنسان من «آل رشيد». وكان من القلائل الذين يلمون بمعلومات في منطقة (نجد).

وكان في الثالث من تموز جاء ستة أشخاص من أهالي (البكيرية) إلى «ابن الرشيد» لتقديم خضوعهم له نعمةً إلهية غير مترقبة؛ فقد بشروا «ابنَ الرشيد» أنه لم يبق أحد في (البكيرية)، فقام بكل سرور مع بعض الفرسان بالذهاب إلى (البكيرية). فجاء أفراد الجيش المحصورين في (البكيرية) مع المدافع إلى المعسكر. وقد زال اليأس من أفراد الجيش.

ومع ورود المدافع تحرَّكنا فركزنا خيامنا على التلال التي تقع في

الشمال الشرقي من (البكيرية). غير أن أدوات إحدى مدافع الجبال فقط كانت مكتملة، أما غيرها من المدافع فكان ينقص إحداها - وهي بعيار أربعة فونتات - غطاء المرمى، وكان ينقص أخرى بعيار أربعة فونتات وثلاث مدافع جبلية الحلقةُ الفازية.. وقد بقينا في (البكيرية) إلى أن تم تركيب حلقات المدافع.

تم إرسال البريد إلى (المدينة المنورة). فعرضتُ معركة (البكيرية) إلى المشيرية بالبرقية.

تحركنا في التاسع من تموز للهجوم على قرية (الخبرة)، وبعد قطع المسافة باتجاه الجنوب الشرقي، ركزنا خيامنا في النطاق الجنوبي من التلال الرملية الواقعة بين مزارع ما يطلق عليها (رياض الخبرة) وبين (كدي). وقد تمّت إحاطة القرية بالجيش من الجانبين: الجنوب والغرب، وبدأت المدافع بعمل تخريبات. ومع العرض على «ابن الرشيد» بوجوب الحصار على شمال وشرق القرية، غير أنه نظراً لعدم مقدرته على تكليف أتباعه بالأعمال الشاقة؛ فقد بقيت الجبهتان مفتوحتين. وكان أتباع «ابن الرشيد» يركبون إبلهم كل يوم ويتجولون من بعيد متظاهرين بالبسالة، وفي الحقيقة أنهم كانوا يرغبون في الغنائم، حيث كانوا على أمل أن يتم الاستيلاء على القرية أو استسلامها. وكانوا على تلك الحال، حيث بقينا في أطراف (الخبرة) أسبوعاً كاملاً دون أن نعمل شيئاً. ومع إطلاق القذائف خلال تلك الفترة إلا أنها لعدم فتح ثقب في السور، فلم نستطع محاولة الهجوم بالجيش.

ونظراً لمقاومة قرية (الخبرة) خلال تلك الأيام، فقد حرّكت شجون الحمية لدى القصيميين، وقاموا في السادس عشر من تموز بطرد

المحافظ الموجود في (البكيرية)، فجاء «ابن الرشيد» إلى خيمتي وذكر لي خبرَ استرداد القرية، وأضاف فكره السقيم قائلاً: «إن وجودنا بعد الآن في هذا المكان خطر. وليس أمامنا سوى الانسحاب إلى قرية (القرعة)، ونهاجم على (بريدة)».

فقلت له: «قبل تسلل الخلل إلى معنويات الجيش، لم تكن تتجرأ في الهجوم على (بريدة). وليس من الحكمة الآن التعرض لـ(بريدة) بعد التعب والتلف الذي اعترضنا. وليس أمامنا سوى أن ننسحب من الآن إلى (سميرية)، ونسحب الفوج الموجود في (المدينة المنورة) ثم نكمل نواقصنا.. والدخول في (القصيم) بهذا الوضع بالنسبة إليَّ مستحيل».

وقد تخلى أتباع «ابن الرشيد» - الذين كانوا يستمعون إلينا - من الرأي الجنوني. وتم التحرك في الساعة الثانية من اليوم السابع عشر من تموز باتجاه الجنوب. وفي الساعة السابعة كنا ندخل مزرعة نخيل في قرية من قرى (الرس) ويسمى (الرويضة).. وكان البدو ينهبون التمور الخضراء ويخرّبون المزارع. وقد سمعنا صوت إطلاق عدة عيارات نارية من مزرعة.. كانت المزرعة والبرج لأمير (الرس) «ناصر الرشيد». فتم تدمير البرج بالمدافع، فاستسلم المدافعون. وبشروا «ابنَ الرشيد» بوجود أمير (الرس) بين الأسرى. وقد كنتُ في هذا الوقت موجوداً لدى «ابن الرشيد». فقلت له: «لا تقتلوا المستسلمين، وبخاصة «ناصر». فقد تصلون إلى مُبتغاكم في (القصيم) من خلاله». وبعد نصف ساعة أتوا برأس «ناصر» المقطوع. وتم قتل الأسرى بالكامل. ونظراً لكون «ابن الرشيد» رجلاً دموياً وآلفاً على الدماء، فكان يرجّح لذةَ الانتقام على العفو والإحسان.

وقد عُدَّ قتل هؤلاء المظلومين توفيقاً عظيماً، فكان أتباع «ابن الرشيد» يقومون بتهنئة بعضهم بعضاً، ويبشِّرون أنفسهم بأنه بدأت منذ تلك اللحظة أيام السعد والظفر.

وبالوصول إلى القرية التي تسمى (شنانة) في الساعة الواحدة ليلاً، مكثنا فيها تلك الليلة في الفضاء. وفي الصباح ذهبتُ إلى «ابن الرشيد» وقلتُ له: «نغادر هذا المكان في الوقت المناسب. فإذا ما جاء «آل سعود» والقصيميون إلى إمداد قرية (الرس) فإننا سوف نلقى مشكلات في الانسحاب». فردَّ عليَّ «ابنُ الرشيد» مصراً على فكره قائلاً: «فلنبق في (شنانة) ونجلب الفوج الموجود في (المدينة المنورة)، ثم أقوم بالهجوم على (القصيم) ثانية». وقد حاولنا معه بغية تعديل رأيه، وذكرنا له مخاطر البقاء في (شنانة)، إلاَّ أنه لم يتنازل عن عناده.

ونظراً لتقرر البقاء في (شنانة) فترة، فقد تم تعيين موقع لتأسيس المعسكر ومواقع الحرس الأمامي.

وقد أسس «عبد العزيز [بن] السعود» و«صالح المهنا» معسكرهم في شرق قرية (الرس) في الساعة الرابعة من يوم الواحد والعشرين من تموز. ونظراً لإقامة قوة كافية من قواتهم في مسافة ساعة ونصف من معسكرنا باتجاه الغرب في مزرعة النخيل الكبيرة التي يطلق عليها (قصر عكيل) للقيام بحراستها؛ فقد أتلفت الإبل والبغال لعدم وجود المراعي، حيث هلكت أكثر من ستمائة من البغال.

ونظراً لقيامهم بنهب الذخيرة التي جلبها «ابن الرشيد» من جهة (الجبل)، فقد بقينا دون ذخيرة. [لكن] ذخيرة الجيش في هذه الفترة [illegible] قد وصلت. ومع أننا لم نجد منهم [أي من آل الرشيد] خيراً

يذكر، إلا أننا لم نرض ببقاء زملائنا في الحرب جوعى، حيث قمنا بمساعدتهم. فسلَّمنا لهم عشرة آلاف وستمائة كيلو دقيق وأرز. فوزَّعها «ابنُ الرشيد» على جماعته.

في غرة أيلول وصلت برقية من المقام السلطاني العالي، تبشر برفع درجات كل أفراد الضباط في الفوج، وأن السلام السلطاني على كافة أفراد الجيش. وقد حصل هذا العاجز [المؤلف] أيضاً على رتبة قيادة قوات (القصيم) المتنقلة برتبة قائمقام. وتمت قراءة البرقية الواردة على الملأ. (نص البرقية ملحق بنهاية هذا الفصل).

بقينا في (شنانة) محصورين واحداً وخمسين يوماً. وكانت المصادمات بين المراكز في هذه الفترة جارية. وقد جاءني «ابن الرشيد» في اليوم الحادي عشر من أيلول. فذكر لي أنه مضطر للانسحاب بسبب تخليص القوات الباقية. فقلت له: «مادام الأمر كذلك فلتبق الخيام منصوبة، ثم تُرفع أثناء الغروب وتُنقل بسرعة، فتوضع في الخلف في محل منبسط وقريب من البئر. وفي أثناء النقل هذه نقوم بالهجوم على (الرس)، حتى لا نمنح عدوَّنا فرصةً تمكنه من طريق عودتنا». وقد تم البدء بالنقل في الليل. وفي صباح اليوم الثاني قام أفراد الجيش وقوات «ابن الرشيد» مع المدافع بحركة هجوم مزورة على العدو، فتمكنَّا من إجبار الموجودين خارج السور في الدخول إليه. ومع رؤية نقل أحمالنا وأثقالنا من جهة قرية (الرس) إلا أنهم لم يتجرأوا في الهجوم علينا. وقد رفعنا الخيام وانسحبنا إلى الخلف، ووصلنا إلى قرية خربة تسمى (الجوعى) دون ما يعقِّبنا أحد.

ونظراً لهلاك إبل «ابن الرشيد» في قرية (شنانة) بالكامل، فقد ذكر

لنا أن إبل البدو سوف تقوم بنقل الأحمال والأثقال. فأرسل رجالاً إلى كل الكتائب، وتم تسليم أحمالنا إلى بأس شيوخ الشمر، وتحركنا في الرابع عشر من أيلول. وبعد قطع مسافة ساعتين رأينا أن البدو قد نصبوا خيامهم في القصور الواقعة في غرب (قصر ابن عكيل) بمسافة ثلاثة آلاف متر. ثم سمعتُ بعد بُرهة من الزمن صدى المدافع. فتركتُ الجيش في سيره النظامي وذهبت فوراً إلى المحل الذي أطلق منه المدفع، فوجدتُ «ابنَ الرشيد» يطلق المدافع على قصر (ابن عكيل). فقلت له: «مادمنا وصلنا إلى هذا المكان بسلام، فإن إطلاقك النار على القصر بلا فائدة تجلب نظرَ العدو إلينا. والعمل الذي يجب أن نقوم به هو الانسحاب إلى الخلف بسرعة». وأصررتُ على موقفي. فتوقف عن إطلاق المدافع، لكنه قال: «أقام البدو اليومَ، نحن نتحرك غداً».. وقد وصلت القوة الموجودة في (الرس) والتي سمعت بإطلاق المدافع إلى إغاثة قصر (ابن عكيل) ليلاً. وفي الصباح بدأ العساكر الموجودون في الخط الأمامي بإطلاق نار البندقية. فجاء خيالة خصومنا بإحاطتنا من الجناحين. وفي أثناء اشتداد المعركة رجع البدو بعوائلهم وفرَّ الحَضَر.

ولمّا رأيتُ هذه المصيبة قلت للضابط الموجود معي وأرسلتُ الخبر لـ«ابن الرشيد» أيضاً: «الانسحابُ في هذه الأثناء التي اشتدَّت فيها المعركة ينتهي بالهلاك. نبقى اليوم هنا، ونردُّ حركةَ التعرض تلك، ثم نرسل أحمالنا في ظلام الليل، وننسحب في صباح الغد». علمتُ عدمَ محاولة قيام المذكور بإجراء في هذا الصدد. فذهبتُ إليه شخصياً وقلتُ له: «المصيبةُ واضحة بائنة أمامنا. ولأجل سلامة أولاد الوطن [الجيش] ليس أمامنا التحرك اليوم من هنا». فردَّ قائلاً: «راسلني «ابن هند» و«نايف»[1] أننا إذا غادرنا هذه القصور فإن البدو سوف يتراجعون». وأصر بذلك في عناده وغفلته.

فبدأتُ في البحث عن سبل النجاة من هذه المصيبة. ونظراً لكون المنزل الذي كان توجد به الكتيبة الأولى من الفوج ٤٤ مطلاً على كل الجهات؛ فقد عملت على انسحاب الجيش منها على مراحل، وقمت أيضاً بإرسال ضابط خيالة إلى رائده قائد الكتيبة المذكورة، يخبره أنني سوف أعمل على توقيف المدافع التي اتجهت إلى الطرف الأيمن، وأسهِّل بذلك حركةَ الرجعة. وذهبتُ بعد ذلك إلى المدفعيين فأمرتُهم بإطلاق النار. وفي أثناء محاولتي جمعَ شمل القوات الأخرى رجع ضابط الخيالة. فقال: «قال قائد الكتيبة أنه أنهى نوبته. وأنه قادم إلينا تاركاً الأبنية».[2]

---

١) لمّا كنا في (شنانة) كان شيخ عيتبة «ابن هند» وشيخ مطير «بصيص بن نايف» على اتصال مع «ابن الرشيد». ووعداه أنهم إذا خرجوا على الأرض المستوية فإنهم سيأخذون بدوهم ويهربون.. ولما كنا في (شنانة) أيضاً فقد اقترح «ابن السعود» إجراء الصلح، إلا أن «ابن الرشيد» لم يقبل بذلك. وقد تحملنا نحن أيضاً نتيجة ما ارتكبه من فاسد رأي.

٢) قولُ قائد هذه الكتيبة أنه أنهى نوبته، يظهر أنه كان منزعجاً أثناء الانسحاب من (الخبرة).
وقد كنتُ سمعتُ رداً من هذا القبيل أثناء تعرضنا لهجوم في (بحف). ونظراً لعدم تناسب رد من هذا القبيل لأفراد الجيش فلا أعبر دون ذكر قصتها:
كنا قد عُيِّنا قائداً على مفرزتين من المشاة ومائة وخمسين خيالاً من أفراد الجيش النظامي، لسوق جمعية «ابن الرشيد» في الصحراء في منطقة (بحف). قام بعض الأشقياء المتحصنين في القصور الواقعة في أقصى غرب

فاضطررتُ إلى تبليغ وجوب بقاء الكتيبة الثانية في الفوج ٤٢ عن طريق ضابط الخيالة. فقامت هذه الكتيبة بسحب مفرَزاتها بعدما انفتحت على مهل، ثم قامت بإطلاق النار على المهاجمين. ومع أن الأمير قد أعاد البدو، إلا أن الشمر كانوا مستمرين في الهروب. وقد انقطع صوت المدافع في هذه الأثناء. فأرسلتُ ضابطاً للاستفسار عن السبب.

فقال لي «إن العتاد انتهت بسبب عدم تحميل أكثر من خمسة قذائف، حتى لا يكون الحمل ثقيلاً، وأنه بدأ العمل لجلب العتاد المحملة على الإبل».

ومع انقطاع صوت المدافع بدأ هجوم مشاةِ وخيالةِ العدو يشتد. وبما أن بدو الشمر وحضر (الجبل) قد بدأوا بالفرار، فقد لاذ أفراد الجيش - الذين انفصلوا عن الضباط واختلطوا بين الإبل - أيضاً بالفرار. ونظراً لأن هذا الوضع قد جلب الخلل إلى معنويات الجيش الصامدين؛ فقد انتشر باقي الأفراد أيضاً بين الإبل. وبذلك لم يمكن جلبهم أو جمعهم بعد ذلك. حيث تم الرجوع قهقرى إلى قرية (الصبيح).

وفي تلك القرية تم جمع بقية أفراد الجيش وتنظيمهم. فأخذت الاحصاءات العامة من الكتائب. وقد أظهرت نتيجة تلك الاحصاءات

(نحف)، بالتعرض للصحراء وذلك لضرب الحدرة.. وقام الخيالة برد الهجوم. غير أنه رأينا بعد فترة بعضَ الأشقياء قد تجمعوا على الطريق. ثم أخذ الترتيبات اللازمة ضد أولئك، وتقرر قيام المشاة بالهجوم. لكن حتى لا يقوموا بالتحصن في القصور كان على الخيالة القيام بهجوم على مهاجم الأمير حتى يمنعوهم من الرجعة إلى جهة القصور، وأرسلت خبراً بذلك لقائد الخيالة. فكان ردُّه عليَّ: «نحن قمنا بدورنا، جاء الدور لمشاة الجيش».

ما فَقدْناه على النحو التالي: مدفع دون غطاء بعيار ٤ فونذات، ٥٤ بندقية من نوع «مارتيني»، ٤٥١ كيساً من الدقيق، ١١٢ صندوقاً من العتاد العسكري، ٢٤٠ خيمة، ٤٨ صندوقاً من الأدوية الطبية؛ وكان ملازم مدفعية وستة عشر نفراً من أفراد الجيش في عداد القتلى، وثلاثة وعشرون نفراً في عداد المفقودين.

وبناءً على تلك الهزيمة لم يبق لدينا نحن الضباط وكافة الأفراد سوى الأسلحة التي بأيدينا والملابس التي تغطي أجسامنا. ولم يبق أمامنا من سبيل بعد تلك المصيبة عدا المواظبة على قوله تعالى: ﴿ربنا أنزل علينا مائدة﴾.

قضينا يوم ١٦ أيلول في تلك القرية في الراحة. وقد بعثتُ خُفية بعض أفراد الجيش إلى صفوف البدو، فأخذوا منهم أكياس الدقيق والأرز والصناديق الطبية جبراً. وقد بعث «عبد العزيز الرشيد» رجالاً من أتباعه لتقصّي الوضع، فسمع ما قمنا به، فوصلنا بعض أخرى من الذخيرة. فكانت الذخيرة التي حصّلناها كفتنا لمدة سبعة أو ثمانية أيام.

وطلبتُ قبل الظهر من هذا اليوم قائدَ المدفعية وقواد الكتيبة واستشرتُهم على النحو التالي:

«كان السيد المشير قد [illegible] برقيات يأمر فيها بالانسحاب إلى (المدينة المنورة) قدرَ الإمكان. وقد تحققتُ من المسافة بين قرية (الصبيحة) التي نحن فيها الآن، وبين (الحناكية)، فوجدتُ أن الجيش يصل إليها راجلاً في ثمانية منازل.. وقد قال لي «ابن الرشيد» إننا سوف نغادر هذا الموقع غداً. فإن كانت الكتائب تتحكم في الإبل التي تأتيها وتبلغ المشيرية أننا ندخل

(الحناكية) ونثبت على هذا الرأي؛ فإننا سوف نلقى السلامة. ومن الطبيعي أن نُمنعَ من تنفيذ الفكرة من قبل «ابن الرشيد». غير أنه لا يتجرأ في إعادتنا بالسلاح. لأنه يأمل جلب جيش آخر بغية القيام بإفناء وهلاك القصيميين. ولذلك فإن إزعاج (المابين) يعترض مع مصالحه.

«ثانياً: إنه سوف يحاول منع القصيميين من هجوم مرتقب على (الجبل) في حالة وقوع نزاع بينه وبين الجيش وتركُ الجيش له؛بادعائه أنه أرسل الابل إلى (المدينة المنورة) بغية جلب جيش جديد. وأرجو أن يقوم بإيصالنا إلى (المدينة المنورة) مع رجاله ثم يقوم بتقديم الشكوى ضدنا.. وقد وفَّرتُ اثنين أو ثلاثة من الأدلاء من هذه القرية، سوف نأخذهم معنا بملابس الجيش. وأنا أمنح لكل كتيبة سنداً مختوماً بختمي. وكيفما رغبتم في الكتابة فأنا مستعد لختمها. غير أن إصراركم في موقفكم بصبر ومتانة ضروريٌ». فانتشر الضباط بعد سماع مقولتي هذه دون إبداء الرأي.

وقد جاءني رجلٌ من «ابن الرشيد» قبيل العصر. فحكى لي عما جرى بيننا [نحن الضباط] بالتفصيل، فاستغربتُ واندهشتُ. فقلت له: «نعم؛ أمر السيد المشير في هذا الصوب. قدموا لنا إبلاً حسب حاجتنا وأرسلونا بالسلامة، فإن «ابن الرشيد» إن فعل ذلك فقد وفى بوعده تُجاهَ «المابين» بشكل حسن. ومن الطبيعي جداً أن يقوم «المابين» بإرسال قوات جديدة لإسعاف طلب «ابن الرشيد». وقد يرسلنا مرة أخرى بعد إكمال نواقصنا.. وفي هذه الحالة سوف تكون المسؤولية على عاتقنا. فإن كان «ابن الرشيد» يقوم بتوفير الابل لنا، فإن بقاءنا هنا إلى وقت وصولها

ضروري». فقال:«هل أعرض على الأمير على هذا النحو». قلتُ له:« نعم احكِ له بالكامل.. ونظراً لكوني مريضاً فلم أتشرَّف برؤيته. وإذا بلَّغتني ردَّه فسوف أكون لك شاكراً». فقام هذا الرجل وذهب.

وقد رجع رجل «ابن الرشيد» وقت العصر، وقال:«الأمير ينتظركم الآن في خيمة الرائد محمود أفندي». فذهبتُ، وكان قائمقام المدفعية «حليم بك» أيضاً موجوداً في الخيمة.

قال «عبد العزيز الرشيد» بعد المواثيق والعهود والأيمان «إنني لا أضيِّق عليكم نهائياً».

قال المحرر [أي المؤلف]:«قد سمعتُ هذه العهود قبل مغادرتنا للعراق. لكنني مع الأسف لم أر إجراءاتها».

فقال «عبد العزيز الرشيد» بغية إقناعي بعد حلف الأيمان: «لا تنظروا إلى كلامي هذا مثل الكلام السابق».

فقال «محمود أفندي»: «فلننفذ كلامَ الأمير هذه المرة أيضاً. قد تكون النتيجة خيِّرة»..

فهمنا من كلام «حليم بك» و«محمود أفندي» أنهما لا يرغبان في المغادرة.. رجعتُ إلى خيمتي دون أن أحكي كلاماً كثيراً.

وصلت الابل في [illegible] ١١ [illegible] على استشارتنا تلك. قامت الكتائب بحمل أغراضها وتحركت. وبعد فترة قليلة اضطررتُ لتعقيب الكتائب.

وفي يوم ٢١ من ايلول وصلنا إلى قرية تسمى «الجهفة»، فأقمنا في المنازل.. قمتُ بعرض المصائب التي تعرضنا لها إلى الجهات المعنية. وقد ألحقتُ لائحتي ومقترحاتي حول السياسة التي ينبغي اتباعها في

منطقة (نجد) في نهاية هذا المبحث.

وقد قضينا عشرين يوماً في (الجهفة) ببعض الدقيق وعدة جمال أرسلها لنا «ابن الرشيد» بعدما وصلنا إليها، حيث وزعناها على أفراد الجيش. إلا أنه نظراً لانقطاع المؤن والذخيرة عنا بعد ذلك حتى من «ابن الرشيد»، فقد بقينا مدّة ستة أشهر في القرية المذكورة مجرّدين عن الأكل واللبس. وفي تلك الفترة مات ما يقرب من سبعمائة ضابط وعسكري، دفنّاهم في مزبلة السفالة تلك، وبذلك كوّنّا مقبرة كبيرة في القرية، كانت أكبر من مقبرة القرية [كما لو دُفن فيها الموتى] لمئات السنين..

ملاحظة

انهزام تلك القوة دون أن تعمل شيئاً بتلك الصورة، ينبغي ألا يعطف على قوة القصيميين أو تدابيرهم. لأن فوجاً منظماً من الجيش بعدد كافٍ من الخيالة والمدفعية يمكنه إحراز الفوز في أي محل من منطقة (نجد)، بشرط تأمين مواصلة الطريق.. ومع إمكانية تجمع قوة ثلاثين أو أربعين ألفاً من النجديين إلا أن ارتباطهم ببعضهم ارتباطُ مصالح.. ويمكن كسب البدو بسهولة إذا ما قُدم لهم بعض المصالح دون التعرض لهجوم الفترة الأولى، التي تتسم بالشدة والعصبية. وبخاصة إذا قُتل منهم عدة أفراد وشعروا أن الغلبة مشكوكٌ فيها، فإن جندهم يختل واجتماعهم يفترق.. أما الحضر فإنهم إذا شعروا البقاءَ تحت نفوذ الدولة وسيطرتها إلى وقت لا نهاية له؛ فإنهم لا يقصّرون في تقديم الخدمات تجاه الدولة وإيفاءها على أحسن وجه. [ولهذا] فإن فوجاً من الجيش كافٍ للقيام بتأديب القائمين بخدمة الأمراء الذين يسيطرون على

منطقة (نجد).

أما أسباب المصائب التي اعترضتنا فهي:

أولاً: إرفاق البدو للجيش المنظم، وتوديع كافة احتياجاتنا وتسويتها لـ«ابن الرشيد» بشكل خاص. ومع تسمية قوتنا بالقوة المتنقلة (السيارة)، فإن عدم تملكنا لإبل واحدة في هذه الصحاري الخالية من الماء والسكن كان يمنعنا من التحرك.

ثانياً: توديع إدارة هذه القوة لعُهدة المُتوفى «حسن شكري بك» وتعيينه قائداً عليها، مع أن المستقبل لم يكن واضحاً. وفي (أبو خويمه) كان الوضع قد بان ووضحت الرؤية. فلو أنه استقال من منصبه آنذاك، لمّا رأى رفض مطلوباته، وكان قد أدى عملاً يليق بمنصبه. لأن قائداً إذا تيقّن من عدم توفيقه في أمر ما بسبب أوامر رؤسائه (ما فوْقَه)، فإن استمراره في عمله يجعله مسؤولاً عن الانهزام والمصائب التي يتعرض لها.

ثالثاً: افتقاد الاتفاق الواجب وجودُها بين الضباط. فقد أصبحنا ننسى الأوامر العسكرية بمجرّد وصولنا إلى (أبو خويمة) ولا نبالي بها، ونسينا إطاعة القائد، وأصبحنا نتسابق في تقديم الخدمات لـ«ابن الرشيد»، بغية الحصول على رضاه الذي يضمن منح الرتب. فتلاشى بذلك نفوذ القائد، وانتقلت بذلك قيادة الجيش أيضاً لـ«ابن الرشيد» بشكل تلقائي.

رابعاً: لو كان «ابن الرشيد» تحرّك بعقل وحكمة بتوفير حاجاتنا وتدبير أمورنا، كان الكلُّ يقوم بإيفاء ما عليه على أحسن وجه. غير أنه نظراً لعدم اتسانه بإرضاء حتى أقرب الأقربين إليه؛ فإنه كان مبغوضاً

من قِبل الجميع.. وقد كان رئيس عشيرة «حرب» الذي أوصل ذخيرتنا إلى (شنانة)، قد قدَّم لـ«ابن الرشيد» في وجودنا عنده النصيحةَ الآتية، لمّا رأى مصائب بدو الشمر، وهلاك عدة فرس في اليوم الواحد:

«أيها الأمير؛ قد آن الأوان للاهتمام ببدو الشمر. فهم الذين يقدمون لكم الخدمة أولاً وآخراً. فإذا جلبتُم كميةً من الشعير من (المدينة المنورة) فإنكم سوف تُحيُون بذلك تلك البغال. فإذا ما هلكت تلك البغال فإنكم سوف لن تستطيعوا القيام بشيء». ونظراً لأن هذا الشخص كان كبيراً في العمر وصاحب تجارب في الحياة، فقد دفعه ضميره إلى صرف تلك الكلمات. أما «ابن الرشيد» فلم يُعر لذلك بالاً ولا اهتماماً.

كان البدو هم السبب في نهب بنادق الجرحى [من أفراد الجيش] في معركة (البكيرية) وتجريدهم من ملابسهم، ومن ثم قضاء نَحْبِهم. فالبدو يقدمون الخدمة دائماً للجهة التي ترجح كفة الغلبة في صفها. ولو أن الجهة التي انهزمت شيخُهم فإنهم لا يتأخرون في نهب أمواله، إذا ما خافوا من العاقبة في النهاية. فهم يُشبهون الماء المتدفق من سيل جارٍ ذات تيار قوي. وهم يقدمون الخدمة العمياء في فترات السيطرة عليهم. أما في وقت سيطرتهم على غيرهم، فإن الخلاص من أيديهم الظالمة، يعدُّ في حكم المستحيل.. ومع كل ذلك فنظراً لإمكانية الاستفادة الكبيرة من البدو في هذه الصحاري، فإن تعاونهم مع الجيش ضروري.

وقد أظهرت هذه المعركة أن المسلحين قاموا بأعمال فدائية جديرة بالتقدير. فقد قطعوا مسافة ثلاثة آلاف متر بخطوة الهجوم فوق الرمال الحارقة وحاربوا العدو وجهاً لوجه، حتى أحرزوا الفوز على أعدائهم ودمّروا معسكرهم. بل إنهم هاجموا على «عبد العزيز السعود» وجماعته

وعقبوهم حتى «الشقراء». ((قام «صالح المهنا» مع القصيميين بشق الجناح الأيسر للجيش. ولما وصلوا بعد الغروب إلى (البكيرية) وجدوا أن العوارض وعيال «سعود» قد فرّوا. فاضطر مع جماعته إلى ترك (البكيرية) والانسحاب إلى (البريدة) للتحصن فيها. ثم أرسل ساعياً إلى «عبد العزيز السعود» وجماعته، فجلبهم إلى (بريدة).)). وبما أن الضباط لم يعوّدوا مَن في معيّتهم على تقديم الطاعة لهم؛ فإن الفوز الذي أحرزناه بالشجاعة والبسالة لم نستفد منه. وكانت همّة الأفراد تلك كانت نابعة من الشجاعة الفطرية. فلو زُيّنت تلك الخصلة الحسنة باحترام الآداب والأنظمة العسكرية، ما كُنّا تعرّضنا لكل تلك المصائب.

خامساً: كان السبب الخاص لشق جناحنا الأيسر يكمن في عدم إبصار عيون «راشد أفندي»، أكثر من همّة القصيميين. فالرجل نظراً لعدم استطاعته رؤية ما يجري حوله من أحداث، والمراحل التي قطعتها المعركة، فلم يستطع إدارة الكتيبة. فاضطرت المفرزات إلى التحرك من تلقاء نفسها. وبقي الرائد بذلك وحده فقتل.

ولمّا أقول «راشد أفندي لا يُبصر» فأقصد بذلك ضعف بصره إلى درجة لا يبصر، وقد عُيِّن بناءً على إصرار السيد المشير.. توجد فينا بشكل عام حالة عصبية غريبة. فعندما نقول «لا يصلح» [الأمر الفلاني] نصرُّ على رأينا ولو كان خطأً. بل إننا نتجاوز ذلك. ولهذا السبب فإننا إمّا لا نقدّر المصائب التي نتعرّض لها، أو أننا كما جاء في المثَل «لا تتغير الخُلق قبل خروج الروح [من الجسد]»، لا نترك رأينا ولو علمنا بخطئه.. وقد كان السيد المشير مصراً على رأيه في إرسال «راشد أفندي» وهو على حق، نظراً لعلمه أنه إذا استثني أحد من المعركة

ولو كان على حق فإن غيره سوف يقوم بتقديم الأعذار، الواحدة تلو الأخرى بغية التخلف عنها.. وقد فسّرتُ تصرفَ المشير بأنه على حق، نظراً لأن الالتماس والصحبة والحماية لدينا أقوى من حكم القانون بألف مرّة. فقد اعتدنا على عدم إجراء الأحكام القانونية إلى حدٍّ نستحسن الموبِّخين للقانون، بل يصل الأمر إلى أننا نقدم احتراماً وتقديراً خاصاً لهم، ونصفّقُ لهم. ويقتضي القضاء على مثل ذلك من الأفكار السيئة بتنفيذ الأحكام فعلاً. ونظراً لاستناد أسس النظم العسكرية على احترام وتقدير القانون؛ فإن قادتنا وأمراءنا ينبغي أن يمثلوا القانون في أنفسهم، ليكونوا أسوة حسنة. وكما جاء في المثل المشهور أن (القوانين ليست تلك التي تجعل المجتمع مجتمعاً، بل المجتمع هو الذي يجعل القوانين قوانيناً)، فينبغي علينا الاستفادة من مثل هذه الحِكَم.

سادساً: لو كان قواد الكتائب لم يمنحوا «ابن الرشيد» فرصة في التدخل فيما يخص الشؤون العسكرية؛ ما كنا اضطررنا إلى المحاربة في صف مفتوح. فلو كانت الكتائب بدأت بالمعركة في صفين أو ثلاثة بناءً على الفنون الحربية، تحت قيادة الضباط وبنظام متقارب من بعض، وقيام القوات الاحتياطية بإحراز موقع جيد بعد هزيمة العدو؛ كان بالإمكان جمع الجيش في ذلك الموقع الاستراتيجي. وفي الواقع أن كتيبتين اشتركتا في المعركة، فقد انفصل أفرادهما عن قيادة الضباط منذ بداية المعركة، نظراً للإقبال على المعركة في صف مفتوح [غير منظم].

سابعاً: ومع أن اشتراك القوات الاحتياطية في المعركة بكاملها، وإبقاء المدافع دون حراسة من أخطاء «ابن الرشيد»، إلا أن الخطأ يقع على عاتق الرائد، نظراً للسماح له بالتدخل في شؤونه الخاصة.

لمّا قرأتُ العبارة التالية الواردة في الرسالة المسمّى «امير نوروز» (أن امرأة تتارية قامت بقتل أهالي قلعةٍ بالكامل دون أن يقاومها أحد، بل إنها لم تر من أحد أي تحرُك ولو بغية النجاة بروحه)، كنتُ ما صدّقتُ ذلك، بل اعتبرتُه مبالغة من الكاتب المتوفى «كمال بك».. غير أن المنظر الذي وجدتُه في هزيمة قصر «ابن عكيل» قد كوّن لديَّ قناعة حول إمكانية حصول مثل ذلك. فقد كان هجوم سبعة أو ثمانية فرسان على جناحنا الأيمن، كفيلاً بفصل عدة مئات من الإبل من القافلة وتهريبها بحدّ سيوفهم، ومع ذلك كان المئات من بدو الشمر المسلحين ينظرون إليهم مندهشين، وكانوا يقابلون ذلك بالهروب، حتى قال ضابط: «ما دمتم أنكم لا تستخدمون أسلحتكم في وجه العدو، فيا ترى هل تحملونها فقط للتعب؟».

كان القسم الكبير من ذخيرتنا وعتادنا العسكري ولباسنا نُهِبَت من قبل البدو. وقد وجد أصدقاؤنا الذين ذهبوا إلى (حائل) فيما بعد سراويل الضباط وأغراضنا في أسواق المزاد العلني. وكان أحد عبيد «ابن الرشيد» يقدّم إلينا القهوة في يوم من الأيام. وقد وجدتُه لابساً سروالاً أزرق من الجوخ وبه خط أحمر، فقلتُ لـ«ابن الرشيد»: «لا البدو وحدهم وإنما حتى عبيدكم أيضاً استفادوا من ملابسنا».. وكان «ابن الرشيد» لمّا قطع أمله من الجيش؛ حاول كسب ثقة البدو فغضّ النظر عن نهبهم لأغراضنا.

احيا شيوهء يغماده مبهوت ايلر اعدايى

خدا كوسترمه سين آثار اضمحلال

وبناءً على البرقية التي أرسلتُها حول الاستيلاء على (البكيرية)

التحرك إلى (الخبرة)؛ فقد تم إبلاغ الإرادة السلطانية إلى نظارة الداخلية حول «إرسال الموظفين لتنظيم الإدارة في داخل (القصيم)». كانت نظارة الداخلية أرسلت برقية إلى والي (البصرة) و(بغداد)، طالبة منهم رفع أسماء الطالبين في العمل في التنظيم الجديد، بعد ترشيحها، وقد رُشّحت (البكيرية) مركزاً للقضاء، وطلبَتْ النظارة إرسال القائمقام والموظفين بعد تعيينهم إليها.. وكانت تلك الإرادة السلطانية ما راق «ابنَ الرشيد»، لأنها كانت مخالفة لتخيُّلاته. بل إنه وصل به الحد إلى صرف العبارة التالية وهي تترجم أفكاره «تنظيم الإدارة الحكومية داخل ولاية (نجد) غير ممكنة».

أصحاب العقول الضعيفة يعتبرون الجري وراء أفكار جديدة دائماً مهارة وخبرة في الحياة. ولا يفكرون الحكمة الشهيرة «الضدان لا يجتمعان». و«عبد العزيز الرشيد» فتح المجالَ للهزيمة وذلك للوصول إلى أهدافه، لا غير. وكان حسب فكره ورأيه يرى انه يستفيد من الوضع السيء فائدتين: الأول: أهلك الجيش وذلك لجلب غضب السلطان على القصيميين، للحصول على الإرادة السلطانية في سوق جيش كبير بغية تحصيل انتقامه. والثاني: كان متيقّناً أنه لن تبقَ إدارة منطقة (نجد) في عهدته، لذلك كان يرمي كسب ثقة بدو الشمر. وقد سمعتُ من رجال «ابن الرشيد» أنه قال لرؤساء الشمر «هؤلاء هم الذين قاموا بمقاتلتكم في جوار (سماوة). فإنني سوف أنتقم لكم منهم. سوف أقتلهم جميعاً بالجوع».

والخلاصة أن وجود القوات المتعاونة مع الجيش النظامي يُهلك قوةَ الجيش النظامي. كما أن الظلم والاعتساف والنهب الذي تقوم بها القوات غير النظامية والمعاملة الوحشية لغيرهم، يغطي كل ذلك على الأعمال المُنصفة والعادلة التي تقوم بها القوات العسكرية النظامية، وتجبرها على الثبات حتى الموت. وقد صُودِفَ مثل تلك المعاملة أيضاً في الحرب الروسية السابقة.

ثامناً: إذا قبلتْ قوة إمرةَ قائد، فإنها ينبغي ألا تقصّر في تنفيذ أمره مهما يكن، حتى ولو كان خطأ، أو أنها تنتخبه من الأول بشكل حسن. وإذا تعدَّد الآمرون فينبغي ألا تقطع أملَها من حصول الفوز. وكان تدخل «ابن الرشيد» في الشؤون العسكرية إضافة إلى الفريق «شكري بك» في معسكرنا أثمر محونا وهلاكنا.

تاسعاً: ينبغي اكتمال كافة الوسائل المساعدة للقيام بإجراء حركة إلى جهة معيَّنة تقوم بها قوة عسكرية. فلو كان لدى قواتنا العسكرية بعض من الإبل ما كانت ارتبطت بأوامر «ابن الرشيد» على النحو السابق، إذ كانت تستطيع الانسحاب إلى موقع عسكري قريب في وقت الحاجة أو الضيق.

عاشراً: مع التجربة السابقة ظهر أن وضع ضابطين في الرتبة نفسها يكون أحدهم تحت إمرة الآخر، ولو انتسبا لصنفين مختلفين [خطأ جسيم، ويظهر في الوقت نفسه] أن قوادنا لم يلوا بهذا الأمر الاهتمام اللازم.

□□□

صورة البرقية الشريفة الواردة

جواباً على [البرقية] الواردة في ١٨ تموز عام ١٣٢٠؛ فتنتب

الإرادة السلطانية سرعةَ تنظيم وإرسال قائمة بأسماء الضباط المستشهدين في المعركة الواقعة مع «ابن السعود» وأسماء أفراد أسرهم وعددهم، ومنح الضباط الموفقين في المعركة الوسامَ الذهبي، ولأفراد الجيش الوسامَ الفضي، وكذلك منح أتباع «ابن الرشيد» ممن كان ضابطاً الوسامَ الذهبي، ولغيرهم من أتباعه الوسام الفضي، ورفع رُتَب ضباط الجيش السلطاني درجةً، ورفع رُتب مَن كان في رتبة مساعد أول إلى رتبة ملازم، وتبشير كافة أفراد الجيش بذلك، وتبليغهم تحيات جناب السلطان، وإنباؤنا بأسمائهم أيضاً..   ٢٠ تموز سنة ١٣٢٠

الكاتب الأول لحضرة السلطان

تحسين

□□□

صورة اللائحة التي قدَّمتُها من الجهة

إن الحقيقة التي توصلتُ إليها خلال فترة ستة أشهر التي قضيتُها مع الأمير في منطقة (نجد)، وجدتُ أن أهالي هذه المنطقة بحضرها وبدْوِها بالكامل بما فيهم آل الرشيد على المذهب الوهابي. والتجاء الأمير «عبد العزيز الرشيد» إلى الدولة العثمانية ليس من الطاعة والمحبّة، وإنما من أجل استرداد إمارة (نجد) من خلال السطوة السلطانية، التي لم يستطع أخذها بقوته. ومع أنه يعرف عدم كفاية قوّته من خلال الهزيمة التي تعرّض لها في منطقة (الرياض)، إلا أن اعتراضه على إرسال ستة عشر كتيبة كان لخوفه من وقوع (نجد) تحت إدارة الدولة وانتظام أوضاعها]، حيث ذكر أن حاجته تكمن في المدافع فحسب. وكان معارضته لجلب القوات الاحتياطية من (المدينة المنورة)، وتشويق الأهالي والبدو في (الجبل) على التسلح، كل ذلك كان دليلاً واضحاً على فساد أفكاره، كما تحققتُ منه تماماً. والحادثة التالية أيضاً دليل على صحة معروضي هذا: (نظراً لهطول الأمطار الغزيرة على (حائل) فقد تكوّنت في شوارعها سيل واسع وقوي من مياه الأمطار، فقام أحد أصحاب النفوذ قائلاً «ياليتَ الجريان هذا كان دائماً مثل نهر دجلة». فوبّخه «ابن الرشيد» قائلاً: «اسكت، لعل الله يقبل دعاءك، فتقع هذه الأراضي تحت نفوذ أصحاب الطرابيش).

لو كانت هناك رغبة في تخليص هذه المنطقة من مفاسد الأجانب؛ فإن ذلك يمكن بإرسال فوجين من المشاة وكتيبتين من الهجان وفوج من الخيالة وكتيبة من المدفعية بشرط توفير كافة حاجاتهم من قبل الدولة، وحشد هذه القوة في (الحناكية)، وإرسال كافة حاجات الجيش بالسكة الحديدية، وإنشاء منزل على الخط حتى قرية (الرس)، وتوديع تلك القوات إلى قائد مستقل في كافة تحركاته ومقتدر على العمل، بحيث يستجاب لجميع طلباته؛ وألا يتدخل الأمير في الأمر نهائياً، ثم يتم الدخول إلى (القصيم) على نحو منظم يليق بشأن الدولة، وإسداء النصح للأهالي فيها، والتعامل معهم تعاملاً معتدلاً، إن ذلك إذا تم تحقيقه فإن أهالي (القصيم) سوف يقدّمون طاعتهم للدولة دون إطلاق طلقة واحدة.

ونظراً لأن الأمير «عبد العزيز الرشيد» ميّال إلى سفك الدماء ويبيح هتك الأعراض، إضافة إلى الحسد المشحون فيه، إنه بكل تلك السيئات قد نفّر الناس من نفسه. وبشكل خاص إذا انتقلت الإدارة إليه فإن كافة

الأهالي متأكدون من أنهم سوف يُذبحون ذبح دجاجة. وأن الأهالي في منطقة (نجد) إذا أحسوا أن الجيش خادم لتحقيق رغبات «ابن الرشيد»، فإنهم سوف يقاومون الجيش إلى آخر فرد، ويقاتلونهم بصبر ومتانة.

ومع صحة القول بأن السكة الحديدية وخط رجعة الجيش سوف تكون في خطر إذا تم الاستغناء عن تعاون «ابن الرشيد»، فإن نفوذه ليس على درجة كبيرة من القوة والأهمية. فقد ترك ثلثا قبيلة «الشمر» اليوم أميرهم «آل الرشيد»، والتجأوا إلى «العراق» و«الكويت». وفي الغارة التي قاموا بها قريباً على عشيرة «هيتم» الموجودة في جوار سكة حديد الحجاز رجعوا منهزمين.

إن الأوضاع الحاضرة في منطقة (نجد)، والمشكلات الواقعة فيها، وافتقاد المياه فيها وكثرة البدو بها، يجعل اللجوء إلى اتخاذ تدابير مهمة يجب القيام بها. غير أن القضاء على تلك المشكلات وإجراء التنظيم الإداري فيها يحتاج إلى بذل الجهد والهمة وصرف المال والوقت. ونظراً لعدم وجود بديل عنها لصرف المال وبذل الجهد، فإن توديع إمارة (الجبل) و(القصيم) و(عنيزة)، و(الوشم)، و(السدير)، و(المحمل)، و(العارض)، و(الفرع)، و(الخرج)، و(الدواسر) إلى أمرائها السابقين، وإعلان التشكيل الإداري فيها حسب أهميتها الجغرافية بأنها «قضاء» أو «ناحية»[1]، ومنح رتبة القائمقام أو المدير لأمرائها، وربطها حسب قربها المكاني بولاية (البصرة) و(الحجاز)، وإرفاقهم كاتباً يلمُّ

---

[1] الناحية في عهد الدولة العثمانية وما زالت في تركيا الحاضرة: تطلق على التنظيم الإداري لمراكز سكنية أصغر من القضاء وأكبر من القرية. «المترجم»

باللغة التركية لإجراء الاتصالات الإدارية اللازمة، وتعيين بعض الأفراد منهم شرطة، ونصب بعض الأشخاص منهم ضباطَ شرطة، وتخصيص مبلغ معين من الضرائب لكل «ناحية»، تم انسحاب القوات العسكرية من المنطقة، وإبقاء قوة كتيبتين من خيالة الهجين وسرية من الهجين السريعة في (الحناكية)؛ إن ذلك كفيل وكافٍ لبقاء نفوذ الدولة في تلك المنطقة.

وإذا ما وقع نزاع بين تلك الإمارات؛ فإن لم يمكن الفصل فيما بينها بالأوامر والنصائح، فيمكن إرسال قوة الهجين لتأديب الجهة الظالمة، وبذلك ينتشر احترام النظام في المنطقة.. ويمكن استخدام الكتيبتين تلك في الحفاظ على سكة حديد الحجاز، وفي وقت الحاجة يمكن استخدام القوات الرديفة، وبذلك تظهر إمكانية إيصال الكتائب الأربع تلك إلى محل مطلوب في وقت سريع. ونظراً لعدم إمكانية القيام بترصد سكة حديد الحجاز والمحافظة عليها من تخريبات البدو، فإنه يمكن القيام بالتركـ[illegible] المتنقلة تلك بهجوم على الأماكن التي تقيم فيها عشائر المنطقة وتأديبها، وفي حالة القيام بجلب العشائر وإسكانها على خطَّيْ السكة؛ تضطر عشائر المنطقة لانتظار الخط.

وأرجو من المقام العالي قبول عذري فيما تجرأتُ إليه من بيان وأرجو عطف ذلك إلى حسن النية، والعفو على ما صدر مني من أخطاء.

٥ تشرين أول ١٣٢٠ [الموافق] ٥ شعبان ١٣٢٢هـ.

□□□

المرحلة الثانية:

نظراً لوصول معروضاتي وبرقياتي المُشعرة بهزيمة (قصر ابن عكيل) إلى المقام العالي، ومعروضات «الأمير» المؤيِّدة لحصول الواقعة البائسة، فقد كان ذلك باعثاً لتزييد همَّة المتسببين في الحركات العسكرية تلك، صدرت الإرادة السلطانية بإرسال فوجين من المشاة وفوج من الخيالة وسرية مدفعية من فيلق الجيش السادس، وإرسال المشير «أحمد فيضي باشا» شخصياً للقيام بإجراء إصلاحات في (القصيم)، وسوق الفوج الاحتياطي الموجود في (المدينة المنورة) تحت قيادة الفريق «صدقي باشا»، وتم إبلاغ الإرادة السلطانية إلى الأماكن المعنية..

وأثناء انشغال «أحمد فيضي باشا» بتحشيد القوات العسكرية في (نجف) الأشرف، وتكميل النواقص ومبايعة الإبل؛ أرسل «عبد الرحمن الفيصل» و«صالح المهنا» برقية إلى المشير، عَرَضَا فيها طاعتهم لتنفيذ الأوامر الملوكية. فقام السيد المشير ببعث معروضاً إلى المابين والدوائر السَنية، فحواه: «إذا صدرت الإرادة العالية حول صرف النظر عن سوق الجيش، والذهاب شخصياً إلى (القصيم) للاجتماع بالأمراء في (نجد) لإزالة آثار النفرة من بينهم، واستتباب الأمن في المنطقة، ثم العودة مع القوات الباقية في (الجبغة)؛ فإن ذلك يخلصنا من صرف مبالغ من المال ويقينا من هلاك الأرواح». فحاز المعروض على تقدير مجلس الوكلاء، وصدر أمر بعودة القوات المتحشدة في (نجف) إلى أماكنها، غير أنه قبل أن تغادر القوات المكان المذكور وردت برقية أخرى تأمر «أحمد فيضي باشا» بالتحرك فوراً.

ونظراً لعدم تأدية الحوالات المرسلة إلى الولايات لمصاريف تلك الحركات العسكرية، فقد أرسل المشير باشا الكتيبة الرابعة من الفوج ٤٢، والكتيبة الرابعة من الفوج ٤٨ إلى جهة (سماوة) و (ديوانية)، للقضاء على الفوضى الذي ظهر فيهما. ووصل الباشا نفسه مع بقية القوات إلى (آبار واقصة). ونظراً لتبيُّن عدم إمكانية نقل ذخيرة الجيش بالإبل الموجودة؛ فقد اضطر الباشا لترك الكتيبة الثانية من الفوج ٤١ والكتيبة الثانية والثالثة من الفوج ٤٤ ومدفعية من طراز ثلاثة فوندات ومن نوع (مانتللي) اضطر لتركها بقيادة الميرلواء «يوسف باشا» في (واقصة)، وبذلك اضطرت الكتيبة الثانية من الفوج ٤١ والإشارة [لعلها كتيبة سلاح الإشارة] الثانية عشرة، والكتيبة الأولى من الفوج ٤٥، وثمانين نفراً من خيالة الفوج الأول، اضطرت إلى التحرك من (وامق)، ومعها ثلاث مدفعيات من طراز ثلاثة فوندات ومن نوع (مانتللي)، ومدفعيتين من طراز ستة فوندات ومن نوع (بروارديل)، وفرقة موسيقى الجيش. في تاريخ ٢٦ كانون أول ١٣٢٠.

وتحركت الكتيبة الأولى والثانية والرابعة من الفوج ٤٠ بقيادة الفرايق «صدقي باشا» من (المدينة المنورة) في تاريخ ١٤ شباط ١٣٢٠ ومعها مدفعية (شيشخانه لي) من طراز أربعة فوندات، وأربعين بغلاً مع أربعين إبلاً مما استأجرها الأمير.

وفي الفترة التي تحركت فيها القوات من (نجف) و(المدينة المنورة) إلى وقت مواصلتها إلى (القصيم)، كان من المستحيل فهمُ ما نحن فيه من المصائب في مقبرة المذلة (الجبغة). وكما جاء في المثل «ما لم تره العين يتحمله القلب»، فإن القيام بشرح المصائب التي ابتلينا بها في (الجبغة)، سوف لا يُقبل عقلاً ويُعدُ مبالغةً، وبخاصة الأوضاع السيئة التي يتعرض لها الجيش في وقتِ الحاجة لاستتباب الأمن في المنطقة

تلك فقد صُرِفَ النظر عن شرحها.

والظاهر أن دعوة أفراد الجيش المظلومين العميقة الخالصة الذين كانوا يصارعون الجوع قد وجدت الاستجابة من الرحمة الإلهية، فنزلت أسراب جراد مائدةً سماوية. فقام أفراد الجيش المقتدرين على المشي برفقة ضباطهم بجمع الجراد. وقد قضينا عدة أيام على تلك الجراد التي كنا نجمعها في الليل. غير أن فاكهة الصحراء تلك أيضاً نفدت بعد فترة قصيرة. ولبيان شدة ما تعرض له الناس من المصائب يذكر في التاريخ أوقات القحط أو الحصار بأكل الحُصُن والحُمُر، ونفاد الكلاب والفئران والقطط، في تلك الأوقات. أما في مثل هذه الصحاري فإن تلك الحيوانات غير موجودة حتى في أيام الطفرة والرفاهية. ولذلك لم يكن هناك احتمال وقوعها في يد الجيش. وكانوا يقومون بغلي جلود الإبل البالية لصُنع الخفاف منها، ثم يشربون مَرَقَها. وأظن أن قيامهم بمص عظام الميتة من الحيوانات كافٍ لبيان شدة ما ابتلوا به.

ومع أن الأمير بدأ منذ أن كنا في قرية (شنانة) بتقديم الشكاوي ضدي، إلا أن معروضاته المكررة تلك لم تُقبل، مما أدّى إلى تزييد نفرته. غير أن معروضاتي التي وضّحتُ حقيقة حال «عبد العزيز الرشيد» ابن لوكيله «رشيد الليلة» الموجود في (استانبول)، وأفهمَ وضعه بالتفصيل. فقام المذكور بعرض ذلك على الأمير وتبليغه بها، وكان ذلك سبباً لازدياد نفرته عني. ونظراً لوقوف حاشية الأمير وأصدقائه المقربين على حقيقة تلك الأوضاع [والعداوة التي بيني وبينه]؛ فقد قام أحد أولئك بإطلاق رصاصة عليَّ أثناء هزيمة (قصر بن عكيل)، حيث مرّت الرصاصة من أذني، فالتفتُ إلى الجهة التي قدمت منها الرصاصة

فعرفتُ الرامي، إلا أن هذا الجلاد لم يُصر على رأيه في قتلي فولّى هارباً. وفي الفترة التي قضيناها معاً، والمقابلات التي كانت تتم بيني وبينه، والاعتراضات التي كنت أقوم بها في وجهه منطلِقاً من ضميري ووجداني، كل ذلك حوّل نفرةَ الأمير مني وعداوته لي إلى درجة الانتقام مني. ومع أن الإخوة ذوي التقدير والاحترام قد نبَّهوني على عدم تجاوزي في ذلك، إلا أن السيد المشير أيضاً أمرني بالبرقية على الا أزِيدَ على ذلك. وكان هذا العاجز [أي المؤلف] يرجح الموتَ للخلاص من هذا الوضع السيء. لكن كنتُ أتأسف على موتٍ مشرِّف. وقد حاول عبيد الأمير في ليلة من الليالي قتلي، إلا أن التيقظ المستمر من أصدقائي الأعزاء كان مانعاً من ذلك، مع أنهم لم يخبروني بذلك.

ولمَّا تحقق أمرُ تعيين السيد المشير على معسكرنا، فقد تغيَّرت الأوضاع نهائياً، حيث كَثُرَت محاولات قتلي والتخلص مني. بل قد جرت محاولات عدة أيضاً من أفراد الجيش والضباط الذين نسوا أداءهم للخدمة العسكرية المقدسة، وانتسبوا للأمير. ولم يكن بالإمكان تلافي تلك المحاولات. وقد تعرضنا في ليلة لثلاث طلقات، غير أن تلك المحاولة أيضاً بحمده تعالى باءت بالفشل. وتم القبض على الجناة وتوقيفهم، وأرسلت القضية إلى ديوان الحرب.

وكان الضباط العاملون بإخلاص وهمّة وحمية، وأصحاب الضمير الحي، الذين لم يظهر منهم الخضوع لمذلات «ابن الرشيد»؛ لم يكسبوا توجه الأمير.. ونظراً لقيام نزاع بين نقيب من الزمرة المنفورة [أي القائمين في وجه ابن الرشيد] وبين ملازم أول في مفرزته، حول ... وتسليم الأشياء، فقد شكاه النقيب إلى قائد الكتيبة، متهماً إياه

تنفيذ الأوامر الصادرة إليه، مع تحذيره إياه عدة مرات.. وما كان هناك من شك في أن جراءة الملازم الأول كانت لكونه من أتباع [الأمير].. وقد أنبأتُ قائد الكتيبة بأن يأتي بالنقيب والملازم أول مع دفتر دور تسليم الأشياء.

وقد أتى إليَّ قائد الكتيبة والنقيب والملازم أول. ولمَّا بدأتُ أحقق الدفتر وجدتُ أن الملازم أول هو الذي قام بالتزوير، فأريتُه إياه. أنه ردَّ عليَّ بأجوبة فيها نوع من اللامبالاة وقلة أدب. ولمَّا عرفتُ منه، وتأكد لي أني لو أضغط عليه أكثر لازداد من قلة أدبه، قلت: «مادمتَ تحاول ستر تزويرك فإنني سوف أحيل قضيتك إلى ديوان الحرب العام، اذهبوا». فبناء على كلامي هذا ما كان منه إلا أن سلَّ سيفه وهاجم عليَّ ليقتلني، إلا أن سيفه أُخذ منه ووُقِّفَ..

في فترة إحدى وعشرين وسنة قضيتُها في الخدمة العسكرية لم أكن سمعت من أحد - سواء من قوادي أو من زملاء المعركة - كلاماً نابياً أو فيه نوع من الحدة والشدة. ولذلك فقد تألَّمتُ من تصرف الملازم أول ذلك تألماً شديداً. فلو كان هذا الضابط قام بتشهير السلاح حفاظاً على كرامته وشرفه، كنتُ قدَّرتُ فعله وتعذرتُ منه.. ومع أني لم أكسب من هذه الحياة شيئاً، إلا أني مدين لإخواني الأعزاء الذين وقفوا معي وساعدوني إلى آخر عمري، وعلى أقل تقدير أن أعدائي لم يصلوا إلى مبتغاهم.

وصلنا إلى أكواخ أهالي قرية (الجهفة) وسكنَتْ فيها الكتيبة الأولى والفوج !! فيها و[سرية] المدفعية، واتجهت ثلاث كتائب إلى قرية (الذنيبة)، الواقعة في مسافة عشرين دقيقة من شرق (الجهفة).

وكان الأمير بمعيته وأفراده يقيمون في (الجهفة).. وقد سمعنا يوماً صدى المدافع، فأرسلتُ ضابطاً للتحقيق. فتبيَّن ورودُ الإرادة السلطانية التي تقضي بـ«منح الأمير ثلاثة آلاف ليرة مكافأة له على خدماته السابقة، وتخصيص راتب شهري له بمبلغ خمسة وعشرين ألف قرش». وبناءً على ذلك أطلق قائد المدفعية سبع طلقات من المدفعية، لإعلان البشرىٰ بذلك. وفي الوقت نفسه كان أولاد السلطان المعنوي يصارعون الموت بعدما وقعوا أسرى الجوع.

«سبهر كج عطادن راست كاران بهره دار أولمان».

طلبنيَ الأمير في يوم من الأيام. فذهبتُ إليه، فقال: «كتبت الجرائد المصرية[1] وفاة السلطان مراد».

---

١) كانت جرائد اللواء والمؤيد تصل إلى الأمير وإلى يوسف الإبراهيم باستمرار. وقد وصل يوسف الإبراهيم بمَعيَّته إلى المعسكر بعد مصادمة (البكيرية). وكان من ضمن الموجودين في معيته رجل كان يسمى «عمر أفندي». وكان عمر أفندي هذا يتميز بذكائه ونكته. وقد حكى لي حكايته على النحو التالي: كنتُ أعمل في السابق في دائرة كتابة شرطة (السويس). ونظراً لعدم ملاءمة طبعي لذلك تركتُ العمل فالتحقتُ بـ«الشريف عون الرفيق». ولمَّا لم أستطع تحمُّل أحوال الشريف الغريبة، توجَّهتُ إلى (المدينة المنورة). وهناك تعرَّفتُ على «يوسف الإبراهيم». فجئنا معاً إلى (حائل). وما زلتُ حتى الآن أتجوَّلُ في هذه الصحاري مع «يوسف الإبراهيم»..
ولمَّا كانت تلك القصة القصيرة أيقظت لديَّ ودائع مهمة فقد قلتُ له: «الظاهر أن جوَّ الصحراء قد أفادكم، فيبدو بصحة جيدة، أنتم مرتاحون». فرد عليَّ: «نعم، يوسف الإبراهيم رجل خارق، وأنا مرتاح». بقي معنا في

فردّيتُ عليه قائلاً: «رحمه الله رحمة واسعة. فقد كان الناس أيام سلطنته القصيرة متفائلين بالخير. وكان قضى ثمانية وعشرين عاماً من حياته في المحبس. ولم يبتسم وجهُ الشعب بعد وفاته. فهو السلطان أسوأ حظاً من سلاطين آل عثمان».

فكان هذا التصريح مني فرصة مواتية للأمير، بغية استثارة غضب السلطان تجاهي. حيث كان يتحين الفرص للقيام بتقديم شكوى ضدي. فكان بالحصول على الحجة تلك مسروراً. غير أنه بدّل كلامي على النحو التالي «لم يكن المرحوم سلطان مراد مجنوناً، بل كان السلطان عبد الحميد مجنون». فأرسل ساعياً خاصاً إلى محافظ (المدينة المنورة)، لعرض القضية على المقام العالي.

غير أن محافظ (المدينة المنورة) أراد ضرب عصفورين بحجر، فأكد على وجوب رفع البرقية من قِبل الأمير شخصياً وأعاد البرقية. ولمّا رجع الساعي بالبرقية؛ صرف الأمير النظر عن إرسالها قائلاً المثل المشهور «من سبك بذلك».

ولو كان الأمير كَتَب كلامي كما حكيتُ لكان وصل إلى مبتغاه بسهولة. غير أن طبيعته السيئة قد دفعته إلى التزوير وتقليب الكلام،

(الجهفة)، إلا أنه تغيّب عنا بمجرّد ورود خبر قدوم السيد المشير.

وليس بعيداً عن الاحتمال أن تحمله للحرمان في كثير من الأسماء في هذه الصحاري، ليس بدون مقابل، بل يظهر أن له نفعاً شخصياً، فقد يكون أرسل لعمل مخصوص. لأن «عمر أفندي» ليس رجلاً عاطلاً عن العمل، حتى في أعماله لما كان في (مصر).

إلا أنه لم ير حكم وأثر تزويره ذلك..

أرسل السيّد المشير بعض الذخيرة من (لينة)، والفريق باشا من (جليب صلبه). ووصلت من (جليب صلبة) أيضاً الملابس والخيام المرسلة من (استانبول) مع «صدقي باشا».. وقد تم ركز الخيام في القرب من آبار (الجهفة)، في السادس عشر من عام ١٣١١ [هكذا.. والصحيح ١٣٢١]. وبذلك تم إخراج الجيش من الأكواخ والاسطبلات، ووزّعت عليهم الملابس الجديدة والأحذية، وغيرها من الحاجات، وأحرقت الأكياس التي كانوا يلبسونها. ومع أن بطون العساكر مازالت جائعة، إلا أن تجديد ملابسهم بحمده تعالى، قد أدّى إلى ظهور نوع من الحركة والنشاط في المعسكر. وكان يتم في هذه الأيام توزيع سبعين غراماً من الدقيق، وكمية قليلة من الأرز وفي بعض الأحيان اللحم.

وبناءً على أمر السيد المشير، فقد التقت القوة المرافقة للفريق باشا، والقوة الموجودة مع السيد المشير، وسريتين من الكتيبة الموجودة تحت قيادتي، ومدفعية من طراز أربعة فوندات مع قائمقام المدفعية «حليم بك»، [التقت تلك القوات] في قرية (كوارا) وذلك في ٢٣ مارس ١٣٢١.

وقد كان السيد المشير قد أقام معسكراً في الثاني من نيسان في الشمال الغربي من (بريدة) بمسافة نصف ساعة. ولمّا كان «صالح المهنّا» قد أتى إلى السيد المشير وعرض عليه طاعته؛ فقد تم رفع العلم العثماني على قلعة (بريدة) بعد تعبئة مفرزتين من الجيش فيها. لتحرك الجيش بعد ذبح الأضاحي شكراً لله تعالى، وتم إنشاء مقر للجيش بين (روغاني) ومدينة (عنيزة). ونظراً لتقديم أمير (عنيزة) أيضاً طاعته للدولة؛ فقد أقيمت فيها مفرزة من الجيش وترفرف العلم العثماني على

البلد، وتم بعد ذلك ذبح الأضاحي شكراً لله تعالى.

وبعد وصول السيد المشير إلى (القصيم)، ارتاح أفراد الجيش وانتشر السرور بينهم. غير أن شيوع خبر قدوم المشير بذخيرة لمدة ثلاثة أيام فقط، قد بدّل مكان السرور حزناً، وأثر على نفسياتنا من العودة إلى الإصابة بالجوع للمرة الثانية.

ونظراً لقيام «عبد الرحمن الفيصل» بتقديم طاعته للدولة، فقد تكونت من مناطق (السدير) و(الوشم) و(العارض) قائمقامية قضاء، وعيّن على المتصرفية (القصيم) «صالح المهنا»، وعلى مديرية (عنيزة) «عبد العزيز السليم»، وتم تسليمهم أوامر التعيين وإعادتهم إلى أماكنهم، وبذلك تم استتباب الأمن.

وبناء على عرض النجاح الذي أحرز في المنطقة على المقام السلطاني، فقد وردت برقية تهنئة، ذكرت فيها تحيات أمير المؤمنين على الأهالي والموظفين، وقام الفريق باشا بقراءته على الملأ، بعد اجتماعهم في مدينة (عنيزة).

أما حضرة الأمير [عبد العزيز الرشيد] الذي انقطع أمله من الجيش بعد الإجراءات الإدارية الجديدة؛ فقد أرسل لي معروضاً يطلب فيه منحه المدفعيتين من مدافع الجبال الممنوحة من المقام العالي، دون مقصاتهما. وكان تسليم المدفعيتين ذات الحمسمانة خطوة مع مقصاتها إلى الأمير مما وردت به الإرادة الجليلة قبل تحركنا من (السماوة). ومع أن المرحوم «شكري بك» عرض موضوع أخذ المدفعيتين من الأمير لمّا كنا في (أبو ذويحة)؛ غير أنهما بقيتا في السرية بناء على قول الأمير: «سوف آخذها في المستقبل». أما الآن فقد كنتُ مضطراً

لأخذ موافقة السيد المشير، نظراً لطلب الأمير. وبناءً على ورود أمر السيد المشير؛ فقد سلّمتُ المدافع مع بقية العتاد العسكري.. وبعد تلك الإجراءات والتنظيمات الإدارية، وأثناء انتظارنا لورود خبر إعادة القوات العسكرية إلى فيالقها، صدرَ أمرٌ في الواحد والعشرين من نيسان بتعيين السيّد المشير للقيام بإجراء إصلاحات إدارية في (اليمن). فسلَّم قيادة (القصيم) إلى «صدقي باشا»، وتحرَّك مع مائتي نفر من الجيش المحافظ بالإبل إلى (المدينة المنورة). ونظراً لعدم وجود الذخيرة والمال في النقْرة، فقد انتظرنا فترة ثلاثة أشهر من تحرّك السيد المشير الذي وعد بإرسال الذخيرة من (المدينة المنورة). وفي تلك الفترة كلها كان «محمد شبيلي» من تجار (عنيزة) قد وفَّر جميعَ حاجات القوات العسكرية المتحشدة في (القصيم). وكان هذا الرجل الكريم، عالي الخُلُق إضافة إلى ذلك قد دفع مائتي ليرة نقداً لشراء المواشي، وبذلك أظهر حمية وطنية رائعة.

وبعد تحرّك السيد المشير بيومين، قام «عبد الرحمن الفيصل» بإرسال أنبوبة المدفعية ذات أربعة فونتات التي استولى عليها من الجيش أثناء هزيمة (قصر ابن عكيل)، وقابل هو نفسُه «صدقي باشا» وعاد.. ولما كان الفريق باشا لا يرى من المناسب المكوث في (عنيزة)؛ فقد اضطر إلى الانسحاب إلى قرية (شيخية) الواقعة في أقصى غرب (القصيم).

قام «عبد العزيز الرشيد» بنهب أطراف (القصيم)، ومرّ على المعسكر، فاستراح فيه يومين، ثم لما كان انسحابه إلى (الجبل) موافقاً لنيته السيئة فقد استمر في إزعاج القصيميين. [هكذا.. ولعل قصد المؤلف أن المذكور كان يستمر في هجومه على الأهالي دون ما يسأله]

إلى (الجبل)!.

ومع أن قائمقام (القصيم) «صالح المهنا» اشتكى من أفعال الأمير الشمري عدة مرات؛ إلا أنه كان يمنع كل مرة من قبل «صدقي باشا». فاستفاد الأمير من ذلك، فقام بإعلان أنه سوف يقوم مع الجيش بهجوم على (القصيم)، وأن الأتراك وضعوا بعضاً من أفراد الجيش في (بريدة) و(عنيزة) بغية تسهيل الاستيلاء عليهما. ولما كان تلك الشائعات تم تأكيدها بأفعال الأمير، فقد وقع اليأس بين القصيميين [تُجاهَ الحكومة].

ومع عرض الأوضاع غير المستقرة تلك على الفريق باشا، ومحاكاته عدة مرات على ضرورة سحب القوات المتبقية في (الجهفة) إلى (الشيذية)، إلا أنه كان يردّ على ذلك كل مرة بوجوب البقاء هناك وإرضاء الوقت بالذخيرة التي ترسل إليها بالقافلة كل أسبوعين مرة.. وعرض عليه أيضاً أن النزاع بين القصيميين والشمر إذا اشتدّ فإن القافلة لن تتمكن من إيصال الذخيرة إلى القوات الموجودة في (الجهفة)، غير أنه لم يظهر موافقته على ذلك أيضاً. فطلبتُ منه رخصة للقيام ببعض التحريات الشفوية، فحصلتُ على الإذن وذهبتُ إلى (الشيذية). فوجدتُ أن القوات الموجودة فيها أيضاً تقضي أيامها بـ«قوت لا يموت». ولما تم عرضُ المحاذير التي تكتنف الموضوعَ للفريق مرة أخرى، فحصلت موافقته هذه المرة لكن بصعوبة. فأتت القوات الموجودة في (الجهفة) إلى (الشيذية)، حيث تجمّعت فيها قوات (القصيم)، وذلك في اليوم الخامس عشر من تموز.

وبما أن الأمير تجاوز الحدَّ في الهجوم؛ فقد استولى على قرية (الرس). فعرض قائمقام (القصيم) على الفريق باشا أن مدير (الرس) قد

فرَّ هارباً إلى (بريدة) للنجاة بروحه، وأنه تم استلاء «عبد العزيز الرشيد» على قرية (الرس) وهي من ملحقات قضاء (القصيم).. وكان الفريق باشا بذلك قد وقع في مشكلة؛ فلو قام بتوبيخ الأمير لنقد توجهات المابين، ولو أغضب القصيميين لبقي الجيش جائعاً. وفي الحقيقة أنه كان يريد إرضاء الطرفين، غير أن تردُّده ذلك لم يستمر طويلاً، فوردَ خطاب من قائمقام (القصيم) على النحو التالي:

«مادمتم لا تحافظون على حقوق موظف عينَ من قِبَل السيد المشير، ويظهر أن تجاوزات «ابن الرشيد» مبنية على مسامحتكم؛ فإننا لسنا عاجزون عن الدفاع عن أنفسنا ضد تجاوزاته. وقد انتظرنا تدابيرَكم حتى اليوم. لكن منذ الآن فإننا نعرض عليكم أننا نُمسك بالسلاح للحفاظ على كرامتنا وشرفنا. وقد قدَّمتُ سابقاً ومرّات عديدة شكاوينا في هذا الصدد [أعذر مَن أنذر].

وقد ورد خطاب أيضاً من مديرية إدارة (عنيزة)، وكان يُشعر بعدم إمكانية إيقاف الأهالي وتسكينهم في قرية (الرس) بعد الاستيلاء على القرية [من قِبَل ابن الرشيد].

فردَّ الفريق باشا على تلك المعروضات بنصائح تحوي أنه سوف يقوم بإسكاته..

تم إعداد خطاب خاص من قِبَل الفريق باشا وإرفاقها بالمستندات الخاصة التي أخذها «محمَّد الشبيلي» من الكتائب مقابل النقود والذخيرة التي كان يقدمها للجيش، وتسليمها للمذكور، وأبلغ عن إمكانية تحصيلها مِن قِبَل وكيله في (البصرة). فقام وكيل «الشبيلي» في (البصرة) بتقديم الأوراق لإدارة شؤون المالية [في الولاية]، غير أنه قابلته مشكلات في

التحصيل. فحصل في النهاية رِضَى الدفتردار [مدير المالية] وذلك بالتنازل عن عشرين في المائة من المبلغ، وأخذ المبلغ المكتوب في المستندات [مع نقص عشرين في المائة]. فحَصَلَ بذلك «محمد الشبيلي» - الرجل كريم الخصال الذي خلَّص الجيش من الموت المحقق - على مكافأة كَرَمه وشهامته!!.. كنا متأسفون من بدو الشمر [أتباع ابن لرشيد] الذين نهبوا ملابس أفراد الجيش أثناء مداواة جراحهم. وقد فقدتُ أملَ النجاة لمَّا رأيت قيام موظفي الدولة بالعمل في هلاك وإفناء أولاد الوطن، وتيقَّنتُ من ازدياد السوء في هذا الوقت المنحوس ووصوله إلى هذا الحد.

وبناءً على استلام الفريق باشا الخطابات الواردة إليه من (بريدة) و(عنيزة)، وأثناء تفكيره فيها، تمَّ تسليمه أيضاً خطاب «الشبيلي»، الذي كتب فيه تظلُّمه والأضرار التي ألحقت به، وكان قد ختمها بالجملة المؤلمة التالية:

«يعد القائم بخدمتكم حقيراً؛ والقائم بخيانتكم والعامل على إفنائكم عزيزاً مكرَّماً. وبما أن ضميري غير ميَّالٍ إلى السوء، فإني أرجو أن تعفوني من خدمتكم بعد الآن».

وبعد تلك اللحظة أغلِقَ بابُ النجاة أيضاً. وفي الحقيقة أن «محمَّد الشبيلي» كان ينوي الاستمرار في تموين الجيش وتأمين احتياجاته.

ولمَّا رأيتُ وصول الدناءة وسوء الخلق بموظفي الدولة إلى حدّ لا يمكن معه التحمل، وشعرتُ أن قلبي المجروح لا يتحمَّل أكثر من ذلك؛ أردتُ الانسحاب إلى زاوية والقيام بتدريس الأولاد، وقدَّمتُ نسختين من خطاب الاستعفاء عن العمل - وقد أدرجتُه في نهاية هذا البحث - إلى

الفريق باشا..

كان الفريق باشا يحاول توفير المواد الغذائية لتموين الجيش من (القصيم) نظراً لغلاء المواد المرسلة من المدينة المنورة، ووصولها بنقص كبير. وبما أن الأمل قُطِعَ من (البصرة) بسبب ارتكاب مدير ماليتها، فقد كتب الفريق باشا إلى محافظية (المدينة المنورة) حول مبايعة الإبل، وتأسيس خط المنازل على الطريق لتأمين تموين الجيش.

كانت أجرة الإبل للمواد المرسلة من (المدينة المنورة) إلى (الشيخية) يبلغ ٣٣٤ قرشاً. وبما أن شيخ (المدينة المنورة) «باب العرب» كان يرافق كل قافلة قادمة منها، فكان يُدفع أيضاً على كل قافلة ٥٥٠٠ قرش للبدو باسم (تدارك مصرف «رفق»).. وقد تم حساب نقل سبع قوافل قدمت من (المدينة المنورة)، [دون] محاسبة المواد المسروقة أثناء الطريق. فتبيَّن أنه دُفع ٣٨٠ قرشاً لمائتي كيلو من المواد مع المواد الضائعة. ونظراً لأن هذه الأجرة كانت غالية، بدأتُ أتحقق من أجرة نقل الأغراض التجارية. ولمَّا تبيَّن أنها تكلف ١٢٠ قرشاً، قمتُ بإجراء تحقيق في الأسباب الكامنة وراء نقل تموين الجيش بذلك المبلغ الكبير. فسألتُ أصحاب الإبل، فبيَّنوا أنهم إذا حصلوا على ١٢٥ أو ١٣٠ قرشاً فإنهم يعتبرون أنفسهم مسرورين. فانكشف أنه يُسرق على كل جمل ٢٥٠ قرشاً. ثم تبيَّن أن حضرة الأمير كان يأخذ على كل جمل ١٠٠ قرشاً [باسم] تأمين الطريق. وبذلك ارتفعت المقارنة، حيث كان قد تم إشعارنا بأن كيس الدقيق في (المدينة المنورة) يباع بمائتين قرش، وقد تمَّ الاتصال بالتجار، وسألتُهم عن التكلفة في حالة جلبها من (الكويت). فبيَّنوا أن كيس الدقيق في (الكويت) يباعُ بمائة قرش، وأن

هناك تجاراً يضمنون وصول الدقيق إلى المعسكر ويتقاضون ٦٠ قرشاً على أجرة النقل، ويتعهدون بذلك.

وقد تبيَّن أن المواد الغذائية في حالة جلبها من (الكويت)، يكلف الكيس الواحد من الدقيق بعد تسليمه ١١٠ قرشاً. أما كيس واحد من الدقيق المرسل من (المدينة المنورة) فكان يكلف ٣٩٠ قرشاً. وبناءً على تلك المقارنة، فلو أن التموين العسكري جلبت من (الكويت) بدلاً من (المدينة المنورة)، كان يتم التصرف لصالح خزينة الدولة بمبلغ سبعمائة ألف ونيف قرش خلال ثلاثة أشهر فقط. «الإنصاف نصف الدين».

تم عرض خسارة الخزينة والصعوبات التي تلاقى في الطريق في حالة جلبها من (المدينة المنورة) على الفريق باشا بشكل مفصل، وطُلب صدور الإذن منه بجلب المواد بعد ذلك من (الكويت)، إلا أنه لم يترجى القيام بذلك، قائلاً : «إن ذلك لا يوافق رغبة السلطان وقد يجلب غضبه». وفي الحقيقة أنه لو تم جلب المواد من (الكويت)، كان يزداد الاختلاط بالبلد، ويتم إنشاء مستودع كبير للذخيرة بهذه الوسيلة، ويقوى نفوذ الدولة بها.

ونظراً لعودة وكلاء الأمير «ناصر الحشمان» و«سبهان العلي» في (المدينة المنورة) و(نجف)، فقد تم البدء بإجراء التحقيقات اللازمة معهما من عدم وصول المواد المرسلة من هناك إلى الجيش بالكامل. وقد تبيَّن أنهما سوَّقا جميعَ المواد التي استلموها من الجهات العسكرية، وكان ذلك معلوماً من إشعار الأمير. ولمَّا تم حساب المواد التي قُدمت إلى الجيش في (الجيفة)، ظهر النقص على النحو التالي: إحدى وأربعين ألف كيلو دقيق، أرز، خبز مجفف، سكر، صابون، شعير.. وكانت تلك

المواد مع وصولها إلى (الجيفة)، نُهبت من قِبل الأمير، فادَّخرها في مستودعاته في (حائل). «اعتبروا يا أولي الأبصار».

والألم يكمن في أن «عبد العزيز الرشيد» مع تحقق خياناته تلك مازال مَظهراً لتوجه السلطان. وقد وردت بشكل خاص الإرادة السلطانية إلى الفريق باشا، وتم إبلاغ «ابن الرشيد» بالبرقية، تبيِّن الإرادة السنية «أن التحرك بخلاف رغبة صاحب الفضيلة حضرة «ابن الرشيد» الذي تأكدت صداقته، مخالف لرغبة السلطان»، وأنه سوف يرسل له مع مبعوث خاص الوسام العثماني من الدرجة الأولى، وبعض الهدايا السلطانية عطيةً من أمير المؤمنين.. وقد تم تشهير وإعلان تلك البرقيات في المعسكر أياماً عديدة، وأُثبتت مضامينها لكافة الضباط.

ويبدو واضحاً من هذه الوقائع أن المابين كان يبحث عن جلادٍ لإفناء هذا الشعب المطيع. ونظراً لتقدير وحشية «ابن الرشيد» الدموية [من قبل السلطات العثمانية]، فكانت المكافآت والرتب والعطايا لا تكفي للإنشاد به. وبذلك كان أهل الشرف والكرامة وأصحاب الضمائر السليمة، مَظهراً لغضبِ السلطان.. وكان ينبغي أن يُقدِّر هذا الشعب المظلوم تلك الحقيقة جيداً، ويعرف هدّام الوطن ويظهرهم. فإذا ما تم التصريح بهم، فهذا يعني أن مصائبنا قد اقتربت من النهاية.

إن تنقل تلك البرقيات المذكورة سابقاً بين أيدي الضباط أياماً عديدة، كان يعني ترسيخ نفوذ الأمير إزالة نفوذ الفريق باشا بين الضباط وأفراد الجيش وأتباع «ابن الرشيد».

تأثير البرقيات

كان من سوء نتائج السفالة والمسكنة المخيمة على معسكرنا، عدم عتراف الأدنى للأعلى، وتلاشى نفوذ الفريق باشا مع مرور الأيام، وازدياد الميل لـ«ابن الرشيد».

ولما كنتُ أحس بتعميم مثل تلك السيئات في المعسكر، بدأتُ أفكر في البحث عن طريقة للوصول إلى حياتي وحريتي. فقمتُ بتوثيق علاقاتي وحسن المعاملة مع رجال «صالح المهنا» الذين كانوا يتردَّدون على «صدقي باشا» بين فينة وأخرى، وبدأتُ أتصل بـ«صالح المهنا». فكتبتُ له عزمي على السفر إلى «المحمرة» بغية القيام بإجراء الشكاوي اللازمة للجهات المعنية، وانتظاري لموقفه في مدى معاونته للقيام بهذا العمل الخير. فورد إليَّ ردُّه الموضح أنه مستعد للتعهد بتوصيلي إلى المكان الذي أرغب فيه بأمن وسلامة. [يظهر هنا قطع الكلام، أو سقوط سطر أثناء الطباعة] وقد بلَّغتُ «صالح المهنا» وجوب إقامته [كأنه يقصد شخصاً من طرف صالح المهنا] في (عدن)، وفي حالة الحاجة أنني سوف أقوم بالاتصال به، وبدأتُ أنتظر الأيام التي يتحدَّد فيها مصيري المظلم.

ومع أن «صدقي باشا» كان من المقرَّبين للمابين وبناءً على ذلك كانت لديه الرغبة في تنفيذ الإرادة السلطانية فعلاً؛ إلا أنه لم يكن يرغب مع ذلك في القيام بهجوم على (القصيم) متفقاً مع «ابن الرشيد» في تحقيق رغبته.

أما الأمير فنظراً لكونه يتلذَّذ من سيلان الدماء؛ فكان وجود عشرة آلاف من الجيش وعدد كبير من المدافع بين أيديه دون القيام بعمل ما،

يحرِّش أعصابه ويتعبُ ذهنَه، مما دفعه إلى الاستمرار في تقديم الشكاوي ضد «صدقي باشا» بدلاً من قضاء أوقاته في الراحة.

وبناءً على شكاوي الأمير تلك، وردت الإرادة السنية الصادرة حول نقل «صدقي باشا» إلى (بغداد)، وتعيين «سامي باشا» الميرلواء في الأركان الحربية متصرِّفاً وقائداً عاماً على (القصيم)، وإلحاق منطقة (نجد) بولاية (البصرة) باسم متصرفية (القصيم).

وبما أن «سامي باشا» كان شخصاً مقتدراً على العمل وذكياً وفعالاً وذات حمية وطنية، فقد سُررنا بتعيينه قائداً عاماً علينا. إلا أن الغريب في الأمر أن الوقت الذي قضيناه في ذلك السرور لم يدُم طويلاً. فقد طال وصول «سامي باشا»، وانتهت المواد التموينية لدينا، ولم تَقدم القافلة من (المدينة المنورة)، فانقلب الكابوس واليأس والقنوط على المعسكر للمرة الأخرى.

وقد قَدِمَ في تلك الأثناء ساعٍ من (المدينة المنورة). وكان من ضمن الأوراق التي وصلت إلينا الإشعار الذي يفيد أن «سامي باشا» غادر (استانبول). وفي إحدى خطابات محافظية (المدينة المنورة) الواردة مع هذا البريد، كان هناك خطاب فحواه: «مع الموافقة على شراء الأبل ونقل المواد التموينية من (القصيم) أو من جوار (المدينة المنورة)، وعدم المقدرة على إرسال قوة من (المدينة المنورة) لذلك، فالمرجو إرسال مفرزة من القوات الموجودة لديكم لسوق التموين إليكم. وإن لم تكن الطريقة هذه تريحكم، فلا سبيل سوى إرسال «الرفق» كما في السابق. وبما أنكم لم تردُّوا على الخطاب المرسل إليكم منذ شهر، والمحتوي على المعلومات المذكورة، فالمرجو إشعارنا برأيكم القطعي في الموضوع».

ونظراً لأن سَوق التموين ونقله بإبل الجيش كان يعارض مصالح الأمير، فقد تأكد أن خطاب المحافظ ذلك كان قد أُخِذ من قِبل الأمير. وكان هذا البريد قد أتى به الأمير. غير أن قراءة هذا الخطاب من قِبَل أيّ من خُدّام الأمير بقيت مجهولة.

تم إرسال البريد مع هذا الساعي. ومرت فترة ليست قليلة من الزمن. وانتشر خبر عدم مجيء «سامي باشا» في المعسكر.

وانطلاقاً من تأثري بسوء الأوضاع فقد وجدتُ فرصةً للتحدث إلى «صدقي باشا» الذي كان في أثنائها متعمّقاً في التفكير وميؤوساً من الوضع المؤلم، فجرى بيننا الحوار التالي:

ح [أي حسني]: قد ازدادت الأوضاع سوءاً أكثر من ذي قبل في المعسكر. وبما أن معنويات الجيش منحطة من الأصل؛ فإن نقص التموين في المعسكر يسبّب من التشويش على أفكارهم وازدياد الفرار بينهم.

صدقي باشا: مع التصديق لذلك هل هناك حل لهذه المشكلة العويصة؟

ح: بإمكانكم القيام بتخليص المظلومين والتسبب في إنقاذ حياتهم، ولكم الأجر والمثوبة عند الله [تعالى].

صدقي باشا: لا أقصّر في تقديم الخدمات الممكنة أبداً.

حسني: إذا كان الأمر كذلك، فلننسحب إلى (الحناكية) بدلاً من أن نُدفَن في مقبرة المذلة هذه. فإذا عُرِض على مقام السلطان خطاب يشرح وضاعنا ومآسينا على النحو الآتي فإننا بالجملة سوف نصل إلى شاطيء النجاة: «لقد أُنهِكت قُوى الجيش من الجوع والفقر؛ وبدأوا في فرار إلى قرى (القصيم) والقيام بالشحاذة. وللحفاظ على كرامة الدولة اضطررتُ للانسحاب إلى هذا الموقع. وفي حالة إكمال نواقصنا فإننا

لا نقصّر في التحرك ثانية في سبيل إنفاذ الإرادة العالية بما أوتينا من طاقة بشرية».

صدقي باشا: كيف نتحرك من هنا؟

حسني: تعهد «صالح المهنا» بإكمال جميع نواقصنا بعد إذنكم. فإذا أرسِل له خطاب من سعادتكم فإنه سوف لن يقصّر في تقديم أحسن الخدمات بكل سرور. والمرجو منه بذل الجهد بتخصيص رجاله في إيصال الجيش إلى (الحناكية).

صدقي باشا: هل تريد زحفي في دواوين الحرب [المحاكم العسكرية]؟

حسني: لا تستطيع أية محكمة عادلة إلقاء المسؤولية [أو العتاب] على عاتقكم بسبب عملكم هذا. ومع ذلك فإن صُدر الأمر فإن بقاء كافة الكتائب في هذا الموقع غير ممكن، وإنني بعد إذنكم أُعدّ محضراً مبيناً فيه صدور القرار حسب الإرادة السلطانية وأقدمه لكم. والانسحاب إلى (الحناكية) يعني حركة تراجع اضطرارية، بغية تقوية معنويات الجيش وإزالة الأضرار والآلام التي أصابه. فأي قائد أُلقِيَ عليه اللومُ بسبب حركة تراجع تم اختيارها؟ وفي حالة فرار أفراد الجيش بالكامل أو إذا ماتوا بسبب الجوع، ألستم مسؤولين ياسيدي؟ وبدلاً من الوقوف في وجه البدو بحالة مذلة، وقضاء الوقت في هذه الظروف السيئة، ألا ترجّحون تخليص وديعة الله هؤلاء المنكوبين [الجيش] بتوصيلهم إلى شاطيء النجاة، ويكون ذلك خدمةً قدّمت للإنسانية، وإعادة الحياة لكل هذا العدد من أولاد الوطن، وقضاء مدة ولو عدّة أيام في الراحة، ألا ترجّحون هذا على ذاك؟

صدقي باشا: لو ذبحتُم كلكم فإنني أبقى متمسكاً بالمدفعية هذه.

وبذلك خُتم الحوار. ونظراً لزوال أملي هذا أيضاً، فقد قمتُ بإرسال برقية مختمة (تجدون صورتها في نهاية هذا المبحث) إلى والي (البصرة)، مع كاتب الفوج «توفيق أفندي» الذي كان على وشك السفر إلى (بغداد) في مهمة رسمية.

ونظراً لعدم ورود الرد على استقالتي في هذه الفترة، وكوني قد فهمتُ من «صدقي باشا» أنه لا مجال أمامنا سوى الهجوم على (القصيم) متحداً مع «ابن الرشيد»، فلم يبق أمامي حل عدا الفرار. فلو بقيتُ هناك لذُبحتُ من قِبَل عبيد «ابن الرشيد» ذبحة دجاج. وبناءً على عدم اقتناعي بموت رخيص لا يليق بشرفي وكرامتي، فقد تركتُ المكانة التي حصلتُ عليها خلال إحدى وعشرين سنة، والتي حاربتُ أثناء ذلك لتسكين العصيانات التي ظهرت في فيلق الجيش السابع والسادس، مواجهاً النيران متحملاً كافة المصائب، ففررتُ ليلة الأربعاء الرابع من شهر تشرين أول من العام المالي ١٣٢١، في حدود الساعة الثامنة أثناء دوريتي في المعسكر، فأخذت معي فرساً وثلاثة أفراد من الخيالة مسلحين، فركبتُ الفرس وودّعتُ أصدقائي النائمين وتحركتُ متوكلاً على الله [تعالى].

كنتُ قد أوقفتُ الساعي الذي أرسله «صالح المهنا» إلى القائد قبل يوم. وكان هذا الدليل يدلني على الطريق. ونظراً لكوني قد تركتُ المعسكر في الليلة التي انتقل فيها الجيش إلى الموقع الشتوي تاركاً الموقع الصيفي، فكنتُ واثقاً من عدم تعقيب أحد لي، حيث كانوا غارقين في النوم من التعب. وبما أني كنتُ أتوقع من أن يعقبني جلادو «ابن الرشيد»، فقد كنتُ أتحرك باحتياط. وبعد قطع مسافة ست ساعات، تم

الوصول إلى قرية (ضراس). وقد استرحنا في هذا الموقع قليلاً، ثم سرنا ساعة أخرى، فوصلنا إلى خب (ميرجسية). وهذا الخَبُّ أحسن خبوب (بريدة). وفي الساعة الرابعة نهاراً تحرَّكنا من هذا الموقع أيضاً، فوصلنا إلى (نقرة العودة)، حيث استضافنا في بيته أحدُ القصيميين وكان يسمى «سلمان العودة»، وقد سُعدنا به كثيراً حيث بالغ في ضيافتنا. وتحركنا من هذا الموقع أيضاً في الساعة الثالثة ليلاً، فوصلنا إلى (بريدة) ودخلنا من سورها في الساعة الخامسة والنصف، فاستضافنا «إبراهيم» في منزله. وقد قابلتُ «صالح المهنا» في اليوم التالي. فأخبرني بأنني سوف أتحرك ليلة الجمعة، بعد توفير حاجياتنا.

وفي يوم الجمعة جاء إليَّ «صالح» مع عمه. فاستمر الحوار حتى الساعة الرابعة. فقال [أي صالح المهنا]: «كانت (القصيم) في السابق تابعة لـ(المدينة المنورة)، وأنها كانت تدفع خمسمائة ريال ضريبة شهرية، والفرمان الذي مُنح لأجدادي مازال موجوداً، إلا أنه نظراً لضيق الوقت فلم أستطع البحث عنه».

وقد سألتُه عن مرئياته في الوضع الراهن، فقال: «أرى إلحاق منطقة (الجبل) بولاية الحجاز، و(القصيم) بـ(البصرة)، و(العارضَ) بلواء (الحساء)». وكان يُفهَم من هذا الجواب أن القصيميين لا يرغبون في البقاء تحت نفوذ «ابن الرشيد» أو عيال «سعود»..

جاء رجلُ «صالح» في الساعة الرابعة ليلاً وأخبرني أنه جاهز. وقد ودَّعني «صالح» و«عبد العزيز» إلى بوّابة (بريدة) الشمالية. وكان هناك ثلاثة إبل لركوب أفراد الجيش وذلولي، ودليلاً من البدو مع ذلوله جاهزين للتحرك. وكانت الذخيرة من ماء، وتموين فائضة عن الحاجة.

فصافحتُ «صالحاً» و«عبد العزيز» وودعتُهما، بعد أن قدمتُ شكري وامتناني على حُسن ضيافتهم، فركبتُ ذلولي وسلمتُ عليهم ثانية ثم توكلتُ على الله، وبدأنا في السير على رمال الصحاري الساكنة المظلمة..

وكنا نتقدم على إبلنا ببُطء وأنا مستغرق في التفكير في ظلمة الليل تلك ووحشته في تلك الصحاري الخالية، وعاقبة ما قمتُ به من العمل، ومصيري المجهول المؤلم، وعدم كفاية سبعة عشر ليرة من النقود التي كانت معي [لمصاريف الطريق]، وتركي للمنصب الذي وصلتُ إليه خلال إحدى وعشرين سنة من العمل العسكري الذي كافحتُ خلالها كافة المعارضات التي طرأت على الدولة في (اليمن) و(العراق) و(نجد). وكان يضاف إلى كل ذلك تفكيري في مصير هؤلاء الرجال المرتبطين معي، والخطر الذي يداهمهم إذا ما تعقَّبنا رجال «ابن الرشيد» أو صادفناهم في الطريق.

ومع كل ذلك؛ فمنذ الساعة كنتُ حُراً طليقاً، وأكون متحملاً لما ينتج من العمل الذي قمتُ به. وعلى أقل تقدير لا أكون مسؤولاً عما يصيب المظلومين المنكوبين من أفراد الجيش بصفتي قائداً عليهم، بل أصبحتُ شخصاً عادياً. فلا أرى أولادَ الوطن يموتون في سبيل المنافع الذاتية لبعض الناس.. وبما أن الفاعل الحقيقي لكل تلك الدناءات بقي مجهولاً لدى عامة الناس؛ فإنهم يلقون مسؤولية جميعَ المصائب التي تعترض لهم على عاتق القواد، غير أني منذ تلك اللحظة لا أكون هدفاً للعن والشتائم بسبب ذلك.. وكانت تلك الخواطر تقوي عزمي وتسليني وتشرح صدري وتنسيني أحزاني.

وقد طلع الفجر أثناء تفكيري والتعاقي في الخواطر. فظهرت مزارع النخيل لقرية (الشماسية). ونحن كنا ننزل في هذه الأثناء عن التلال الرملية الواقعة على القرب من القرية. فنزلنا في الساعة الثانية عشرة في منزل أمير (الشماسية). وقد رأيت هناك عدة أشخاص من أفراد الجيش الفارين من الخدمة بسبب رمق العيش، المنتشرين في قرى (القصيم). وبما أننا كنا مسرعين في السفر فقد نبَّهتُهم ألا يعقِّبوا أثرنا.

وفي صباح يوم السبت تحركنا باتجاه الجنوب، فوصلنا بعد ساعتين ونصف إلى موقع زراعي يسمى (برجسية)، فنزلنا في إحدى القصور الموجودة. وكان يوجد هنا عربان «عتيبة» و«مطير». وقد قابلتُ هنا ثلاثة من الضباط الذين حصلوا على رخصة الالتحاق بكتائبهم.. أخذنا «خوياء» من بدو «مطير» و«عتيبة» وتحركنا مع هؤلاء الزملاء [الضباط] في وقت العصر. وبعد قطع مسافة اثنتي عشرة ساعة وصلنا إلى قرية (الزلفي). فصرنا ضيوفاً في منزل الأمير. كانت هذه القرية معمورة ومحاطة بمزارع النخيل وبعض القرى. ونظراً لكونها واقعة على الأرض المنبسطة بعد رملية «ثويرات» فهي ملحقة بـ(القصيم) مع أنها أقرب إلى (الوشم) أو (السدير) من حيث الموقع.. وبما أن أمير (الزلفي) لا يعترف بأمير (القصيم) مستفيداً من موقعه الجغرافي، فإن أمراء بعض البُقع الأخرى لم يكونوا يتجاوزونه، حيث كان يدير المنطقة بنفسه.. وقد صادفتُ هنا أيضاً بعضَ الفارين من أفراد الجيش. فنبَّهتُهم على عدم تعقيب أثرنا في الطريق.

وبعد أن قضينا يومين راحة في (الزلفي)؛ تحركنا في صباح يوم الاثنين. وقضينا يومي الثلاثاء والأربعاء في الصحراء الخالية من الماء

وقد ولدت إحدى إبلَيْ «صالح» التي أعطانا إياهما. ولمّا خرج رأس المولود إلى الخارج قام النجديون الذين معنا بذبحه، ثم أمسكوا برجليْه فأخرجوه ثم أكلوه بعد طبخه. ونحن أيضاً ذقنا طعمه.. وقد أكلتُ لحم الجذور لمّا كنتُ في (قطر). وإذا ما ربّيت الأبل مع الربيع فإن لحمها مقبول. ويعدّ لحم الإبل لدى سكنى الجزيرة العربية ألذ اللحوم. بل إنه يرجّحُ عندهم في بعض الأحيان على لحم الغنم والبقر.. والغريب في الأمر أن الإبل التي ولدت مولودها لا تأخرت عن المسير ولا بحثت عن مولودها. غير أنهم خفّفوا من حِملها مدّة يومين.

وقد تحرّكنا صباح يوم الأربعاء فوصلنا إلى آبار (الأرطاوية) بعد الزوال. وبعد إكمال حاجتنا من الماء واصلنا السير. فابتعدنا عن الآبار ثلاث ساعات، فأقمنا في صحراء خالٍ من الماء في الساعة الحادية عشر. وقد رجع الـ«الخَوي» الذين جاءوا معنا من (الأرطاوية). وبشّرنا الدليل في هذا المكان بعدم إمكانية وصول أتباع «ابن الرشيد» بعد هذا الموقع.

وبعد قطع مسافة يومين أيضاً وصلنا إلى صحراء خال عن الماء وذلك يوم الجمعة في الساعة الحادية عشر ليلاً. وكنا في أثناء المسير نلقى الأرانب والثعالب والغرابيب والحباري. وكان الدليل في بعض الأحيان ينزل فيأخذ بعضاً منها.

وفي هذه الليلة لمّا نزلنا من الأبل في موقعنا، وجدنا طيراً من الحباري نزل في الدغل القريب منا. ومع أننا بحثنا عنه فترة من الوقت إلا أننا لم نلقَه. وبعدما ابتعدنا قليلاً وجدناه قد طار، فاستغربنا. فقال الدليل «الحباري [حيوان] ماكر، يتخبّى في مثل هذه الأدغال بين الرمال والأعشاب، فلا يمكن إيجادها أو رؤيتها». ويتم صيد الحباري بالصقر على الغالب. وسلاح هذا الحيوان الدفاعي هو فضلاته. فإن لم يكن الصقر ماهراً في الصيد فإنه يهاجم الحباري من تحته. فيقوم الحباري بإخراج فضلاته على الصقر، فيعمي عيْنيه. أما الصقر الماهر فإن كان أعلى من الحباري، فإنه يبدأ صيده بالهجوم من فوق.

تقل [رملية] دهنة في هذه الجهات. وإن كان ارتفاعها ينزل ما بين خمسة إلى عشرة أمتار، إلا أن عَرضها يمتد عشر ساعات. ويطلق على الأراضي النازلة بعد انتهاء رملية دهنة اسم «صفرا». وهذه الأراضي منبسطة للغاية. وتظهر بعد اجتياز عرضها التي يمتد خمس أو ست ساعات أراضٍ يحولها بعض الحُفَر، ويطلق على هذه القطعة (صمّان).

قطعنا الطريق في يومَي السبت والأحد، وتم الوصول إلى بئر (حفر) في وقت الضحى من يوم الاثنين.. لم يكن ينقص البدو من على البئر. ونظراً لكونهم يأتون لسقي الإبل بعد الظهر، فإنهم يكملون حاجتهم من الماء ويتحركون بعد الزوال، فإذا ما وصلوا إلى موقع يبتعد عن البئر ثلاث ساعات ليقضوا فيه ليلتهم فإنها مشكلة. فإن أوتي إلى البئر لقضاء الليل بالقرب منه فينبغي انتظار انتهاء البدو من السقي. وفي حالة قضاء الليل جنب البئر فإنه يجب ألا ينام المسافر إلى الصباح حتى لا يُسرق من أغراضه شيء. ويعد الإنسان محظوظاً إذا ما أخذ حاجته من الماء وانصرف من البئر دون مشاكل. ويقوم أفراد قافلة بتهنئة بعضهم بعضاً إذا ما كمّلوا حاجتهم من الماء وانصرفوا بسلام، قائلين لبعضهم «الحمد لله على السلامة».

وقد تحرّكنا هذا اليوم عن موقع البئر فأقمنا في الصحراء بعد قطع

مسافة ساعتين ونصف.. واصلنا السير في يومي الثلاثاء والأربعاء، فوصلنا في صباح يوم الخميس إلى آبار (لصافة). حيث كنا قد وصلنا بعد التحرك بساعتين ونصف من صباح يوم الأربعاء إلى موقع يسمى (القرعة)، وهي أرض منبسطة وخالية.

وبعد قطع الطريق في يومي الخميس والجمعة، وصلنا في الساعة العاشرة إلى آبار (صبيحية)، فاسترحنا فيها مدة ساعتين ونصف. ثم واصلنا الطريق، فوصلنا في يوم الجمعة الموافق للواحد والعشرين من شهر تشرين أول إلى (الكويت)، فنزلنا في ضيافة (مبارك الصباح).

نظراً لكون بلدة (الكويت) واقعة في نطاق جبل صغير يقع في الجنوب من خليج يسمى بالاسم نفسه؛ فإنها لا تُرى إلا بعد الوصول إلى قمة هذا الجبل من جهة الصحراء. وقد تم ركز خيام قسم من قبيلة «عريبدار» على ظهر هذا الجبل باتجاه الصحراء، ونظراً لعدم وجود عمل لدى أفراد هذه القبيلة؛ فقد كلفت هذه القبيلة بتأدين مياه البلد. فيقومون بالسقاية، حيث يوزعون الماء بمراكبهم على الأهالي، فيؤمّنون معيشتهم على ذلك. وهم في الوقت نفسه يحافظون على منبع الماء أيضاً. وتبتعد الآبار من البلد مسافة ساعة واحدة. والماء الموجود فيها مالحة.. أما مشايخ (الكويت) وأغنياتها فهم يأتون بالماء من مسافة ساعتين باتجاه الجنوب، من آبار (سرة). ومياه هذه الآبار عذبة..

قابلنا «مبارك [الصباح]» في الليل. وفي اليوم التالي دُعيتُ بمفردي بوجه خاص. وبعد أخذ ورد بعض الأفكار، قال الشيخ «مبارك»: «لقد وصلتم إلى مكان حرٍ وأمين، ماذا تفكرون القيام به؟». قلتُ له: «أتجه إلى استانبول مجازاً. وأرجو السماح لي في الذهاب إلى (محمرة)، ومن

هناك أركب الباخرة فأذهب إلى (بومباي)». ثم لم أزد على ذلك كلاماً آخر فرجعتُ إلى غرفتي.

كان الشيخ «مبارك الصباح» أيضاً يعرف قيمة الحرية ويقدرها، وكان قد تخلص من إدارتنا المُستبِدَّة، أما نحن فمازلنا مقيدين بقيود ذلك الكابوس. وقد قضيتُ فترة إقامتي في التفكير بذلك الكابوس الميؤوس.

بعد ذكر الحادثة المشؤومة (يرجى لمن يريد الاستزادة في هذا الموضوع قراءة كتابي المُعَنون بالاسم نفسه [أوضاع الكويت]) المدرجة في «أوضاع الكويت»، قامت الحكومة الانجليزية بإقامة قنصلية لها على الساحل، لإقامة القنصل ومعيته فيها. وعملت جنبها مرفأ مكتملاً لكل ما يحتاج إليه، وذلك لاقتراب السفن الصغيرة إليه. لكن نظراً لمنع «مبارك باشا» من اختلاط الأهالي بالقنصل، فإنه لم يستطع القيام بأداء عمله كما ينبغي. فحاول تشويق «مبارك باشا» إلى أن الحكومة الانجليزية بإمكانها القيامَ بما يساعد على ترقي المدينة، وذلك بدفع مبالغ لتسوية الطرق وتنظيم المدينة وبناء العمارات فيها. ومع أن القنصل كان واثقاً من أن القيام بذلك سوف يفضي إلى الاختلاط بالأهالي وكسب ميلهم ومحبّتهم نحوها، إلا أن «مبارك باشا» عارض هذا المشروع قائلاً «إن التنظيمات التي تتحدثون عنها سوف تكون باعثاً للتدخل في شؤون البلد وتشويش أذهان الناس».

ولمّا لم يحصد القنصل نتيجة مثمرة من مشروعه هذا، طلب من [مبارك باشا] منحه أرضاً لإقامة مستودع للفحم الحجري، لتوفير محروقات السفن الحربية الانجليزية المتجولة في خليج (البصرة) بين فينة وأخرى، بغية المحافظة على تأمين الحقوق.

بعد أن وقفنا بثبات كامل لكثير من المصائب التي تعرَّضنا خلالها في هذه الصحاري والتي لا يستطيع البشر تحمّلها. ومع أن القيام بزيارة والديَّ كل سبع سنوات من أحكام ديننا الجليل، إلا أنني حُرِمتُ من زيارتها منذ إحدى وعشرين سنة. ومع وفاة والدي وهلاك أموالي وأملاكي فإن المعروضات العديدة التي قدَّمتُها، قد رُدَّت عليها بأمر عالٍ، بحجة «نظراً لقلة وجود الضباط المكتبيين [نسبة للمكتبة الحربية التي تخرج منها] داخل الفيلقية؛ فإنه لا يمكن الانفكاك منكم». وقد أثرت المصائب التي عرضتني في هذه الفترة على جسمي فجعله عليلاً وعلى عائلتي العسكرية. ومع حاجتي الماسة في كثير من الأحيان إلى المال، إلا أن فتح اليد أمام الغير لم يكن يليق بالكرامة العسكرية، فلم يكن ذلك من عاداتي. والمبالغ المالية المقطوعة من رواتبي لمصلحة التقاعد، وبدلات التعيينات العسكرية، ومبالغي المتبقية من (اليمن) و(الحجاز)، وهي سبعة عشر ألفاً ونيف من القرش فإنني أرجو صرف تلك المبالغ لمصلحة إقامة مدرسة، والسماح لي باستعفائي من عملي العسكري، وقبول استقالتي هذه. حيث أريد قضاء وقتي في مزرعتي الخاصة بالدعاء لحضرة السلطان. وأكرر رجائي في قبول استقالتي في الخطاب الذي ألحقتُ به معروضين آخرين في عدم مطالبتي بأي من الالتزامات المالية لا من صندوق التقاعد ولا طلب إعادة الرتبة. ١١ تموز ١٣٢١.

صورة المعروضين الملحقين بخطاب الاستقالة:

نظراً للحالة التي ابتليتُ بها، فإنني قد تركتُ السلكَ العسكري الذي التحقتُ به برغبتي، وأنني لم أخرج من هذه الوظيفة، وأنا أتعهد بأنني

لن أطالب باستحقاقاتي من التقاعد العسكري الذي أحرم منه بترك العمل، ولا أقوم بطلب إعادة رتبتي. وقد تم تقديم نسختين من هذا المعروض مختماً. ١١ تموز ١٣٢١

صورة البرقية التي قدَّمتُها إلى الجهات المعنيَّة

إلى رئاسة كتابة مابين الهمايوني الجليل؛

«إلى مقام القيادة العليا،

مع وقوع حالات القتل في المصادمة التي جرت مع القصيميين في (البكيرية) في العام الماضي، فإن أتباع الأمير الذي كنا بانتظار معاونته، قد قاموا بنهب لباس جرحى أفراد الجيش والشهداء وأخذ أسلحتهم وخلع ملابسهم الداخلية ونهبها وإبقائهم عراة، مما تسببوا في قتل مَن يُرجى برّه، وذلك خلافاً للإرادة العالية. وبعد البقاء شهراً ونصف في قرية (شنانة) بصبر وثبات، تمَّ الانسحاب إلى (الجوعية)، فقام «عبد العزيز الرشيد» بالتقدم إلى الأمام بعد يومين فقط مع كونه لم يكن جائزاً، فتم حشر النفس في القرب من (قصر ابن عيكل) بربع ساعة، وهو المكان الذي تحصَّن فيه القصيميون، واستثار علينا أهالي (الرياض) فهجموا علينا بعد يوم، فقامت جماعته بالتخلي عن الجيش وعدم المعاونة في المعركة، وأخذوا معهم عتادنا العسكري الموجود عند البدو، مما تركوا الجيش دون عتاد، وكان من نتيجة ذلك العمل السيء أن انتقل أسلحتنا وتموييننا إلى الأعداء. وأثناء فرار أتباع «عبد العزيز الرشيد» وجماعته من البدو راكبين الإبل، تجرأ هو بتجريح الجيش العائد. وأثناء العودة إلى قرية (الجهفة) وهي مسافة أربعين ساعة، كان البدو أجمع راكبين الإبل، ومع وجود أكثر من أربعة آلاف إبل

فاطمة، كان أفراد الجيش والضباط بل حتى الجرحى رجعوا إلى القرية على أقدامهم، ولم يقدم الأمير للجيش أية إبل. وقد نقص من التموين العسكري المرسل عن طريق وكيليه في (نجف) و(المدينة المنورة) إحدى وأربعين ألف قية [لعلها تحريف، قد يقصد به أوقية] وادّخرها في مستودعاته الموجودة في (حائل)، وقد توفي من الجوع خلال سبعة أشهر أكثر من ألفين من أفراد الجيش. وكان من نتيجة ذلك أن قام أكثر من خمسمائة نفر من الجيش بالفرار والانتشار في الصحاري الخالية من المياه. وكان السبب في قتل هؤلاء المنكوبين المظلومين الذين هلكوا في الصحراء من العطش وتيه الطريق، وأصبحت أشلاؤهم لقمة للطيور؛ هو «عبد العزيز الرشيد»، الذي يسعى لهدف معيّن. وقد ابتعد عن تقديم أية مساعدة للقوات القادمة مع السيد المشير، وقضى الوقت بعدّة مواعيد كاذبة، إلا أنه اضطر في النهاية لتوصيل السيد المشير إلى (القصيم) بتموين كان يكفي ثلاثة أيام فقط.[1] غير أنه بفضل الله تعالى تم توفير تموين الجيش من (القصيم) لمدة ثلاثة أشهر.

وبناءً على عدم تقدير محافظة (المدينة المنورة) أهميةَ صحاري (القصيم) ومستقبلها، فإنها لم توصِّل التموين إلى الجيش في وقته أبداً، كما أنه لم يُرسل منذ سنة ونصف أي مبلغ من المال لشراء اللحم والبصل والملح والخضروات، التي هي من الحاجات الضرورية

---

1) كان «عبد العزيز الرشيد» تعهّد للمشير بنقل القوات القادمة مع السيد المشير إلى (القصيم). وفي الحقيقة إنه لم يرسل في (نجد) سوى مائة إبل عاريه. وكان السيد المشير نظراً لصعوبة الطريق، كان مضطراً لإكماله.

للجسم.

ونظراً لعدم استلام المعاشات منذ سنة ونصف، وعدم تقديم اللحم والخضروات إلى الجيش، فإن ذلك يضاف إلى الأشياء التي أحبطت قوات الجيش المعنوية، وبخاصة أن الدقيق لم يبق سوى لعدّة أيام، مما زوّد من يأس أفراد الجيش من الوضع الحاضر، وما يرون النجاة الآن سوى في الفرار.. وقد نزل عدد جيش القوات السيارة من ١٩٠٠ نفر المنطلق من (سماوة) في العام الماضي إلى ٤٠٠، وانخفض العدد الذي قدم مع المشير إلى (القصيم) من ١١٠٠ إلى ٧٠٠ نفر.. يقبّل عبيدكم المنكوبون المحرومون من كافة الحوائج المعيشية الضرورية، المتروكون في وسط الجزيرة العربية على الرمال، الأيادي السلطانية المباركة، ويلتجئون إلى مقامكم العالي بالنظر في أوضاعنا بعين الشفقة والرحمة».

٢٨ ايلول سنة ١٣٢١

قائد القوات السيارة في الجبهة

حسني

المرحلة الثالثة

تم تعيين المشير «أحمد فيضي باشا» بعد مصيبة (صنعا)، للقيام بتنكيل اليمنيين، وصدرت الأوامر العالية بوجوب السفر إلى (اليمن) على وجه السرعة، فانتقلت بذلك قيادة قوات الجيش في (القصيم) إلى الفريق «صدقي باشا». وقد أوصى المشير لـ«صدقي باشا» قبل السفر وجوب الانسحاب بالقوات الموجودة في معيّته إلى (المدينة) أو على الأقل إلى قلعة (الحنائية)، لدركه وتيقّنه أن البقاء في وسط الجزيرة العربية وفي مركز "القصيم" [في هذا الوضع الراهن] غير ممكن. لأن «عبد العزيز

الرشيد» الذي أرجف في الجزيرة العربية، قد أصيبت قوّته بالضعف، وتم استيلاء الوهابيين على يد إمامهم «ابن السعود» على كافة الخطوط التي توصل إلى (بغداد) و(البصرة) وخطوط رجعة الجيش بالكامل، ودخلت في دائرة نفوذهم. وبما أن السوق الذي يتم من (المدينة المنورة) كان صعباً ومكلفاً للغاية، وأن الطريق غير آمن، وأن خط الرجعة وخط المواصلة الذي ينتهي بـ(نجف) غير ملائم نظراً لموقع الجيش في (القصيم)، فإن انسحاب الجيش إلى (الحناكية) يجعل خط الرجعة آمناً بالكامل، ويكون مربوطاً ومستنَداً بـ(المدينة المنورة).

كانت توصية «أحمد فيضي باشا» هذه لم تطبّق في أي حال من الأحوال. لأن الإبل وحيوانات النقل التي كانت في أيدي الجيش قد هلكت في مدّة وجيزة، وبذلك أصبح أفراد الجيش لا يستطيعون التحرك لا إلى الأمام ولا إلى الخلف، ونفدت التموينات المرسلة من (المدينة المنورة) مرة أو مرتين فحسب، فتُرك الجيش جياعاً ودون أدوية، مما جعل جُلّهم يلوذون بالفرار، بالاتجاه إلى (بريدة) و (عنيزة) ومن هناك إلى (العراق) بمساعدة القصيميين. وفي هذه الأثناء كان التوجّه نحو تشكيل منطقة مستقلة في (القصيم)، وإنشاء قشلة (معسكر) مستحكمة في كل من (عنيزة) و(بريدة) على طراز جديد، تضم في داخلها آباراً ارتوازية؛ وإحداث مركز للاسلكي والبرقية، وصدرت الإرادة العالية بتوجّه «سامي باشا» - الميرلواء في أركان الحرب - للقيام بإجراء ذلك في (القصيم). ونظراً لأن تعيين «سامي باشا» لم يهدف إلا إبعاده عن (استانبول)، فإن القيام بتنفيذ الأشياء المذكورة بمعاليه كان يحتاج إلى مبالغ مالية، لم يصدر في ذلك سوى قرارات، ليس لها أي تنفيذ عملي، لعدم دفع أي

مبلغ للقيام بالشروع في ذلك، وصدرت الأوامر بتحرّك مع الصرة الهمايونية إلى (المدينة المنورة) وتحت وصاية أمين الصرة ونظارته، بغية التعجيل في إبعاده.

ومع أنه كان بالإمكان سفر «سامي باشا» وفي معيّته الميرآلاي «سالم» والرائد «سعيد بك» عن طريق قصير هو طريق السويس - ينبع، ووصوله في وقت وجيز؛ إلا أنه سافر مع الصرّة الهمايونية عن طريق بيروت - الشام الشريف، ومن هناك برفقة المحمل الشامي راكبين الإبل وفي مدّة مطوّلة إلى أن وصلوا إلى (المدينة المنورة). وهناك أقام فترة شهر - شهرين بغية الانتظار للمال والتموين والجيش ووسائل النقل، ثم تحرّك مع قافلة التموين إلى (القصيم) بحراسة مفرزة تتكون من ٢٧٠ نفراً من الجيش، وتمويناً يكفي لإعاشة القوّات العسكرية في (القصيم) لمدة شهر واحد فقط.

وفي هذه الفترة كان «عبد العزيز الرشيد» يستمر في نهب قرى (القصيم) كما في السابق. وقام بالغزوة على بدو «مطير» الذين كانوا يرعون إبلهم في مرعى (المستوي). فقام «مطير» لتخليص أموالهم بالهجوم على جماعة «ابن الرشيد». فاشتد القتال. وقد سُمع صدى طلقات نيران أسلحة الطرفين من قِبَل جماعة «عبد العزيز السعود» الذين كانوا يترصّدون الموقف من رملية (ثويرات) شرقَ (المستوي).

فقام «عبد العزيز السعود» مع جماعته بالتوجّه إلى ساحة المعركة فوراً. فحاصروا «عبد العزيز الرشيد»، ولمّا لم يستطع اللواذ بالفرار، فقد نال ما ورد [في الحكمة] «جزاء القاتل القتل»، وذلك في الثالث من نيسان عام ١٣٢٢. فلمّا انتشر خبر قتل «عبد العزيز الرشيد» بين

الجبليين وبدو الشمر؛ قاموا بالبيعة لابنه «متعب» وأعلنوا أنه أمير عليهم.

وكان «سلطان الحمود» - من عمومة «عبد العزيز الرشيد» - قد انسحب إلى (حائل) بعد معركة (قصر ابن عقيل) متألماً من وفاة أخيه «ماجد» الذي قتل في معركة (البكيرية)، بسبب ما حصل بينه وبين الأمير من منافرة. وفي شهر مارس من عام ١٣٢٢ فرّ بِمَن معه إلى (الجوف)، فاتصل بـ«مبارك الصباح». ولمّا تيقّن من عدم مقدرته على القيام بالإمارة وحده؛ ذهب إلى (استانبول) عن طريق (الشام) فقدّم معروضاته على أمير المؤمنين شخصياً، إلا أنه لم يُوفّق في الحصول على مبتغاه.. ولمّا رأى أن المابين خادم لأفكار «عبد العزيز الرشيد»، وأن وكيل الأمير «رشيد الليل» لم ينفصل من المابين، لم يتجرأ في القيام بتقديم شكوى ضدّ الأمير. [غير أن] «عبد العزيز» عرض [على المابين] فرارَ «سلطان». فلمّا علم «سلطان» أن المابين بصدد التحرّي عن وضعه، قدّر خطر الموقف فاضطرّ إلى أن يلوذ من (استانبول) أيضاً بالفرار. فرجع إلى (الجوف) ثانية. فسمع هناك خبر تنصيب «متعب» أميراً. فأرسل له التهنئة، وبدأ بالاتصال معه. ولمّا كان «متعب» تعهّد له بالأمان فقد عاد إلى (حائل).

ولمّا كان «متعب» في السن السادسة عشرة من العمر؛ فقد كان يوم وفاة «عبد العزيز الرشيد» يوم السُعد لأبناء «سعود»، إلا أنه كان يوم نحس لسكنى البلاد المحصورة من منطقة (نجد). ونظراً لكون أمير (القصيم) «صالح [المهنا]» كسب ثقة الناس ومودّتهم بسبب ما كان يقوم به من حسن المعاملة مع الجميع، فإن «عبد العزيز السعود» لم يتحمّل

هذا الوضع، فانتظر زماناً وموقعاً مناسبين للقيام بتنفيذ الخيانة التي رتّبه في ذهنه. وقد اعتبر التخلص من «عبد العزيز الرشيد» غنيمة له، فدعا في صباح ذات يوم «صالحاً». فأجابه بالثقة الكاملة. وفي أثناء الحديث في المجلس تم القبض على «صالح» وإرساله إلى (الرياض) وحبسه. وقد عيّن «محمّد بن عبد الله المهنا» - من عمومة صالح - أميراً على (القصيم). وهدّد الأهالي الذين قاموا بالعصيان إزاء الوضع الجديد، بأنهم إن أصرّوا في موقفهم فسوف يُقتَل «صالحاً». فتسلى الأهالي بأن الحكم لله واضطروا للانتظار للزمن.

قضى «صالح» الذي لم يكن له حول ولا قوة حبسَه في سجن (حائل). وفي وقت كان يتوقع التخلص من السجن ويتلذّذ بأنه سوف يصل إلى راحته وسعادته؛ أُلقي به في سجن (الرياض). ونظراً لرؤيته مناطق ومدن (مصر) و(الشام) و(بغداد) و(البصرة) فقد كان مطّلعاً على الأوضاع وذكياً وجريئاً.

وبناء على مصيبة «صالح» هذه، قام أخوه «سليمان» وعمّه «عبد الرحمن» بالنجاة بأرواحهم والالتجاء إلى معسكر الجيش الموجود في (الشيخية). ونظراً لعدم اتسام «صدقي باشا» بالسعي لمحافظة حقوق موظفي الدولة وعدم وجود فعاليته في ذلك؛ فلم يقم بأية مساعدة.. ولو أمكن القيام بالمحافظة على حقوق «صالح» [عودته إلى إمارته] لكان القصيميون استمروا في حبهم ومودّتهم للدولة، وكان بالإمكان بهذه الوسيلة تأمين نفوذها ومنافعها..

لم يُنفّذ ما طلبه «سامي باشا» في معروضاته [من قبل صدقي باشا]. ومع صدور الفرمان بذهابه إلى (القصيم)، فقد أصرّ المذكور في موقفه

بعدم فائدة الذهاب إليها دون وسائط، فترة أخرى. ومع ورود إرادة بـ«وجوب سفره إلى (القصيم) وتقديم معروضاته من هناك»، إلا أنه لم يتحرك. غير أن ورود برقية إلى محافظية (المدينة المنورة)، تفيد «أن سامي باشا إن لم يتحرك إلى محل وظيفته خلال أسبوع، وجوب إرساله إلى استانبول مقبوضاً عليه».

فاضطر «سامي باشا» - كما ذكر في السابق - مغادرة (المدينة المنورة) في السادس عشر من حزيران عام ١٣٢٢. وفي الطريق في موقع يسمى (سميرة) التقى بـ«متعب الرشيد»، ووصل إلى معسكر (الشيحية) في الثامن من تموز عام ١٣٢٢.

أما «صدقي باشا» الذي نُقِلَ إلى (بغداد)، فقد تحرَّك إلى محل وظيفته مع مائة وخمسين نفراً مسلحين.

ولمَّا رأى «سامي باشا» أوضاع الضباط وفقر ومسكنة أفراد الجيش، قدر درجة سوء الوضع، فحاول بشتى الوسائط اتخاذ التدابير الكفيلة بإعادة القوة لمعنويات ونفسيات الجيش، وتأمين تربية وطاعة الضباط.

غير أنه لمَّا تيقَّن من عدم مقدرة الجيش لا في عددهم ولا في مقدرتهم على القيام بما يلزم، وبشكل خاص كون نصف الأفراد مصابين بمرض «اسقوربيت» وهم بين الموت والحياة، وعلى وجه الخصوص أيضاً فقدان كافة وسائل النقل والحيوانات؛ إنه لمَّا رأى ذلك بدأ بالتحري عن سبل لحل المشكلة. فقام بادىء ذي بدء بإجراء اتصالات مع «ابن السعود» وكافة أمراء (القصيم) والتقى بمندوبيهم في (البكيرية)، ودخل معهم في حوار طويل، وحاول إقناعهم بوجهة نظره بشتى الوسائل. غير أنه بسبب تسويلات «ابن السعود» الخفية والجلية؛ فإنه لم يستطع إقناع

لم تستطع

القصيميين. ورأى أن (استانبول) للمراجعات التي تمت لحل المشكلة؛ وأن التموينات التي جلبها معه الجيش قد نفدت، مع مراعاة كافة سبل التوفير وذلك بتنزيل كمية الأكل إلى النصف في أول الأمر، ثم إلى أقل من ذلك، وعلى سبيل المثال بإعطاء كل فرد يومياً ٦٨ غراماً فقط من الدخن، ومع كل ذلك فإن تموين الجيش لم يكفيه. وقد اقترح عليه أن يقوم أمير شمر (الجبل) «ابن الرشيد» الذي يظهر واضحاً أنه مطيع ومنقاد لأوامر الدولة، بجمع قواته بالكامل والالتحاق بالجيش لأجل الهجوم على (القصيم)، أو أنه يقوم بتوفير الكمية اللازمة للتموين العسكري، وإرساله على مراحل بشرط دفع المبلغ بالكامل نقداً، فإن لم يمكن تنفيذ الشق الثاني؛ فإرسال ألفٍ من إبل النقل بحيث يدفع إيجارها مقدَّماً. لأن مجيء قوات «ابن الرشيد» الحربية، كان بالإمكان قيام الجيش بحركة تعرَّضية. وإن لم يقترب «ابن الرشيد» من هذا، وأرسل ألفاً من الإبل وسائط للنقل، فيمكن تبديل موقع المعسكر باتجاه الشمال منزلين. وكان بالإمكان تأمين خط الرجعة ومواصلته للعساكر المربوطين بـ(المدينة المنورة) بطريق أكثر أماناً وذلك هو طريق (نجف) أي العراق بشرط استناده إلى شمَّر (الجبل)، وكان يحصل من وراء ذلك فائدة عظيمة لسوق الجيش. أو بمعنى آخر أن الجيش استقر في مكان - وهو موقع (الشيحية) - يُعَدّ مركزاً لـ(القصيم) وتحت تأثير القصيميين و«ابن السعود» وتهديدهم، ولذلك فإن حوَّل طريق رجعة الجيش إلى مكان أكثر أماناً وذلك بنقله في اتجاه الشمال؛ فإنه بإمكان الجيش مقاومة أي هجوم أو اعتراض يقوم به القصيميون أو «ابن السعود»، وفي مكان أمين، وفي الوقت نفسه كان يمكن جلب التموين من

(العراق) بسهولة. ومع أن «ابن الرشيد» في بداية الأمر لم يبدِ أي استعداد للقيام بتنفيذ هذه الاقتراحات، إلا أنه اضطرَّ في النهاية وتحت ضغط الموظف المخصوص أن يوافق على إرسال إبل النقل المؤجَّرة. غير أن تلك الإبل المرسلة أثناء اقترابها من المعسكر، أُرجعت من قبل أتباع «ابن السعود».. والخلاصة أن القيام بحركة عسكرية يُعدّ مستحيلاً، للأسباب المذكورة بعاليه، ثم لعدم اهتمام الجهات المعنيَّة بأمر الجيش، حيث لا تتكلف الجهات المعنية لا في (المدينة) ولا في (استانبول) بالرد العادي على خطاب مهم ومستعجل، فكيف بطلب المال والتموين أو العتاد. ولذلك فقد انتهى تموين الجيش خلال فترة وجيزة، وأعطي كل نفر يومياً ولمدة شهر كامل ٦٨ غراماً من الدخن فقط. ونظراً لضعف بنيان أفراد الجيش وعدم بقاء قوة في أجسامهم تحركهم للقيام بما يلزم، فإن هذا يعني انتقال الأسلحة والعتاد العسكري إلى يد «ابن السعود» دون ما حرب أو حتى مقاومة، ولهذا السبب فقد تقرَّر إجراء الاتصال مع «ابن السعود» بغية إنهاء الوضع. وتقرر في نهاية الجلسات الموافقة على بعض النقاط. منها: أن يطلق على أمير (بريدة) قائمقام، وعلى أمير (عنيزة) مدير، وإيجاد مفرزة عسكرية في هذين الموقعين المهمين بشكل دائم، ورفع العلم العثماني على هذين الموقعين، وتأدية ضريبة سنوية لميزانية (المدينة المنورة)، وتم التوقيع على هذه المعاهدة من قبل أمراء (القصيم) و«ابن السعود» للالتزام بمضمونها. وبناءً على ذلك تم تخصيص مفرزة تحت قيادة نقيب لـ (بريدة)، وأخرى تحت قيادة ملازم في (عنيزة) ورفع العلم العثماني فيهما، وبذلك تم ربط (القصيم) بمقام الخلافة وأعلنت تابعيتها له. وبناءً على حل القضية على هذا النحو

فإن إبقاء ألف وخمسمائة ونيف من أفراد الجيش دون تموين ودون وسيلة نقل كما أنه خطر، وكذلك في الوقت نفسه [توفير حاجاتهم] في مدة وجيزة غير ممكن، وبما أن الوضع على هذا النحو سوف يؤدي إلى ضياع الأسلحة وترك أفراد الجيش الخدمة؛ فقد قرَّر «سامي باشا» أن يُرسل من أفراد الجيش القسم التابع للفيلقية السادسة إلى محلهم الأصل (بغداد)، والقسم التابع للفيلقية الخامسة إلى (سوريا) عن طريق (المدينة)، ورجع هو نفسه مع القسم الأخير إلى (المدينة المنورة)، ورجع القسم الأخير إلى (العراق) و(بغداد) عن طريق (البصرة). وقد وفَّر «ابن الرشيد» الإبلَ - التي تقوم بالنقل في ذلك - من قبائل «عتيبة» و«مطير»، وتم شراء التموين من القصيميين بمبالغ فاحشة.

وكان ٧٦٠ فرداً من أفراد الجيش القادمين من (المدينة المنورة) مع «سامي باشا» يغادرون مقبرة الذل (الشيخية) في التاسع من تشرين أول، ويصلون إلى (المدينة المنورة) في الحادي عشر من تشرين ثاني عام ١٣٢٢ سالمين.

وفي اليوم الثالث من مغادرة هذه القوات لـ (القصيم)؛ غادرت بقية القوات البالغة وعددها ٨٨٠ شخصاً بقيادة الميرآلاي «جسيم باشا» متوجهاً إلى (البصرة). فوصلت في ١٦ من كانون أول ١٣٢٢ إلى (البصرة).

وبقيت مع «غالب أفندي» - النقيب في (بريدة) - مفرزتين، ومفرزة مع الملازم «محمَّد أغا» في (عنيزة).

وبذلك تم ختام الحركة العسكرية التي بدأت بناءً على رغبة التابعين.

عدد القوات المجتمعة في (القصيم):

١٩٢٣ القادمون مع الميرآلاي صدكري بك.

١٦٥٠	الذين التحقوا بالجيش مع المشير «أحمد فيضي باشا».	
١٣٠٠	الذين التحقوا بالجيش مع الفريق «صدقي باشا»	
٣٠٠	الأفراد الجُدد القادمون من (المدينة المنورة) مع الملازم (حمدي أفندي).	
٣٧٠	الملتحقون بمعية «سامي باشا»	
٥٥٤٢	[المجموع]	

القوات العائدة:

١٥٠	العائدون مع «صدقي باشا» إلى (بغداد)
٨٨٠	العائدون مع الميرآلاي «بسيم بك» إلى (البصرة)
٧٦٠	العائدون مع «سامي باشا» إلى (المدينة المنورة)
٢٥٠	القوات الباقية في مدن (بريدة) و(عنيزة)
٢٠٤٠	[المجموع]

وبالمقارنة بين الجدولين يتضح أن ثلثي القوات قد هلكوا خلال سنتين. فلو لم يقدم «سامي باشا» الإنسان المحب لدولته ووطنه وشعبه، وصاحب كرامة وشرف، ولا يقصّر في الفداء بروحه في سبيل رفعة البلد، فلو لم يأت لإمداد هؤلاء المظلومين؛ ولم يسمع صوت ضميره ونفّذ قرارات المابين لهلكوا عن بكرة أبيهم، مثل زملائهم الذين رحلوا، ولدفنوا في مقبرة الذل والصغار (الشيخية).

ونظراً لما قام به «سامي باشا» من تخليص أرواح المظلومين وصيانة لها؛ فإنه يستحق الشكر والتقدير. وينبغي على هؤلاء أولاد الوطن أن يذكروا فضله إلى يوم التناد، وأن يبجلوا اسمه.

ويظهر أن الوباء والطاعون وغيرهما من الأمراض السارية المفعول مع أنها سريعة الحكم؛ إلا أن الذين سلموا منها يمكنهم إدامة الحياة والاستمرار فيها. أما الذين استطاعوا التخلص منها لم ينجوا من الآلام التي أصابتهم، من خلال تلك النتائج التي ترتّبت على ما قام به المجرمون في المابين من معاملات كيفية، حيث لحقت مصائبها بهذا الشعب وهي تستمر سنوات عديدة.

إن سيئات إدارة كيفية مستبدّة، أكبر من الآفات السماوية، وتخريباتها أكثر. ونظراً لأن نسبة المصائب الأخرى لهذه في مقام لا شيء؛ فقد تم نقل الحادثة التالية للعبرة والعظة.

□□□

اضطررتُ لنقل القصة التالية، لإجراء مقارنة بين الوظيفة الحكومية على العمل الوطني.

لمّا كنتُ أعمل في إدارة السوق بـ(بورسعيد)، كانت الحكومة الفرنسية مشغولة بإجراء سوقيات [الجيش] إلى (مقديشو). وكانت الجرائد الفرنسية تقوم بمتابعة هذه الحركة العسكرية.

ونظراً لاختيار (تونس) موقعاً متوسطاً لتبديل الجو بين إقليم (فرنسا) وجوّ (مقديشو)؛ فإنهم أسسوا مستشفى عسكري في (تونس) قبل البدء بالحركة العسكرية، وذلك لتداوي الجرحى والضعفاء فيه. (والدول المتمدّنة تقوم كتدبير صحي بتهيئة الجو المقارب من جو بلادها، حتى لا تؤثر التغييرات الجوية على المرضى والضعفاء ولا تتدهور صحّتهم).

بدأت السوقيات إلى (مقديشو). وكانت القوات المنتظمة تمرّ من

القناة تدريجياً.

كنتُ أثناء القيام بجولة في الميناء مع المرحوم «خالد بك» - رائد البحرية وموظف [في مستودع الفحم الحجري] وهو من زملائي الأربعة في (بورسعيد) - ، إذ دخلت سفينة فرنسية بيضاء إلى الميناء. وكان أفراد الجيش صافين على متنها ينظرون والموسيقى من داخل السفينة يشتغل. وكنتُ مستغرقاً في مشاهدة هذا المنظر الجميل. فصحوتُ بناءً على سؤال [زميلي]: «بماذا تفكر؟ هل كنتَ تفكر أن يكون [النظام] العسكري لدينا هكذا على هذا المنوال؟».. وقد جلسنا في مقهى قريب منا لنستريح قليلاً من التعب والنصب الذي أصابنا من المشي. فكنتُ قد حكيتُ آنذاك القصة التالية، حتى أقضي على الهدوء الذي خيّم على الجو.

(دخل أحدُ الدراويش أثناء مروره من مدينة (طوقاد) إليها. فرأى أن الأهالي متوجّهون إلى طرف معيّن. فذهب [الدرويش] إلى حافة البلد ليرى. فرأى قدوم جماعة مزدحمة إلى صوبه. وقد مرّوا من جنبه بلطف الطير وهم لابسون أحسن الألبسة وبأيديهم أسلحة غمدانها مطرزة ومحفوفة بالفضة. فسأل الدرويش أحد الموجودين عنده: «مَن هؤلاء؟». فردّ عليه: «عبيد بني جابان». فعمل الدرويش مقارنة بين لبسه ومنظره وبين لبس عبيد «أبناء جابان»، فرفع يديه إلى السماء قائلاً: «ياربي، إن لم نحسن استخدام العبيد، فعلّمنا من عبيد «أبناء جابان»، ثم استعملني كما يليق (بوجهك الكريم). وأصرَّ في الدعاء..

انتهت سوقيات (متعيشو). وبدأ نقل الجرحى إلى مستشفى «تونس» ومستشفى الغرباء في (بورسعيد). كثرت الشكاوي من نظارة الحربية في

الجرائد الفرنسية. وكان البدء بتقديم الشكاوي بدأ من القصة التالية:

لاحظ أهالي (مارسيليا) أن أربعة أو خمسة من أفراد الجيش الذين خرجوا من المستشفى متوجّهين بسفينة فرنسية إلى بلادهم، لاحظوا عليهم أنهم مازالوا في فترة النقاهة ومع ذلك سيقوا. فتم تعقيب آثار هؤلاء الأفراد إلى قراهم، وفيها أيضاً تم معالجتهم إلى أن تحسنت أوضاعهم الصحية. فاستمر نشر الشكاوي شديدة اللهجة من مستشفى (تونس) ونظارة الحربية [الفرنسية]. فاضطرت الأخيرة إلى إرسال هيئة تفتيشية بناءً على تلك الشكاوي المنشورة. وتم تعيين طبيب منْ أهالي (مارسيليا) أيضاً وإرساله مع الهيئة المذكورة. فقامت الهيئة بتحديد أسماء الأفراد المذكورين وإجراء تحقيق في قضيتهم في ملفاتهم بمستشفى (تونس). فدققوا في تشخيص المرض والأدوية التي أعطوها في المستشفى من يوم دخولهم فيه إلى يوم خروجهم منه. فكسب أهالي (مارسيليا) القضية. وبناءً على ذلك تم تبديل هيئة مستشفى (تونس). واضطرّت بذلك نظارة الحربية أيضاً لأن تشكر أهالي (مارسيليا) وأن ترَضّيهم..

فلو أجريت مقارنة بين هذه الحادثة وبين سيئات (القصيم)؛ عُرِفَ المتسببون في المصائب التي ابتلينا بها. ولو كان الأهالي قاموا بدفع الموظفين إلى العمل الحسن بيقظة، فإن سعادة البلد مؤمّنة..

ذيل

نظراً لأن «سلطان العبيد» - من عمومة «متعب»- كان يعارض بقاء إمارة (الجبل) في أسرة «عبد الله الرشيد»؛ قام في شهر كانون اول من عام ١٣٢٢ بقتل «متعب» وأخيه «مشعل» وابن عمه «طلال»، الذين كانوا يصيدون في جبل «أجا»، وأعلن نفسه أميراً. فقد انتقلت إمارة الشمّر إلى أولاد «عبيد».

وقد قام «سالم السبهان» بتهريب الصبيّ «سعود» - ولَد عبد العزيز الرشيد من زوجته السبهانية - إلى (المدينة المنورة) حيث أمّن حياته. وبعد هذه الحادثة وقع نزاع بين «سلطان» وأخويْه «سعود» و«فيصل»، فتحوّل إلى قتال، فقام «سعود» بتوديع «سلطان» في السجن ثم قتَله فيه. فاضطرّ «فيصل» إلى الفرار إلى (الجوف). ونظراً لانزعاج الأهالي من القتال الذي وقع بين هؤلاء الإخوة؛ فقد قبِلوا بمعاونة أولاد «السبهان» لإمارة «سعود الرشيد» [لعله سعود].(١) وقد وقّفوا [سجنوا] «سعود» وأخويْه «محمد» و«سليمان» وعمّهم «عبد الله»، وجلبوا من المدينة المنورة «سعود بن عبد العزيز» وأعلنوا عن إمارته عليهم.

يدخل أمير الشمر اليوم «سعود» في شهر جمادى الآخرة عام ١٣٢٨ في السن الثانية عشرة. وتدار اليوم إمارة (الجبل) من قبل «سالم السبهان». وبما أن «سالم السبهان» صاحب تجربة وخبرة في الحياة، وذو رجل فعّال وجريء وذكي؛ فإن أيام إدارته سوف تكون أياماً

---

١) كأن هنا سقطاً؛ ويكون أنهم أعلنوا «سعود الرشيد» أميراً عليهم، ثم أعلنوا عن إمارة «سعود بن عبد العزيز»؟ (المترجم)

سعيدة، يتم فيها استتباب الأمن..

--- انتهى ---

اعتذار

كان من المقرر - كما أشرتُ إلى ذلك في المقدمة - نشرُ رسالة صغيرة لـ«محمّد بن عبد الوهاب»، نظراً لما يحتوي من أخبار مهمة عن منطقة (نجد)، وذلك ذيلاً لكتابنا هذا، إلا أنه لسبب ما تم صرفُ النظر عنه، ولذلك أرجو العفو السماح..

نجد قطعه سنك احوال عموميه سى

الجرور ✲ البناره ✲ دبلم ✲ بنى عطيه ✲ امان ✲ بجوك امارانده :

محرري

حسين حسنى

قسطنطينيه

مطبعة ابوالضيا

١٣٢٨